UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190632

UNIVERSAL
LIBRARY

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. L-29/N95C4 Accession No. 12.2.

Author الوحيد محمود

Title روضة معتز سيد باغستان

This book should be returned on or before the date last marked below

١ - رواية مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه

٢ - تذكار جيتي

٣ - رواية قنبر في الميزان

رواية

مقتل سيدنا عثمان

تمثيليـة تاريخيـة

تأليف

مؤلف ابنة المملوك ومذكرات المرحوم محمد

...

طبعت خاصة لمدرسة الامير فاروق الثانوية على نفقتها

...

حق التمثيل والطبع محفوظ للمؤلف

...

الاعتماد — ١٩٢٧

الدهر يمضي بحالاته

وسائل البدر بأفق السماء عما رآه من صروف القضاء
قد طالما أرسل من نوره على نعيم في رحاب الصفاء
وطالما أشرف في سيره على ربوع عرفت في الدماء
وقد مضى الدهر بآلامه وجر في العز ذيل العلاء
والبدر ما زال على عهده كأنه وليد هذا المساء

مقدمة المؤلف

لئن كان للهزم أن يطاول العملاق فقد تطاولت فى شبابى الاول منذ نيف وعشر سنين على أن أقلد الشاعر العبقرى الانجليزى (شكسبير) فوضعت عقب خروجى من المدرسة رواية على حادثة مقتل سيدنا عثمان وجعلتها تمثيليه فى شعر مرسل .

ولقد كان أبعد شيء عن تصورى أن تلك الرواية سوف تقع عليها عين سواى . فانى ما كتبتها الا لكى ألهو بكتابتها أو ان شئت قلت انى لم أكتبها إلا للذة النفسيه التى كنت أجدها فى تأليفها . فلما أن اتممتها كما رسمت وضعتها فى درج من مكتبى وكنت لا أعبرها بعد ذلك التفاتا .

فقد أراد الله بعد نيف وعشر سنوات من تمام تأليفها أن تكون موضوعا للتمثيل فى مدرسة الامير فاروق الثانوية .

وهأنذا أظهرها بعد طول اختفائها ولا أقول أننى أحسنت . اذا كان فى اظهارها فائدة فالشكر لمدرسة الامير فاروق الثانوية التى تكفلت بنفقات طبعها

وآمل أن يجد فيها أبنائى الطلبة شيئاً من اللذة أو الفائدة فى قراءتها كما آمل أن تجد فيها جمعية التمثيل مجالا لبروز المواهب الفنية التى عند أعضائها ؟

محمد فريد ابو حديد

الفصل الأول

جماعة من أهل المدينة فى رحبة (جالسين)

الأول — ما لهذا الحى طالوا شوكة
بين كل الناس ؟ يمشى طفلهم
مشية السيد ذى الجاه العريض

الثانى — ان قوماً فيهم الامر ولا
جاه الا بينهم — من حا كم
يأمر الناس وجاب وأمير
لجدير طفلهم أن يزدهى
وفتاهم أن يذل العالمين

الثالث — انا قد شاهدت منهم عبرة
لست انساها — لقد سافرت يوماً
فى بنى عمى بواد شرق مكة

فأتى يوماً فتى من آل حرب.
فقريناه ثلاثا عندنا
وجلسنا ليلة ننشد شعراً
فرجزنا وتفاخرنا له
وحسبناه لبيبا فاذا
هو ساه لا يرى كيف يقول .
فسألناه الى أين مسيره
فعلمنا أنه وال على
آل همدان ومن جاورهم .

عمرو بن حميد

مثل هذا شائع يا ابن اخى
فلقد قيل أتى قوم هنا
يخبرون الناس عن عاملهم
حين صلى بهم الصبح ثلاثاً
وهو سكران — فلما نبهوه
قال لو شئتم لزدنا كم صلاة .
ذهب الخير ولم يبق سوى

عبد شمس — اتظلون هنا

(يدخل رجل يكبر)

هل أتى العير بشيء ؟

البشير فتح الله لنا افريقية ،

وأتى اليوم بشير للامير .

ويقول القوم قولا حسناً

عن فعال المسلمين

الجميع ما عدا عمرو سنرى ما الامر

عمرو أمضى بعدكم (يخرجون)

ان هذا الناس ساه لا يرى ،

أو لقد أدبر عز العرب .

كيف نرضى مهبط الذل مقاماً ؟

وقديماً كان فينا المجد وقفاً .

أين يا عز توليت ؟ وما

بعد أيامك ضن بالحياة .

كان وادينا ركنا أهله ،

أمرنا الامر ومرعانا حمى .
و يكأنى ابصر الدهر الذى
فات — وا عهداً سقاه المطر !
ذاك عهد قد تولى — أيعود ؟
لا أرى عوداً لما كان وقد
أصبح الناس كلاباً همهم
قطعة تلقى اليهم من غنيمة .
ما الذى يجعل عثمان أميراً ؟
انه اركب ابناء أمية
والمطايا نحن — لكن اترى
يسمع الناس اذا قلت ؟ وهل
استطيع القول ؟ لا لا سأقول .
انما العيش على العز ، فان
لم يكن عز فما أحلى الهلاك .
ابدأ السير فأما بلغت
نفس عمرو حيث ترضى فتقيم

أو الى الموت — الى رحب فسيح
حيث يشفى كل مضنى وجريح .
ذا من الآتى ؟ أمروان هنا ؟
(يذهب ليختفى)
أختفى على أرى ماذا يقول .
(يدخل مروان مع الشاعر
عدى الاموى ويختفى عمرو)

مروان — انت منا يابن عمران ابا ،
وكفى بالاب وصلا بأميه .
وترى الناس جميعا فرقا
كلهم يدعو الى قوم ابيه .

الشاعر — ذاك لا انكره يابن الحكم .
انما نحن لبيت واحد
وانا القائل لما افتخروا
« نحن اقمار اذا الليل دجا »

مروان — عمرك الله فكن شاعرنا

ان للشعر دفاعا مثلما
يدفع السيف غداة الفزع .
فاذا كنت ترى صحبتنا
كان منا الود والشكر الجميل .

الشاعر — سترى منى مقالا صائباً
يغمد السيف ويخزى الحاسدين .

مروان (يضاحكه) — ومتى نسمع من قولك دراً ؟

الشاعر — أذهب الآن لبيتى . وغدا
موعد الناس بنادى أسد .
وسأعلى بينهم ذكر أمية (يخرج)

مروان — أصبح الناس يداً واحدة
كلهم يرمى الى قلب أمية .
ان للحاسد قلباً قلقاً
لا يرى الراحة ما دام يرى
أثراً للخير فى كف سواه .
ما يودون ؟ اكنا هملا

ثم أصبحنا سراة فى قريش ؟
فلئن بات لنا الامر فقد
كان فينا مثله فى الجاهلية .
انما يسعون فينا عبثا
وسيبقى مجدنا مادام سيف .

(يدخل سيار خادمه)

أنت يا سيار . لى امر أريده :
اذهب الآن الى بيت عدى —
ذلك الشاعر خلاب البيان —
هذه الصرة أسلمها له
ثم بلغه سلامى .

سيار — طاعة (يخرج)

مروان — هكذا الدنيا نضال أبداً .
كل حى يدعى الحق لنفسه .
فلئن لم نسبق القوم له
كان لا شك لهم سبق اليه .

فاذا ما سبقونا . . . . عندها ! . . .
ما لقلبي حذر مرتقب ؟
وأرى عثمان خلواً من همومى .
أله الامر ولا يخشى عليه ؟ .
عجباً ! أقضى ليالىَّ طوالا
و يقضيها صلاة وقياما .
لم لا يسكن قلبى ؟ . غير أنى
لو تهاونت لضاعت ريحنا
ولحل الذل أبيات أمية [صوت من
الخارج آت من بعيد]
ذا من الآتى ؟ على والزبير ؟
لست أدرى ما يريدون بنا .
(يدخل عثمان مع أصحابه وفيهم
على والزبير)

عثمان — (لمروان) كيف لم تأت مع الناس ؟ وقد
جاءت البشرى بنصر وغنيمة .

مروان حين أزمعت لأمضى عندكم
قد سبقتم فأتيتم راجعين .

على . (مازحا) كان مروان هنا معتزلا .
فلقد أصبح فى الزهد يرى
انما الدنيا له شىء قليل .

مروان أنت لا زلت علياً أبداً
لم تغيرك الليالى والسنون .

على احمد الله على هذا . فما
أجمل الصبر على لون يدوم .
أحد يبقى أميناً ثابتاً
ليس تخشى منه غدر الغير .
انما الخشية من عاصفة
يجهل السائر ما وجهتها

عثمان دعك من هذا ولا تختلفوا

على يا أمير المؤمنين .
قد غبرنا الدهر فى الله معا

يشهد الله بأنا ناصحين

عمان ذاك لاشك أخاء صادق .
انما النقص أذا أخفى أخ
عن أخيه العيب لما أن يراه .
ولخير لى عتاب صادق
ولو اشتد على النفس وقوعا ،
من رياء مثل كأس شربت
تأخذ النفس جمالا وبها
علة الداء وأسباب الردى .

على أن هذا ظننا فى ودنا ،
ذلك الود الذى قد غرست
بذره الأيام ، نرجو أنه
بمرور الدهر يزداد نماء —
قد أتى قوم بشكوى مرة
من أذى العمال فى كل البلاد

عثمان رب لا أقصد الا حسنا

على — انهم أهلك . قد وليتهم .
دون كل الناس ، فالناس غضاب .
كلما أخطأ منهم أحد
جعلوا المخطئ عثمان الأمير .

عثمان — انهم أهلى . وقد وليتهم
ليسيروا بالكتاب المستقيم

على — فاذا يظلم منهم أحد ؟

عثمان — فاذا يظلم منهم أحد
ليس عندى شافع للظالمين

على — فاذن نذهب نحن ؟

عثمان — لو أردتم (يذهبون وعثمان يشيعهم)

مروان — عجباً والله ما أعجب هذا !
لست أدرى أى سحر نافذ
لأحاديث على . كلما
قال شيئاً لأبى عمر أجابه (يدخل
الخادم سيار)

سيار — نحمد الله على الفتح المبين .
قد أتى ساع من الغرب ببشرى
مخبراً بالنصر والفيء العظيم ،
منه خمس لأمير المؤمنين .
ورأيت الناس يبكون سروراً
عند سيرى لعدى الأموى ؟

مروان — هل أتى خمس أمير المؤمنين ؟

سيار — لا . سيأتى بعد يوم أو أقل .
أترى تذكر وعداً سابقاً
وتجازينى بعتقى أولا ؟
ثم تجزينى بودى وولائى ؟

مروان — سوف أجزيك إذا ما صدقت
لى مواعيد أمير المؤمنين .
خمس بيت المال لى ! أعظم به
من عطاء ! لا . ولكن لا تقل
اخبر للناس بانى أشتريه .

كيف قابلت عديا — أرأيته ؟

سيار — كان فى بعض رجال جالسين ،
فرآنى فأتى مبتسما ،
قلت يقر يك موالى السلام ،
ثم يرجونك فى تلك الهدية .
قال هم أهلى . فداهم قلبى
ولسانى . أقرهم منى السلام ،
وغداً تسمع منى ما تحب .

مروان — انه مناولن يخذلنا (يخرج مروان)

سيار — انه منك على البذل . فان
قصر البذل تداعى لسواك
صدق الله فتلك الشعراء (يخرج
عمر بن حميد من مخبئه)

عمرو — سلام ياسيد سيار

سيار — أنت هنا ياعمرو ؟ ما ذا تفعل ؟

عمرو — كنت مارا فرأيتك . قل لى متى

تصير حراً ؟

سيار — ان أخذ مروان خمس ألفى كما قال له الامير أعطانى شيئاً كثيراً وأعتقنى.

عمرو — ولـكن ما ذلك الخمس ؟

سيار — ذلك خمس أمير المؤمنين الذى سيأتى بعد قليل .

عمرو — وما خمس أمير المؤمنين ومروان ؟

سيار — قد وعد الامير أن يعطيه لمروان . لا بل سيعطيه له بيعاً . لا تظن أنه عطاء .

عمرو — بم باعه ؟

سيار — لست أعرف ذلك على حقيقته .

عمرو — (يقدم لسيار بعض تمرات) قل لى يا سيد سـيار أيهم أكبر عندك الامير أم مروان ؟

سيار — والله لاأدرى : فالامير يكون أحسن

وقت أن أ كلمه فهو رقيق النفس
وديع الخلق ولـكن مروان . . . .
أنا أحبه وقت أن يكلفنى بعمل لانه
يعطينى مايحب الناس بعضهم بعضاً
لاجله .

عمرو — فهمتك يا سيار . انه لـكريم

سيار — نعم انه لـكريم (يضحك)

عمرو — (يضحك) أظن الاميريحب
مروان كثيراً

سيار — يحبه ؟ نعم (بتردد)
قد يكون أنه يحبه (يظهر أنه يريد
السير)
ولـكن قد مضى الوقت ، فدعنى
أسير والسلام عليك (يخرج سيار)

عمرو (لنفسه) — يالها من سوأة انا نرى
ذلك الامر لهم من دوننا !

أى شىء ذلك العيش اذا
لم يكن فى المجد ؟ قد كان لنا
عزة ماضية ، كنا نرى
انها تنمو . ولكن خاننا
ذلك المفتون — لن أتركه
سالماً ما دام قلبى خافقا
ثائرا بالكره والحقد عليه (يدخل
جماعة من الاهالى ويسلمون)

(ينادى) أقبلوا يا قوم . هل حدثكم
أحد بالفتح ؟

الاول قد أسمعنا
نبأ الفتح مناد سائر .
يخبر الناس بهذا الانتصار

عمرو نعم هذا النصر ! حمداً دائماً !
حق أن نشكر مولانا العظيم

الثانى ويقولون ستأتى تحف

لم ير الناس لها قبل مثيلا
من سبايا وهدايا وغنيمة

عمرو (ضاحكا) ذاك لا شك . ستأتى تحف
ذات شأن . غير أنى عالم
أنها لن تنفع الناس بشىء .

الثالث كيف هذا ؟ سوف تأتى مثلما
جاء من قبل كثير غيرها .

عمرو (يضحك) لست تدرى أن عثمان رمى
خمسه ، أعطاه لابن الحكم ؟

الاول خمسه ؟ أى كلام ما تقول ؟

عمرو خمس مولاك أمير المؤمنين .

الثانى ليس هذا خمسه . لكنه
خمس بيت المال ، لا يبذله
أحد فى غير أصحاب الحقوق

عمرو سترى صدق مقالى بعد حين

الثانى اننا لسنا سواما غنما

يفعل الراعى بنا كيف يريد .

الثالث — عله لم يعطه الخمس عطاء ،
انه يعرف حق المسلمين .

عمرو — انه أعطاه بيعاً ظاهراً
كى يضل الناس — قل لى بأبيك :
هل لمروان غنى فى قومه ؟

الاول — لم يكن مروان يوما فى غنى

عمرو — كيف يستطيع اذن أن يشترى
خمس بيت المال ؟

الثانى — هذا عجب .
كيف نرضى مثل عثمان خليفة ؟

الثالث — إن يكن هذا كما قلت صحيحاً
سوف نأبى العسف

الاول — سيروا لنرى
ما يقول الناس

عمرو — امضى بعدكم

لنرى أفعال هذا الحكمى (يخرجون)

وحده لن أرى لى راحة حتى أرى
أنف هذا الحى مجدوعا ذليلا

...

الفصل الثانى

دار عثمان — مروان وعثمان

مروان من على الناس أمير المؤمنين ؟
أعلى وابن عوف والزبير ؟
ما لهم يأتون فى كل حديث
تحت ستر النصح والقصد الحسن؟
قد أقاموك علينا أولا
ليقول الناس عثمان الامام ،
ثم جاؤوك مشيرين بما
يرغب الناس اليهم أن يشيروا ،
لينالوا الأمر والذكر الجميل ،

ولعثمان ملام الخطأ .
افترضى دونهم باسم الخليفة ؟

عثمان

شق يا مروان تلك الفتن .
انهم اخوان صدق أوفياء .
قد وقفنا ننصر الدين معا ،
وصحبنا الخير والشر سواء .
أفيرضى مثلهم أن يشترى
عرض الدنيا بباق لا يزول ؟

مروان

لم أقل فيهم بعيب شائن ،
انهم أصحاب خير البشر .
لست أخشى منهم الكيد ، وما
أنا الا خائف عثرتهم .
رب شر جاء من كف صديق
دون أن يرغب أتيان الاذى .
فلتر : — الآن هذيل قدمت
ترفع الامر اليهم ليروه .

فاذا أنفذت ما قد طلبوا ،
احرز الشكر على وصحابه .
فاذا لم ترض أن تنصفهم ،
الزموك الذنب والعذر اليهم .

عثمان

ننصف المظلوم ممن ظلمه .
ذاك حق الله من عدل الخليفة ،
شكر الناس له أو غضبوا .
فهذيل قدمت تشكو لنا ،
وسنرضى الله فى كل شكايه .

مروان

ذاك حق لك أن تفعله ،
غير انى منذر بالعاقبة :
سوف يشكو كل قوم حكمهم ،
أملا فى سعى أصحاب على .
لا — لقد زدت على حد الكلام .
أنت ترضى لو تسمينى عدواً
قبل أن ترضى بتخطىء على

عثمان — أتريد الآن أن نسلبهم
حق شورى كان من قبلى لهم ؟
أنسيت اليوم ما ذا كان أمس ؟
أنهم كانوا وفى أيديهم
لو أرادوا أن يكونوا الخلفاء ،
فسعوا سعياً الينا طائعين .
أفيرضون بنكث بعد أن
زهدوا فى الامر ؟ ماذا تبتغى ؟

مروان — انهم ولوك — لا أنكر هذا ،
ولهم أن يخلعوا عنك الولاية .
ولقد جاء لهم من كل صوب
وافد يسعى بواليه — ومن
ذلك الوالى ؟ — نسيب للامير .
أتظن القوم راضين بهذا ؟

عثمان — قد أبانوا ذاك من قبل الى

مروان — أيقولون رضوا منك بهذا

عثمان لا — يقولون لقد جرت عليهم
مروان أترى الآن حديثى كذباً ؟
رب مالى أكدح القلب على
أمر غيرى — انما الامر اليك
عثمان غير أنى لا أرى الحق معك .
لست أستطيع سوى الشكر لهم
ان أتوا لى برجاء أو نصيحة .
مروان انهم ظنوك لا جاه يعزك ،
فتراهم طمعوا فى بعض أمرك .
عثمان انهم كانوا معى عند عمرو :
فاذا كان لنا رأى فما
كان ما يمنعنا من أن نقوله .
مروان انكم كنتم اذا قلتم له
كان معروفاً — اما كان عمر ؟
فاذا كان يرى ما لا ترون ،
أترى كان مطيعاً لكم ؟

انكم كنتم تشيرون وما
كان يرضى أن يرى منكم قيادة

عثمان فاذن ماذا ترى أن أفعله ؟

مروان خير ما نفعل أن يعرفنا
كل قوم اننا بيت أمية .
فاذا ما شهدوا من أمرنا
شدة لانوا وكنا الفائزين .

عثمان وكيف ؟

مروان انه الشعر ولا تجهل فعله .

عثمان نرجع الجهل ؟ أهذا بعد ما
ضمنا الاسلام أماً وأباً ؟

مروان لم أرد ايقاظ أهل الفتن ،
انما اقصد أن يفتخروا
بفعال الخير فى آل أمية
ليرى الناس جميعاً فضلهم
فيكفوا عن سماع الحاسدين .

عثمان لا تكن فى مثل هذا أبداً
ودع الناس فمن شاء حسد
آن أن يأتى أصحابى هنا
فاذهب الآن اذا كنت تحب .

مروان انما أقصد خيراً ، فاذا
كنت لا تحسب قولى صادقاً ،
سر على ما شئت فالامر اليك
(يخرج)

عثمان ان فى القول لحقاً ظاهراً :
كان من قبلى على الناس عمر ،
فتولاهم بعنف ، ورضوا
مثلما يسلس للحادى البعير .
ولقد كنا نرى الرأى فلا
نحمل القول على غير المشورة .
وأرى قومى مضوا فى غير هذا .
فيسير الناس بالشكوى الهم ،

فيجيئون بشكوى وبلوم .
ولعمرى ان من لان تدنى (يدخل
الخادم)

سيار — ان بالباب أصحابك — على مع جماعة
عثمان (يقوم) — أدخلهم
علها تكملة الشكوى (يدخلون)

الجماعه — سلام عليك يا أمير المؤمنين
عثمان — وعليكم السلام ورحمة الله
على — قد عزمنا أمس أن نأتى هنا ،
ثم أشفقنا فلم نأت اليك .
عثمان — علكم جئتم لشىء جلل
على — هؤلاء القوم من مصر ، وقد
أقبلوا يرجون فى أمر عظيم .
عثمان (مخاطباً لهم) — كيف حال الناس فى مصر ؟ فلم
يأت منها خبر منذ زمان .
الاول — نحن منهم ، حالنا مضطرب ،

ولقد جئنا بشكوى للامير .

عثمان — ما الذى تشكون ؟ انى سامع .

الاول — عيشنا الصعب ، وما حملنا
ظلم والينا من الذل القبيح .

عثمان — كيف هذا ؟ . حبرونى . اننى
ليس لى علم بما يجرى هناك .

الاول — يأمير المؤمنين
ان عبد الله طاغ ظالم
سامنا الخسف ، وأرضى نفسه
من حقوق الناس ، لم يعدل بنا
وعصى الله وآذى المسلمين .

الثانى — ولقد جئنا جميعاً خفية
مدعين الحج للبيت الحرام
انه لو كان يدرى اننا
نقصد الشكوى ، لما كان لنا
غير تنكيل وتعذيب اليم .

عثمان (لعلى) ما ترى فى ذلك القول ؟ وهل
تحسب القوم يقولون صحيحا ؟

على اغلب الظن يقولون صحيحاً
فلقد قال سواهم مثل هذا .

عثمان سأرى الامر . وانى فاعل
ما يشاء الله من عدل الخلافة .
فاذهبوا الآن الى اعمالكم ،
وارقبوا الله .

الجماعة سمعنا واطعنا
قد رضينا منك ما قلت لنا
أمرك الامر أمير المؤمنين .

على فوضوا الامر الى صاحبه

الجماعة قد رضينا ، قد رضينا ، اننا

بعض ابناء أمير المؤمنين (يخرجون)

على لست ارضى ما ارى .

عثمان لست ترضى ؟ ولماذا لست ترضى ؟

على كل يوم وافد من ناحية .
فبمصر أفسد الظلم البلاد ،
وعلى الشام أمير كخليفة ،
و يضج الناس من حكم العراق ،
وهنا دب الهوى وسط المدينة .

عثمان ما الذى أسمع — هل كنت ترى
لك هذا الحق أيام عمر ؟

على أى حق ؟ أتظن النصح حقاً ؟
ما الذى أجنيه الا نصباً ؟
انما أقصد خيراً ، فاذا
كنت تأباه فلن أذكر شيئاً .

عثمان ليس قصدى كل ما هم بنفسك .
اننى أقصد أن قد أصبحت
لغة الشكوى على كل لسان ،
وأراكم لا تردون شكاية

على أنت قد أصبحت فى بيت أمية

مثلما كان ملوك الجاهلية .
أفلا تبصر ما كان عمر ؟
انه ما كان يرضى درهما
يتولاه نسيب فوق حقه .
ولقد أفسحت آمالا كباراً
لبنى جدك رغم المسلمين .
أترى هذا صلاحاً للخلافة ؟

عثمان ذاك رأيى ، ولكل ما يرى .

على انى لولا حفاظى لقطعتك —
سترانى باعداً عن كل أمرك.(يخرج)

عثمان ساءه ما قلت — والله لقد
هاجنى ما قال مروان بشأنه .
قبح الله حياة الطامعين .
ان حباً كان فينا طيباً
ستعفيه خصومات الحياة .
لا — فما الدنيا بما يبقى عليه ،

وبغير الود ما معنى الحياة ؟
أفتقصينى شكوك عن أخى ؟
لن يكون الأمر الا ما يرى [آخر الفصل]

الفصل الثالث

طريق فى المدينة بجانب المسجد — عمرو بن حميد الهذلى مع سعيد المخزومى

عمرو — السلام عليك

سعيد — وعليك السلام

عمرو — أين مرماك ومن أين مجيئك

سعيد — لست أدرى آخر السير فما
جئت أسعى نحو بيع أو شراء

عمرو — فاذن لا بأس لو سرنا معاً ،
فنقضى الوقت فى بعض الحديث .
أترى عندك قول حسن ؟

سعيد — أنا آت أمس من باديتى
ليس لى قول فحدثنى بما
كان من أخبار سكان المدينة

عمرو — حسن هذا فسر
أنت مخزوم أما وأبا ،
رحم الله امرءا بر بأهله
اعلم الحر يفادى جاره
بدم النفس فما بال النسيب

سعيد — أيما تعنى اجار ظلماً
أم فتى منا تولته معرة ؟

عمرو — لست أدرى أهوان عندكم
وطء أقدام على هامتكم ؟
فلئن كانت لكم ثائرة :
ذاك عمار ينادى هيما
فاغضبوا فيه وإلا فسلام

سعيد — لست تدرينا وانا نفر

أصلنا راس بخال و بعم
ما لعمار ؟ وما عهدى به
غير نجد العزم محفوظ الجوار

عمرو كان هذا ثم أصبحنا به
مثلا فى كل واد — فله
يعجب الناس على ذلته
وعلى صبر بكم عن شد أزره .

سعيد قد عرفت الناس منهم فارس
يشغل الموت اذا صال بسيفه ،
وكريم يعرف الفقر له
راحة يندى لها القفر المحيل
غير أن النفس لم تسبق الى
شامخ يبلغ عمار بن ياسر .
أترى هذا محلا للهوان ؟

عمرو ذاك أدعى للأسى والغضب .
كان أهل المجد من قبل سراما ،

فغدوا فى عبد شمس خاملين —
اسمع الآن حديثا عجباً !
كتبت أصحاب عثمان كتابا
فيه ما انكره الناس عليه ،
ثم أعطوه لعمار ابن ياسر .
فأتى عثمان فى منزله
يقصد الارشاد والنصح الجميل .
غير أن النصح من غير أمية .
فابى عثمان أن يقبله ،
و رمى الصفحة فى وجه الرسو ل ،
ثم جازاه بوطء قاتل
كاد يقضى فيه — واذل ابن ياسر !

سعيد — مثل هذا نال عمار بن ياسر ؟ !
لست ادرى ما الذى أسكته
أيسام الخسف لا يرفضه ؟

عمرو — لست أدرى — أنما تلك لكم

سبة تلصق فى كل سليل

سعيد صبر النفس قليلا سترى
صبر مخزوم على ذل اميـة

(يهم بالخروج)

عمرو قف — الى أين ؟ اتنسى أننا
قد تصاحبنا على السير معاً ؟

سعيد لتكونن لهيبا محرقا ،
قبل ان يسكن للذكر فؤادى .

عمرو أقبل الآن معى مصطبرا
عند أصحاب على وابن ياسر
لنرى العزم . ومن ثم الى
آل مخزوم

سعيد ليس لى صبر على المكث هنا
فأقم وحدك أو هيا بنا

عمرو سوف نمضى بعد أن نسمع ما

(يدخل اثنان)

عند هذين . سلام لكما

(يحيى القادمين)

ما الذى كان هنا منذ قليل ؟

لاول — قيل جاء اليوم أقوام هنا
منهم الشاعر والفحل الكريم
يقصدون الفخر فى بيت امية .

عمرو — لست ادرى ما الذى عند امية ؟
افخار عندهم حكم الهوى
وانفراد بسهام المسلمين ؟

الاول — انت من ؟ — لأى قوم تنتمى ؟

عمرو — انا عمرو بن حميد من هذيل .

الثانى — فاذن جئت مع القوم هنا
تشتكى عامل عثمان عليكم ؟

عمرو — لست فى هذا . ولن ينفعنا
ذلك القول . ومن أنتم اذن ؟

الثانى — انا من بكر ، وهذا من خزاعه ،

عمرو — عند هذا الجمع نادى اسد
فيه يأتى اليوم قوم من امية
ليضلوا الناس فيما يكذبون
(يظهر سيار يجرى)
ما لهذا العبد يجرى ؟ عجبا !
ذلك العبد لعثمان الامير (يناديه)
(للعبد) فيم تجرى نحو نادى اسد ؟

سيار — ما ترومون (ينظر عمرو) اعمرو بن حميد

عمرو — انت مبعوث ولاشك بأمر .
(يضاحكه)
هل اتى ميعاد هذا الاجتماع ؟

سيار — ذاك ما جئت له يا بن حميد
لن يكون اليوم فخر ابداً

عمرو — هل تقول الصدق ؟ ما علة هذا ؟

الاول — لم هذا الامر ؟ لابد له

سبب من عدل عثمان الامير

عمرو — قل متى ارسل مولاك بهذا ؟

سيار — جاء فى الدار على والزبير
امس فى الليل ، ولما ذهبا
قال لى مولاى « بكر فى غد
وامنع الناس بنادى اسد
من نداء بافتخار الجاهلية »

عمرو — امض ياسيار بالامر ولا
تله عنه — بارك الله عليك .

(يخرج سيار)

أرأيتم قوله « جاء على » ؟

الثانى — ذاك لاغرو على لم يزل
صاحب الرأى . . . اما كان له
حق هذا الامر من بعد عمر ؟

عمرو — ذاك رأى الناس افرادا ولكن
يكتفى كل بلوم الآخرين

الاول — هل لنا ان ننقض العهد وقد
بايعت عثمان كل العرب ؟

عمرو — بايعوا عثمان للعدل ولم
يقصدوا هذا

الثانى — وما بايعه
أحد الا على رأى ابن عوف

عمرو — صدق البكرى قد بايعه
معظم الخلق على رأى ابن عوف .
وابن عوف ليس يرضيه الهوى ،
فلئن قمنا بشكوانا له
لرأى الحق على جانبنا
ولنلنا العذر فى قبض يدينا

الاول — سوف نشكو لابن عوف أمرنا
كلما جئناه فى محتفل
فاذا تمت لنا نصرته
كان ما شئنا . . .

عمرو — هلموا فاذهبوا
لتلاقوه . هلموا مسرعين
(اكثرهم يخرجون)
(وحده) ها أنا أبصر ناراً بدأت
وأراها سوف تعلو للسماء
(يخرج مسرورا)
(يدخل عثمان ومروان)

عثمان — من رأى منكم عليا ؟ قد مضت
مدة لم يأت فيها لنراه .

مروان — قد رأيناه ولكن به
ألما لم يقو أن يحمله ،
فمضى قبل الصلاة .

عثمان — فلنعده الآن — لا بأس عليه
ما الذى كان هنا ليلة أمس ؟
حمل الريح الينا صخبا
لم نميز فيه الا كلمات

مثل «حول» و « أباء » و «أبى»

الاول
انا لم أسمع بهذا فلقد
جئت هذا اليوم من باديتى

الثانى
كان بالامس بنادى أسد
بعض ابناء قريش وخزاعة
يدعون الفخر ، حتى انقلبت
لغة الفخر بهجر فاحش ،
وانتهى الامر بسب ووعيد .

عثمان
حسبنا الله أهذا بعدما
ضمنا الاسلام أما وأبا ؟
سر بنا الآن الى بيت على. (يخرجان)

الاول
كذب الناس علينا كذبا .
أترى فى القوم من يعدل هذا ؟

الثانى
ليس فى دين ابن عفان معيب
فله الفضل وسبق المنن .
غير أنى مبصر فيه هوى

مثل ما قال عليه ابن حميد
ولهذا ليس يرضى أن يرى
عيب هذا الحى من آل أميه
(صوت قوم آتين)
صوت من هذا ؟ أما تسمعه ؟
(يدخل المتكلمون)
انهم يشكون أمرا لابن عوف

الثالث — أترى هذا ؟ أيبكى الرجل ؟

ابن عوف — عجبا والله ! ما لى كلما
سرت فى قوم أتوا لى يشتكون ؟
ست مرات وتلك السابعة .
قد رأيت الآن ما حمل الامانة .
ايهـا القوم سأمضى عنده ،
ولعلى بالغ ما نبتغى .

الاول — علنا نسمع خيرا بعد هذا

الثانى — اننا والله قد ضقنا به

الثالث ولقد أعذر قوم انذروا

ابن عوف أنصتوا وامضوا فلاخير بهذا

(يخرجون و يتذمرون)

ليتنى أشركت فى الحمل رجالا

كنت فيهم واحدا من عدد

أنا أقدمت على بيعته

غير خاش مثل هذا الضرر

ولقد اصبحت فى اللوم شريكه .

رب لن أحفظ من ضيع عهده .

فلئن لم يصلح الامر فلا

ود فيما بيننا حتى نموت .

(يلقى جماعة على باب المسجد)

الاول تلك عقبى فعلك اليوم تراها .

قد غررت الناس بالقول الجميل .

الثانى كلنا لم يرض فى البدء به ،

وتصدرت على نصرته .

الثالث — فلماذا تحجم الآن وقد ،
دلنا الخبر على ما كان يخفى .

ابن عوف — أيها الناس لقد أسرفتم .
صبر وا النفس سيأتى عن قريب ،
لصلاة العصر . لا تبتئسوا

الرابع — ضاق عنا الصبر اذ ضاع الرجاء ،

الخامس — كل يوم ذاهب منالة
ونرى الحالة تزداد بلاء .
(صوت جماعة يتكلمون من الخارج)

ابن عوف — سنرى الآن فقد جاء الامير ،
قد أتى ! — لا تسرعوا بين يديه ،
وكلونى عنده فى أمركم ،
فلنا فيه أخاء ومودة .
(يدخل عثمان ومعه مروان وجماعة)

عثمان — (يسلم و يردون)

عثمان — ما لقومى مثل أسراب القطا

كلما أمضى أرى جمعا بحى .
قد مررت الآن عن منزل طلحة
و به بعض رجال جالسون .
فاذا ما جئت فيهم سكتوا ،
وأشاروا بعيون حانقة
ثم سلمت فردوا فرقا
ومضى طلحة مارد سلامى

ابن عوف — علهم كانوا بامر فادح
فبدا منهم فتور للأمير

عثمان — ليس هذا وحده بل اننى
عند ما سرت أتت لى رسل
كشفت لى عن قلوب كدره .
فلئن لم يرض حكمى أحد ،
فلماذا كنت فى الناس اماما ، ؟

ابن عوف — يا أمير المؤمنين
هل ترى الشكوى من الناس جفاء ؟

ولمن يشكون من بعد الخليفة ؟

عثمان

ليتهم يشكون عندى حالهم .
انهم يأتون من دونى رجالا
لهم الشكر اذا خير أتى ،
وعلى اللوم عند الخطأ .

ابن عوف

راقب الله بأصحاب القديم
يابا عمر و أيشكون الزو ر ؟

عثمان

قد مضى قبلى سنون وشهور
لم أر الناس تصدوا لخليفة ،
فاذا بى الآن والناس صلاف
يدعون الحق فى أمر المشورة .
كلما أصبحت ألفيت ببابى
رسلا من كل حى ينصحون .

ابن عوف

لست أدرى ما يقولون ، ولكن
أحسب الحق على جانبهم .

عثمان

انت هذا يابن عوف معهم ؟

ابن عوف — ان لى قولا فان شئت فما
ينبغى أن اسمع الناس . فمرهم .

عثمان — لك هذا فاذهبوا الآن جميعا
(مروان يبقى) — لم لم تذهب ؟

مروان — سأبقى ها هنا

عثمان (لعبد الرحمن) — أترى يبقى هنا يسمعنا ؟

ابن عوف — ان لى قولا لآذان الخليفة

عثمان — هيه يا مروان لا تمكث هنا
(يخرج متلكئا)

ابن عوف — اسمع الآن حديثى بعد أن
ضاق بى الصبر عن الصمت الطويل:
أترى تذكر ما كان كلامى
يوم كل الناس فى حزب على
وأنا وحدى انادى بيعتك ؟
كان ذاك اليوم ظنى حسن
بابن عفان فما كنت أرى

أنه يرفع أهليه ولا
ينصف السادة من صحب محمد .
ثم بايعت ابن عفان وما
كنت أدرى ما يكن القدر :
فاذا الآن ، ولا جاه سوى
لبنى عمك أبناء امية .
هل ترى هذا هو العدل ؟ وان
فاه شاك قلت ما حق الخليفة ؟

عثمان قدك لا تغل — فمن جار ولم
أرض ربى منه ؟

ابن عوف هل عدل بنا
بذل مال الله فى آل أمية ؟
ثم أن تقطع أهليك بلاداً
دون كل الخلق ؟ هل تلك الخلافة ؟
أين خمس الفىء ؟ قد أعطيته
وهو حق الناس لابن الحكم .

عثمان — قد رأينا أن من لان تدنى .
ذاك رأيى فأقلنى من ملامك .

ابن عوف — فاذا لا قول لى فيما ترى ؟
يابن عفان — أهذا قدر عهدك ؟
أشهد الله فلن تسمع لى
بعد هذا ملفظا حتى نموت ،

(يخرج)

عثمان — يابن عوف ! يابن عوف ! قد مضى
عز والله علينا ألمه
فله فينا صنيع ومحبة .
أصحيح أنه يقطعنى ؟
لا فذاك القول قول الغضب ،
وسينساه اذا عاد لنفسه .
قرب العصر وقد مر بنا
ذلك الوقت سريعا فى خصام

(ينادى بحزن) — أيها الناس استعدوا فلقد
١٧٠٧٠

قرب الوقت ونادوا للصلاة

(يسمع الآذان)

الفصل الرابع

المسجد و به عثمان ومروان

عثمان — جاءنى اليوم كتاب لابن سعد
قال لى فيه سيأتيك رجال
يظهرون الحج لكن لهم
غرضا منك فكن فى حذر .

مروان — لم يقل كم هم ؟

عثمان — لا ولا أحسبهم الا جماعة .

مروان — ما ترى الحيلة فيهم ؟ فلقد
أصبح الناس جميعا فرقا ،
وقليل من يوالون أمية

عثمان — فاذن ماذا ترى ؟

مروان — أصغ الى !
هذه الناس دعاة الفتن .
لا يريدون كما قالوا صلاحا
وأرى الشر دواء لشرور .

عثمان — أترى أن نقتل القوم ولا
نرقب الله ؟ أهاتيك النصيحة ؟
مثل هذا أنت تبديه لمن
قصده الدنيا — أأهوى بعدما
فات جل العمر فى زهد الحياة ؟
فيم ذا الحرص وما آخرته ؟

مروان — فاذن دعنى لشأنى معهم ،
وانا أكفيك ما كادوا لنا .

(يدخل الخادم)

الخادم — جاء وفد لأمير المؤمنين
خمسة خيل وعشرون رجال

عثمان — وفدهم هذا ؟ فدعهم يقدمون .

(يذهب الخادم)

مروان — لا تلن . قد لنت من قبل مرارا ،
فرأيت اللين ما عاقبته .

(يدخل الجماعة)

عثمان — عله خير

الجماعة — سلام عليك يا امير المؤمنين

عثمان — عليكم السلام — علكم جئتم لخير

الاول — نحن من مصر وقد جئنا لما
سامنا الوالى من الذل العظيم ،
يضرب السادة منا واذا
هم بالشكوى امرؤ أرغم انفه ،

عثمان — ايهـا القوم لئن صح لنا
انكم تشكون ممـا كان حقا ،
فسنرضى الله — لاجاه هنا :
ان كل الخلق فى العدل سواء :
انمـا نطلب منكم شاهدا

لنرى هل جار أم هذا ادعاء .

الثانى عندنا الناس جميعاً يشهدون .
ولقد جئنا بقوم نالهم
منه سوء لترى رأيك فيهم .

عثمان أرغم الله انوف الجائرين .
سنرى ما الامر فى هذا المساء .

الجماعة قد رضينا وكفى وعدك عهدا
وسنلقاك عشاء فى الصلاة

(يخرجون)

عثمان (لمروان) كان فى رأيك انا لا نلين

مروان رضى القوم ولكن سترى
أن هذا ليس حلا آخرا

عثمان كيف هذا ؟

مروان انهم ساروا وقد تحسبهم
مطمئنين ، ولكنى أرى
انهم ساروا غضابا كارهين .

عثمان عهدنا فيك كثير الحذر

مروان أسأل الله خلافا لظنونى

عثمان سأقوم الآن أقضى حاجة
عند سعد ، وسآتى بعد حين

(يخرج)

مروان رب هل هذا أمير الامم ؟
لا ، فما للأمر الا رجل
شائك الحد شديد الساعد .
إن عثمان ملاك زاهد
يصلح الامر له لو أنه
حاكم فى امة من زاهدين
غير أن الناس مازالوا أناسا —
انه لو ضاع عثمان فلا
يرجع الامر لنا من بعده .
وجب الآن علينا أن نرى
كيف نبقى الامر فى قبضتنا

(جلبة فى الخارج)

ضجة أخرى ! ! متى آخر هذا ؟

كل حين ضجة من ناحية :

انهم لا بد ضجوا هكذا

عندما مر أبو عمرو عليهم .

هذه الايام أيام ثوار

عودتنا كيف نلقى كل جمع .

غير أنى خائف مما أرى

مروان — ما الذى أسمع ؟ — عثمان أتى

(صوت عثمان ينادى)

انه هذا ينادى ! (يدخل عثمان)

(لعثمان) ما الذى ألفيت من تلك الجموع ؟

عثمان قد أتو بالشر ، حتى أننى

عدت لم أقدر على السير لما

كنت ألقى وأنا بين الزحام .

و يصيحون غضابا صيحة ،

ينفخ الشيطان فيها لهباً .

مروان — هل ترى أمضى اليهم ! لارى
ما يريدون ؟

عثمان — تمهل لا تسر .

مروان — لا أرى ماذا يريدون بنا .

عثمان — لا تسر وابق هنا محترسا
انني ابصر شرا مستطيرا

مروان — لا أرى هذا صحيحا .

عثمان — قدك يا مروان ، ارسل لعلى .

مروان — لست أعصيك — ولكن . .

(يخرج)

عثمان — رب ما هذا ؟ شقاق ابدا !
لست أدرى . أترى يأتى على ؟
فلقد أقصاه عنا شكنا
فيه من قبل ، ولكن لى رجاء .
أيطول العمر بى حتى أرى

كل صحبي بعد ود كارهين ؟
ما أمر العيش ! عمار مضى ،
وابن عوف ، وعلى ، والزبير ،
كلهم أضحوا بعيدين نفورا
(يتنهد) وحشة العيش خلو من صديق

(يدخل على)

أنت هذا يا على قد أتيت ؟

على كنت فى سيرى لألقاك هنا
يا أبا عمرو ، وقد قابلنى
عند باب الدار مروان رسولا .

عثمان فكلانا طالب لقيا أخيه :
يا أخى ماذا ترى فى امرنا ؟
فلقد زاد بنا هذا الشقاء .

على ان لى نصحا فان شئت استمع .

عثمان ما الذى تنصح ، انى سامع .

على ان سوء الظن شر العلل

فبه الفتنة تنمو، وبه
تضرم النار ، ، فويل للظنون !
تخمر العقل ، فلا يبصر ما
حوله الا دليلا لظنونه :
فترى الامة فى سورتها
عظة الحاكم مكرا ، ويرى
ذلك الحاكم شكواها نفورا :

عثمان — اننى حاولت أن اصلح أمرى .

على — فلماذا لاتنفذ ما تقول ؟

عثمان — سترى الاصلاح منى بعد حين ،
فاصرف الناس على وعد صحيح .

على — سأناديهم ليمضوا مفشيا
بينهم وعد أمير المؤمنين (يخرج على)

عثمان — رب لا أملك من أمرك أمرا
فابدل اللهم هذا الحال خيرا

(يخرج)

الفصل الخامس

عثمان محصور فى بيته ومعه وفد من الثوار

الاول — يا أبا عمرو أما كنت الذى
عزل الوالى ابن سرح راضيا ؟

عثمان — ولقد وليت منه بدلا .

الاول — فاذن كيف مضى هذا الخطاب ؟
أنه أمر لوالى مصر حتى
يقتل الوفد الذى جاء هنا

(ينظر عثمان الخطاب)

عثمان — أنا لم آمر بهذا ابدا

الاول — ان مولاك هو الحامل هذا

عثمان — أنا لم أرسل رسولا ابدا

الاول — ان هذا الختم معروف لنا
انه ختم أمير المؤمنين .

عثمان — اننى والله لم ا كتب له
ذلك القول ولم أعلم به .

الاول — انت لا شك أمين صادق .
قد رضينا منك تأكيد اليمين
غير انا نرتجى منك رجاء

عثمان — أى شىء ؟

الاول — ان هذا خاتمك ؟

عثمان — هو هذا خاتم يشبهه
ولقد يصنع قين خاتما
مثل هذا .

الاول — فاذن اسلم لنا
حافظ الخاتم كى نسأله
اعطنا مروان . حتى ما اذا
ظهر الحق على اجرامه
نال ما يرضى له عدل الكتاب .

عثمان — انا أولى الناس بالحكم فلا

ينبغى أن ينظر الأمر سواى

الاول فاذن ترفض ؟

الثانى ما كان لنا
أن نضيع الوقت فى هذا الحديث
فهلموا

عثمان لو تشاؤون فانى لا أجيب .
(ينصرفون غاضبين)

عثمان قد مضى الدهر الذى كنا به
بين أصحاب كرام . كلما
جاء يوم كان فى مطلعه
أمل فى أن نرى مجداً جديداً .
حسبى الله . فهانحن نرى
هؤلاء الناس قد هموا بنا
وكانى لست فيهم بخليفة .
فاحاطونى بدارى مثلما
يحصر الجند عدوا — وأبوا

أن يبيحونا طعاما أو شرابا

مروان — أنت قد لنت كثيراً وأرى
ان هذا الشر قد حاق بنا
عندما لنت ولم ترض النصيحة .

عثمان — ما الذى كنت ترانى فاعلا ؟

مروان — إنه ما زال فينا قوة :
فاذا شئت فدعنى فلنا
من جنود الشام جيش باسل
يضمن النصر لنا . فلتدعه .

عثمان — قدك يامروان — ماذا أبتغى ؟
أى شىء هذه الدنيا ؟ ومن
أنا حتى أحتمى خلف الجيوش ؟
أترى أن أختم العمر على
مثل هذا الجرم ؟ ويل لى اذن
ان خيراً لى هلاك عاجل
من حياة اشتريها إن يكن

تمن العيش دماء المسلمين .

مروان — ليس لى أمر ولكنى أرى
أن فى الجو غيوما حشوها
صاعقات وسيول من دماء
(يسمع صياح وينادى الصائحون
باسم مروان)

عثمان — لست أدرى سر هذا — عجبا .
ما الذى أرسل ذياك الخطاب ؟
أترى أنت الذى أرسلته
لابن سرح ؟

مروان — أنا ما أرسلته .

عثمان — عجبا والله . لم ترسله !
وأنا ما كان لى علم به .
أترى قلد غيرى خاتمى
قاصداً أن يوقع الشر بنا ؟

مروان — عل هذا . كم لنا من كاره

(يسمع ضجيج و يردد اسم مروان)
انهم يبغوننى . دعنى لهم
فاذا كان دمى يدفعهم
فليكن قتلى فداء (يهم بالسير)

عثمان — لا تسر
اننى أمنع هذا . لن أرى
مثل هذا الظلم مادامت حياتى .

مروان — فاذن دعنى قليلا لأرى . . .
ما الذى أسمع . (تسمع ضجة
أخرى يدخل الخادم)

الخادم — قد هموا بنا
ورمونا بسهام ومضى
نفر منهم الى جيراننا
كى ينالوا مدخلا فى بيتنا .
ولقد أقبل قوم بينهم
يحرقون الباب

مروان دعنى لأرى
ذلك الامر

عثمان ولكن لا تسر
خارجا فى الجمع

مروان لا بأس اذن

(يخرج)

عثمان كيف أرضى الظلم يارب له
إن هذا الناس إن يظفر به
قطعوه قطعاً قبل القضاء .
كيف هذا ؟ إن فى الأمر لسرا :
أنا لم اكتب خطابا لابن سرح
آمراً أن يقتل الوفد الذى
جاء بالشكوى . فمن ذا كتبه ؟
هل رأى مروان أن يكتبه
راجيا أن يقمع الناس ؟ ولكن
أين لى علم يقين بالحقيقة ؟

فلئن لم يظهر الحق جليا ،
فمن الظلم إذن إسلامه
لعذاب القوم والقوم غضاب .

(تسمع ضجة)

(ينادى) ما الذى اسمع؟ماهذا الضجيج

الخادم هذه الضجة من قوم أتوا
يمنعون الماء اذ جاء به
فتيان لا أرى وجهيهما
فاذا ما أقبلا نالهما
من أذى الناس جراح داميات
غير أن الناس لانوا فمضوا ،
ولعل القادمين ابنا على .

عثمان ثم ماذا تم ؟

الخادم وقفا بالباب كالأسد وفى
يد كل منهما مقبض سيفه .
وأرى الناس يخافونهما ،

و يسيرون فرادى وجموعا .

(يدخل سيار مسرعاً)

عثمان — كيف ياسيار ! ماذا جاء بك ؟

سيار — ان بالباب الحسين والحسن
يمنعان الناس أن يسموا الينا
أترى أن نأخذ السيف كذلك ؟

عثمان — لا . فهل أصبح بيتى معقلا
ليس يحميه سوى سيف الجنود ؟
كيف مروان ؟

سيار — ان مروان قتيل أو جريح .
خرج الآن فثارت فتنة
مع قوم من هذيل وخزاعة ،
وأصابته جراح لا أرى
أنه يبرأ منها سالما .

عثمان — هذه من بادرات الفشل و
ألق هذا السيف وادع الآخرين .

ليس فى بيتى مأوى القاتلين .
أدمى المطلوب ؟ لابأس اذن .
ليس لى ضن بهاتيك الحياة
(ينظر النبل على الارض)
ذلك النبل الذى ألقوا به
ليصيبونى — أعده لهم
[يرمى النبل الى الثوار فى الخارج]
علهم يرمون منى مقتلا .
عد الى مروان وانظر كيف حاله
(يخرج سيار)
سئمت نفسى تكاليف الحياة
(يسير الى المصحف)
ان فى الله ملاذ الحائرين ،
عنده تنسى عظيمات الأمور .
(يجلس ويقرأ)
(تسمع ضجة وصوت عال)

[ويدخل محمد بن أبى بكر هائجا]

محمد

أنت يانعثل لا كانت يدى
أن نجوت اليوم من تلك اليمين .
كيف تدعونى لمصر واليا
فاذا سرت اليها خرجت
كتب منك الى مصر بقتلى ؟
[يقرب منه و يمساك لحيته و يهزها]
نعثلا لازلت حناث اليمين

عثمان

قد مضى الدهر ولم يبق لنا
من لياليه سوى سوء المقام .
هذه اللحية ما كان لها
أن أحداثاً عليها يعبثون .
قم وأرسلها فوالله لئن
كان هذا وأبو بكر معى
عزو الله عليه ما يرى .
[محمد يرجف و يترك لحيته]

[محمد يقول لنفسه وهو يجرى] — رحم الله أبا بكر أبى
أنه والله لو أبصرنى
مؤذيا عثمان لارتاع له
كيف أوذى من أبو بكر صديقه
(يخرج جاريا)
[يدخل الثانى]

الثانى — خار هذا الطفل عن مقصده
عند ما ذكرته باسم أبيه .
فاذا اسطعت فخوفنى بمن
ذكره يضعف من تلك اليمين .
(يهز السيف)

عثمان — لست أخشى ذلك السيف فما
احدباق بهاتيك الحياة .
كم وقفنا ننظر الموت , فما
خلع الموت لناقط فؤاداً .

الرجل — انت لا تخشى هلا كا ، فاذن -

(يهم بضربه)

[تدخل نائله زوجة عثمان]

نائله — حسبنا الله وماذا بعد ذلك

(ندافع نائله عن عثمان)

عثمان — اتركيه — فليتم القدر .
ان عندى شاهدا لا يكذب .
أترى هذا الكتاب ؟ (يريه القرآن)

الرجل (لنفسه) — هز والله فؤادى . ويلتى !
ما الذى أبغى ؟ اقتلا للامير ؟
لا . فلن أفعل هذا أبداً !

(يخرج جاريا ويدخل الثالث)

الثالث — ضعف اثنان وانى ثالث
لن أضيع الوقت فى قول طويل
خوف أن تسحر قلبى بحديثك

(يضربه فى يده فيقطعها)

عثمان — وايدا والله حسى انها

سبقت بالخير والله شهيد .
انها أول كف كتبت
كلمات الله فى عهد الرسول .
(يهوى اليه الرجل فيقتله وتقف
دونه نائلة)
نائله قطعت أيديك ! واحرمه ربى .
هكذا يخذل مولى العرب
(يريد الرجل أن يقطع رأسه)
لافو الله لموت أولا
قبل تمثيل بشيخ المسلمين .
(تمانع نائله فى قطع رأسه ويخرج
الرجل)
هكذا يقتل مظلوما ، وما
كان بالهين بين العرب .
ليته كان دعى شيعته
يملأون الأرض من تلك الدماء

ويل هذا الخلق من ثاراته
ويكأنى أبصر الناس له
يستثيرون بانحاء البلاد
ويكأنى أبصر الخلق جيوشا
ودماءا جاريات بالبطاح .
لن يرى الناس سلاما ابدا .
يالثارات أمير المؤمنين ! !
يالثارات أمير المومنين ! !

عباس محمود العقاد

تذكار جيتي

تذكار جيتي

بقلم

عباس محمود العقاد

الطبعة الأولى

١٩٣٢ م — ١٣٥٠ هـ

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بالقاهرة
ادارة محمد عبد اللطيف جمعاوي

جيتى فى شبابه

بداية

ثارت الكنيسة على الطبيعه ، ثم ثارت القلعة على الكنيسة ، ثم ثارت المدينة على القلعة ، ثم ثار الفرد على المدينة .

تلك سلسلة من الثورات تكررت فى كل قطر من الأقطار الأوربية على التقريب ، ولكنها لم تكن قط أوضح مظهراً ولا أعمق أثراً ولا أجدر بالدراسة مما كانت فى الأقطار الألمانية خاصة

فسلطان الطبيعة كان عظيما فى كل أرض ، ولكنه لم يكن قط أعظم مما كان فى الأرض التى التقى فيها الشمال والجنوب ، والتى غنت للطبيعة وقدستها وحفظت من غنائها لها وتقديسها إياها ثمالة شائعة فى فنونها وعباداتها إلى اليوم

وسلطان الكنيسة كان عظيما فى كل أمة ، ولكنه لم يكن قط أعظم مما كان فى الأمة التى قامت عليها أركان « الدولة المقدسة » وسيطرت عليها الكهانة حتى دفعت بها إلى ثورة الاصلاح

وسلطان القلعة كان عظيما فى كل بلد ، ولكنه لم يكن

قط أعظم مما كان فى البلاد التى تقسمها الأمراء دويلات دويلات ، وانقسمت فيها الدويلات أقاليم أقاليم ، وطال فيها عهد الاقطاع الى القرن العشرين ، وأصبح فيها توقير النبلاء دينا الى جانب الدين ، حتى شكا نبلاء سكسونية مرة من تعميد أبنائهم بالماء الذى يعمد به أبناء الوضعاء !!

وسلطان المدينة كان عظيما فى كل دولة ، ولكنه لم يكن قط أعظم مما كان فى الدولة التى اشتهرت فيها « المدن الحرة » واستقلت فيها بالمصالح والنظم والدساتير

وثورة الفرد على المدينة كانت معرضا للدراسة النفسية فى كل بيئة ، ولكنها لم تكن قط أغنى بمسائل البحث مما كانت فى البلاد التى خرجت فيها النزعة الفردية مزيجا من ثورة الطبيعة وثورة الكنيسة وثورة القلعة وثورة المدينة وثورة الأفراد ، وقلما امتزجت ثورات خمس فى نفس واحدة الا بدت للعين كأنها ضرب من السكون !

وبحق كان « هيجل » فيلسوفا المانيا ينظر الى العالم من خلال النفس الألمانية ، وبحق فسر التاريخ كله بالصراع الدائم بين

فكرتين تتصارعان ما تكاد احداهما تغلب الأخرى حتى تتصدى لها فكرة جديدة تنازعها أسلاب الغلب وتأبى عليها قرار الراحة ، فقد كانت النفس الألمانية ميدانا بقيت فيه بقيةٌ من كل صراع وغنيمة من كل غالب وكل مغلوب ، وانتهت بها النهاية فى هذه الصفة الى انسان جامع للثورات التى هى أشبه بالسكون ، أو للسكون الذى هو أشبه بالثورات ، ونعنى به « جيتى » شاعر الألمان الكبير ومحور الكلام فى هذه الرسالة ، فهو من ثم الألمانى فى الألمانيين ، وهو سليل الكنيسة الثائرة على الطبيعة ، والقلعة الثائرة على الكنيسة ، والمدينة الثائرة على القلعة ، والفرد الثائر على المدينة !

النفس الألمانية

النفس الانسانية لغز خفى على الرغم منها ، ولكنك إذا شارفت النفس الألمانية خيل اليك أنها لغز خفى باختيارها ، لأنها تحب الألغاز والخفايا وتعيش فيها ! ومامن نقيضة فى تلك النفس العجيبة تستعصى على التفسير الا كان تفسيرها القريب فى هذه الحقيقة الشاملة ... فالعلم بهذه الحقيقة زاد لايستغنى عنه المسافر فى مجاهل الحياة الألمانية ، من باطنة وظاهرة ، ومن قومية وفردية ، ومن قديمة وحديثة

اشتهر الألمان بالتدين والفلسفة والسحر والموسيقى والأناشيد والأحلام . وكل سمة من هذه السمات راجعة فى قرارتها الى الايمان بالغيب والولع بالأسرار

ولك أن تقول ان التدين والفلسفة والسحر إخوة ثلاثة يختلفون فى العرق والحسن والطهارة ، فالغيب الذى يبحث عنه التدين هو سر القلب والضمير ، والغيب الذى تبحث عنه الفلسفة هو سر الفكر والبصيرة ، والغيب الذى يبحث

عنه السحر هو سر القوى الجاهلة والغرائز العمياء ، ولكنها كلها لاتولد إلا فى مهد الخفايا ولاتوجد إلا حيث يكون التصديق بالأسرار

وقد ترى للسحر نوعين يختلفان أشد الاختلاف فى الأصل والدلالة ، فهنالك السحر السطحى الذى يجىء من الضلال فى تفسير ظواهر الأشياء ؛ وهنالك السحر الخفى الذى يجىء من الضلال فى تفسير البواطن ، وليس السحر الأول كالسحر الأخير ولا صاحب هذا كصاحب ذاك

فالباحث عن ظواهر الأشياء إن مشى اليها من طريقها القويم انتهى إلى العلم وإن مشى إليها من الطريق الأعوج انتهى إلى السحر والشعوذة ، ولكنه فى الحالين لا يتوخى مطلبا غير البحث عن علاقات الظواهر ؛ ولا يكلف نفسه النفاذ إلى أعماق المحسوسات . فهو فى الطريقين قانع بما يبدو على وجه الحياة

أما السحر الآخر - أى سحر البواطن - فهو فلسفة خاطئة أو تدين خاطىء ، لأنه يتعدى المحسوسات الى ماوراءها ويتغلغل

من السطوح الى الأعماق . ولكنه يضل الطريق ، ويستهدى الى غايته بغير هداية القلب والضمير ، أو هداية الفكر والبصيرة .

والسحر الآخر هذا هو سحر الألمان فى القرون الوسطى ، فقد كانوا سحرة لأنهم لم يستطيعوا بعدُ أن يكونوا فلاسفة ، وطال بهم عهد التصديق بالسحر إلى أن بدأ عهد الفلسفة الحديثة فى القرون الأخيرة ، فأحرقت امرأة ساحرة فى سويسرة الألمانية سنة ١٧٨٣ . . . . وبلغ عدد العجائز المحرقات بأمر أسقف واحد فى سنة واحدة من أواخر القرن السابع عشر ستمائة عجوز !! ولا يخفى أن الآمرين بالاحراق أشد إيمانا بالسحر من المتهمين باقترافه . لأن الساحر المتهم قد يعلم عجزه عن الاصابة ويعرف تمويهه على عقول الأغرار ؛ أما الآمرون باحراقه فلن يفعلوا ذلك الا وهم مؤمنون بقوة السحر على الاصابة وسلطانه على الناس

* * *

والموسيقى - ولا سيما الموسيقى الألمانية - هى أقرب

الفنون الى البواطن والأسرار ، وهى أحيانا دعاء المعابد وصلوات العباد ، وأحيانا لسان المعانى التى لاتعبر عنها الكلمات . وجيتى هو القائل : « لا تقرءوا أناشيدى ولكن غنوها فتكون أناشيدكم » . وتلك حقيقة خليقة بجيتى الشاعر وجيتى الألمانى على السواء . فالألحان هى سبيل الاتصال بين الأرواح فيما لا تغنى فيه الكلمات ، وهكذا اتصلت أرواح الألمان من قبل على ألحان الشعراء الطوافين وأغانى الفلاحين وأساطير الأبطال الغابرين ، ففى المانيا أدب حافل بالأغانى الشعبية لانظير له عند سائر الشعوب ، لأن الموسيقى عندهم عنصر من عناصر الباطن واحدى وسائل التعبير عن روح الشعب الأصيل

* * *

وفى هذه «الباطنية» تعليل لكثير من النقائض التى تظهر لنا على « روح الشعب الألمانى » ولا سيما فى فهمه للحرية والوطن والجامعه القومية . فقد طلب حرية الدين قبل غيره من شعوب أوربا وبقى متخلفا لا يطلب الحرية السياسية الا فى مؤخرة تلك

الشعوب ، ولاريب فى أن النزعة الباطنية هى أحد الأسباب القوية التى يرجع اليها ذلك الاسراع فى ثورة الدين وهذا الابطاء فى ثورة السياسة والاجتماع

فلما كان الظلم يوصد على الألمان باب الضمير لم يطيقوا الصبر عليه لأنه قد أوصد فى وجوههم الباب الذى منه يسلكون واليه يلجؤون ، ولما بقى هذا الباب مفتوحا لم تعنهم مظالم الحياة الخارجة لأنهم يعرضون عنها منصرفين إلى دخائل نفوسهم ، فلا تضيق بهم الحياة الخارجة كما تضيق بالمظلوم الذى يعلق عليها جميع الآمال

فالشعوب التى تستغرقها « الدنيا الظاهرة » يحرجها الظلم إذا أخذ عليها مسالك تلك الدنيا فيدفعها الى التمرد وطلب التغيير ، ولكن الألمان شعب لم تستغرقه « الدنيا الظاهرة » فكانت له مندوحة من حياة الروح يطلب عندها العزاء الصادق أو الكاذب : يطلب عندها أملا فى السماء أو رقية فى السحر أو سلوى من الفلسفة ، وفى ذلك كله تلطيف لوقع الظلم يؤجل الشعور به إلى حين

وهنا وجه المقابلة بين الالمان والفرنسيين ، فان الفرنسيين

هرعوا الى الديمقراطية ولكنهم لبثوا مع الكنيسة التى دان لها أجدادهم وآباء أجدادهم ، والألمان خرجوا على كنيسة الأجداد وأبطئوا فى تلبية الديمقراطية ، وهذا هو الفرق البين بين روحى الشعبين .

* * *

قلنا ان « النزعة الباطنية » هى أحد الاسباب القوية التى صبغت « الروح الالمانى » بهذه الصبغة فى فهم الحرية ، ولكنها ليست بالسبب الوحيد الذى جعل للحرية الالمانية والوطنية الالمانية معنى غير معناهما عند سائر الشعوب ، فيجب أن نذكر فى هذا الصدد أن الجرمان كانوا قبائل شتى ودويلات كثيرة تخضع للدولة المقدسة الكبرى . فكانت الدويلات الصغيرة تكره الدعوة الجرمانية فى بادىء الأمر لأنها تحس منها الخطر على وجودها وتخشى أن تفنيها فى غمار الدولة الكبرى ، بل لقد كان عدم الوطنية الجرمانية فى بعض العصور ضربا من الوطنية المشكورة فى الدويلات الصغيرة . فالبروسى مثلا كان ينكر الغيرة على الوطنية الجرمانية لأنها غيرة تلتهمه وتفنيه وتقضى

على غيرته البروسية ، فليس بعجيب أن يختلف معنى الوطن فى بلاد الجرمان عن معناه فى الأمم الأخرى زمنا من الأزمان

ويجب أن نذكر كذلك فى هذا الصدد أن مبادىء الديمقراطية حين وصلت الى ألمانيا كانت مبادىء عدوها المغير عليها المذل لكبريائها : كانت مبادىء الجيش الفرنسى والدولة الفرنسية ، فليس بعجيب أن يتلقاها فلاسفة الألمان بشىء من الفتور والاعراض ، وأن تجنح بهم الوطنية الى انكار الديمقراطية فى ابان المنافسة والملاحاة بين الشعبين، فهو روحٌ شعبى ذلك الذى جنح بهم من حيث لايشعرون الى انكار الدعوة « الشعبية » يوم جاءتهم على أسنة الرماح وأفواه المدافع من جانب الفرنسيين !

على ان السبب الذى يتصل بجميع هذه الأسباب ويكاد يدرجها كلها فى أطوائه هو حرب « الثلاثين » المشهورة . فان هذه الحرب الطحون قد دمرت ألمانيا فى الشمال والجنوب تدميرا وعطلت البحث والأدب فيها جيلين متواليين ورزّحت استقلال الفكر فيها خلال القرن السابع عشر الذى نشطت

فيه دعوة الفكر الحر فى الأمم الاوربية الكبرى

وهكذا اختلف الروح الألمانى فى مظاهر الحرية ومعانى الوطنية والعصبية اختلافا غير يسير ، فكان له نمط فذ من الاستقلال والشعور بالحقوق

ولسنا نفهم أمة الألمان وحدها حين نفهم هذه الحقائق ونلاحظ هذه الفروق ، ولكننا نفهم شاعرهم جيتى حق فهمه حين ندرك الروح الألمانى هذا الادراك ، ونلق بالنا على هذا النحو الى مزاج التدين والفلسفةوالسحروالموسيقى والأناشيد والأحلام .

نبذة عن الحرية الفنية
فى الأمة الألمانية

لاتخلو الدنيا من فكرتين تتصارعان كما يقول هيجل فيلسوف الألمان الذى أشرنا اليه فى كلمة البداءة . وانما الغلبة الكاملة فى هذا الصراع مستحيلة ، فكل فكرة غالبة تفقد بعض الشيء وكل فكرة مغلوبة تغنم بعض الشيء . ثم ينتهى المطاف وفى الدنيا آثار مختلفات لجميع الأفكار غالبها ومغلوبها على السواء

فاذا تحدثنا هنا عن تداول المدارس الفنية فى الأمة الألمانية وجب أن نذكر هذه الحقيقة وألا ننسى أن الغالب منها لم يبق كل البقاء وأن المغلوب منها لم يزل كل الزوال . فى العصر الحاضر اثارة من الأساليب الرومانية والمدرسية والفرنسية والمستقلة والزوبعية التى شاعت بعض الشيوع فى جيل جيتى ، وفيه كذلك اثارة من الرومانية الحديثة والطبيعية وما تجدد بعدهما من شتى الأساليب

وهذه الأساليب كلها قد تتلخص على سبيل الايجاز فى

أسلوبين اثنين يتداولان الغلب من أقدم عهود الفن فى الأمة الألمانية ، وهما الأسلوب اليونانى البسيط الصريح المعروف « بالكلاسيكى » والأسلوب المجازى المركب المعروف « بالرومانتيكى » . فكان الاسلوب المجازى المركب يستولى على أذواق الألمان فى القرون الوسطى الى ابان عصر النهضة والاصلاح . ثم ضعف سلطانه رويدا رويدا بعد فتح القسطنطينية ووفود الرهبان ورجال الفن الهاربين من فتح الترك يحملون كتب الاغريق وبقايا آدابهم الخالصة من شوائب العصور المظلمة . فراح القوم يطلبون الرجعة الى اسلوب اليونان القديم أو الأسلوب « الكلاسيكى » الصريح

وخير ما نفرق به بين الاسلوبين أو المدرستين ـ ولا سيما فى النحت والتصوير ـ ان نسمى احداهما البسيطة والأخرى المجازية ، وخير من ذاك أن نثبت هنا كلمة الشاعر الألمانى المبدع « هنريك هينى » فى الفرق بينهما كما وصفهما فى كتابه الشائق النافع عن البلاد الالمانية . فهو يقول : « ان الفرق بينهما هو أن الصور والشخوص فى الفن القديم تمثل أصحابها والفكرة التى عناها الفنان . فرحلات

« الاوديسى » مثلا لا تعنى شيئا آخر غير رحلات الرجل الذى هو ابن « لايرتس » وزوج « بنيلوب » والذى اسمه « أولس » . وكذلك تمثال باكوس القائم فى متحف اللوفر لا يدل على شىء آخر غير ابن سيميل الجميل يطل الحزن الجسور من عينيه وتبدر الشهوة الملهمة من نعومة ثغره وتقويس شفتيه . أما الاسلوب المجازى فغير ذلك فى مغازيه : إذ رحلات الفارس تنطوى على كنايات خفية وتشير إلى ضلالات الحياة ومتاهاتها فى جملتها . والتنين المقهور انما هو الخطيئة ! وشجرة اللوز التى تزجى برياها الشذى من بعيد الى البطل الهائم انما هى ثالوث الأب والابن والروح القدس : ثلاثة فى واحد ، كما أن القشر والليف والنواة ثلاثة فى لوزة واحدة . واذا وصف هومر درع ناضل فما هى فى عرف الاسلوب القديم الا درعا موضونة تساوى كذا من رءوس البقر ، أما اذا وصف راهب القرون الوسطى ثياب العذراء فى قصيدته فثق اذن أنه يعنى بكل طية من طياتها فضيلة من الفضائل ، وان هناك سرا مكنونا فى ثياب العذراء الطهور . وانها هى لزهرة اللوز اذا كان

ابنها نواتها ، وهـذه هى سنة ذلك الاسلوب من شعر القرون الوسطى التى نسميها المدرسة الرومانية » .

هذا هو تفريق هينى بين مدرستى القرون الوسطى ، ولـكنه يسرى بعض السريان إلى فروعها فى العصور الحـديثة . ففى المدرسة اليونانيـة حيث ظهرت بساطة وصراحة ؛ وفى المدرسة المجازية حيث ظهرت لف ومجاز

إلا أن طلاب العودة إلى البساطة فى ذلك الزمن كانوا مقلدين فلم يسلموا من غلطات التقليد التى لامحيص عنها . فـكان الصواب الفنى عندهم وقفا على الأقدمين فلا يصيب الشاعر ولا المصور ولا الموسيقى إلا على نمط واحد هو نمط أولئك الأقدمين ، كأنما الصحة الفنية ضرب آخر من الصحة الحسابية كما قال بعض النقاد ، فمسألة الحساب لا تصح إلا بجواب واحد وصورة الفنان كذلك لا تصح إلا على مثال واحـد ! ! ومن ثم جاءت القيود وكثرت الشروط ، فانتقل أصحاب الفنون من خطأ المجاز إلى خطأ البساطة ، ولما أوشكوا أن يبرأ ومن هذا الخطأ الجديد صدمتهـم حرب « الثلاثين » فى القرن السابع عشر

فباءوا إلى فترة طويلة من الاعياء وضعف الثقة والركود .

خرجت البلاد الالمانية بعد حرب « الثلاثين » منهوكة العزم موهونة الرأى ، فأقفرت المدن الحرة التى ظهرت فيها طلائع الاستقلال والنشاط ، وخربت المزارع وكسدت التجارة ، واشتد طغيان الأمراء كما يتفق احيانا فى أعقاب الحروب الطوال الجوائح ، فانكسرت النفوس وفترت الهمم وران على الأمة شك وبيل فى كل ما هو جرمانى وكل ماهو بسبيل من الجرمانية ، وراجت بينها محاكاة الأجانب ولاسيما الأمة الفرنسية التى كانت يومئذ فى أوج عمرانها وبذخ سلطانها ، وكان بلاطها قدوة الملوك والامراء فى الآداب والأزياء والسموت ، فبطل الكلام بالألمانية فى مجالس العلية والسروات حتى أصبحت الخطابة بها وصمة لا تليق بالرجل المهذب النبيل ، وأضر هذا التقليد ضرره الذى لا ريب فيه ولكنه لم يخل من فائدة حسنة وتمهيد صالح . اذ كان الأدب الفرنسى فى ذلك العصر حيا بمبتكراته ومنقولاته عن قدماء الاغريق ، فانتفع به الألمان وكان له بينهم أثر حميد . ثم كثرت الترجمة من كل لغة لها أدب

وكتابة حتى اللغات الشرقية ، فنقلت مأثورات من لغات الانجليز والاسبان والطليان ، ونقلت مأثورات من العربية والفارسية والهندية ، وكان لذلك كله أثره المنظور فى توسيع النظر وتعديل المقاييس والآراء

ثم تماسك الألمان وراجعتهم الثقة وبدرت بينهم بوادر الوحدة والعصبية ، فكتبوا ونظموا فى الأدب الرفيع باللغة الألمانية وتعلقوا بأساطيرهم القديمة وأقبلوا على جمعها واقتباسها ، واشتط بعضهم فشنوا الغارة على كل أجنبى حديث ! بل اجترأ بعضهم فلم يحفل بقيود الأدب القديم : تلك القيود التى كان لها السلطان النافذ قبل ذاك

ويرجع الفضل فى النهضة الألمانية الحديثة الى أدباء كثيرين لا يسعنا ذكرهم فى هذا المقام أجمعين ، فحسبنا أن نذكر منهم من كان أقربهم الى جيتى عهدا وصلة بالسمع أو بالعيان ، وهم جوتشيد منق التمثيل فى ألمانيا من السخائف والكثافات ، و« لسنغ » الداعية الموفق الى أسلوب الاغريق وأسلوب

الابتكار ، وونكلمان مؤرخ الفن القديم بوحى من روح العلم وروح الأدب ، و « فيلاند » مطلق الخيال الالمانى ومسدد خطاه ونافخه بحرارة الجنوب ، و « كلوبستك » ملتون الألمان ، وهردر الذى نهج بجيتى على النهج القويم فى فهم اليونان وشكسبير والعودة إلى مآثر التيوتون ، وكلهم سابقون لجيتى فى الميلاد بزمن قصير

على أن المدرسة أو الطريقة التى لايحسن بناأن ننساها فى هذا المقام هى المدرسة التى عرفت باسم الزوبعة وراجت فى ابان نشأة جيتى أيما رواج : سميت باسم رواية تمثيلية للأديب « كلنجر » ودلت تسميتها هذه على حقيقة ما ترمى اليه ، فهى مدرسة جامحة لاتذعن لقيدقديم ولاحديث، ورواية « جوتز » التى ألفها جيتى فى شبابه هى احدى ثمار هذه المدرسة بغير خلاف .

* * *

هذه لمحة عاجلة — بل عاجلة جدا — عن تاريخ الحرية الفنية فى الأمة الالمانية الى عهد جيتى : وهى بمثابة تصوير اتجاه

النهر دون تصوير فروعه وقنواته ومدنه ، وربما حدث فى مجارى الأنهار أن يتفرع عليها الجدول فيسبقها الى الأمام أو يكر راجعا الى الوراء . فبينما النهر الأصيل متجه الى الشمال اذا بفرعه الكبير أو الصغير يتجه الى الجنوب

وهذا الذى حدث فى نهر الآداب الالمانية من بداية ينبوعه ، فبقيت فروع منه فى وادى المجاز حين تدفق مجراه الى وادى الصراحة ، وقامت مدائن منه على فرعين : أحدهما مجازى وثانيهما صريح ! وما من أسلوب إلا رجع مرة بعد مرة على تفاوت فى القوة والغزارة ، فظهرت المجازية فى عهد جيتى بليغة الرسالة احيانا عزيزة الأنصار ، وجاءت فى هذه المرة تحوم حول الكنيسة وتنادى بأن الفن لم يزهر قط بمعزل عن كفالة الدين ، ورجع غير ذلك الاسلوب فى ذلك العهد الحافل بالنقائض والبدوات . الا أن شيئا واحدا تقوله فى جميع هذه الأحوال وأنت على ثقة من الصواب ، وهو أن الأغانى والأساطير القومية وأحاديث الأبطال الغابرين كانت تصاحب النهر أبدا فى كل مجرى وكل قناة ، وشيئا آخر تقوله

أيضا وأنت على ثقة من الصواب : وهو ان جيتى كان سليل هذه العناصر جميعها ففيه مشابه بارزة أوغير بارزة من قديمها وحديثها : يشبهها شبه الابن بآبائه وأجداده لاشبه المحاكى المفتون بمن يحاكيه ، وفرق بين الشبهين جد بعيد ، فاذا جاء الولد على آسال آبائه وأجداده فأنت لاتقول عنه انه يحاكيهم ويتعمد مشابهتهم ، بل ربما جاز لك ان تقول انهم ينتسبون اليه كما تقول انه ينتسب اليهم .

***

وبعد فمن تمام الكلام فى هذا السياق أن نعرض لحالة القصة والتمثيل قبل أيام جيتى بلمحة أخرى ، لأنه ساهم فى القصص وأصلح فى التمثيل غير قليل وألف للسرح واشتغل زمنا بادارته

فأما القصة فقد كتب فيها بعض الأدباء النابهين كتابة لابأس بها بعد حرب الثلاثين واتخذ لها من الفروسية العارمة المقتحمة موضوعا يناسب القلاقل والمخاطر التى كانت فاشية فى تلك الأيام . ثم ركدت فترة ريثما استوعبت الأذهان القصص المنقولة عن اللغات الاجنبية من طراز

« روبنسون كروزو» الانجليزية و «دون كيشوت » الاسبانية وروايات النخوة التى اشتهر بها اقليم بروفنس (Provence) فى فرنسا . فتهيأ المقلدون لمحاكاتها وكثرت الكتابة القصصية وأخذت فى التقدم ، وهى مع هذا لاتسلم من عيوب الطريقة المجازية التى تلتزم المغزى والعبرة فى كل رواية وفى كل نادرة، كأنما القصة عمل « وعظى » مقصود لهذا الغرض وليست عملا فنيا تجىء فيه العظات اتفاقا أو لاتجىء على الاطلاق ، ونشا جيتى فأدرك القصة الألمانية وهى على هذه الحال تتراوح بين العظات والفنون

وأما التمثيل فقد أصلح فيه جوتشيد ولسنغ وونكلمان ماتيسر لهم أن يصلحوا ، ولكنه بقى مع هذا فنين يكاد يستقل احدهما عن الآخر ، لافنا واحدا فى تطور واحد كما كان عند الفرنسيين والانجليز . فالعالى منه كان مقصورا على مسارح الأمراء فى قصورهم التى لا يدخلها غيرهم ومن يصطفونه لمجالسهم ، أو مقصورا على الطلاب فى الجامعات يلهون به فترة بعد فترة على غير انتظام ، والوضيع منه موكول الى الفرق

الطوافة التى لا كرامة لها ولا متسع للنبوغ فيها

ثم تولته عناية الأمراء والادباء رويدا رويدا حتى ارتقى بعض الارتقاء . ولكنك خليق ان تعلم مدى ارتقائه هذا متى علمت ان النظارة كانوا يعاقرون الخمر فى ردهة دار التمثيل ويدخلونها بأطفالهم وكلابهم فى أيام « فيمار » الزاهرة ، وهى الايام التى أشرف فيها جيتى على ادراة التمثيل

* * *

وإلى هنا قد يستريح ضمير الكاتب الاوربى الى السكوت وهو يصف العناصر التى اشتركت فى تكوين جيتى فلا يزيد على ماتقدم .

الا أن الكاتب العربى مطالب فيما نعتقد بكلمة أخرى قلما تعثر بها فى تراجم الاوربيين لذلك الشاعر . فليس يسعه الا أن يضيف الى ماتقدم كلمة واجبة عن العناصر الشرقية التى اتصلت بجيتى وأثرت فيه بعض التأثير ، فمما لاريب فيه ان للعربية فضلا لا ينكر فى تثقيف جيتى وتغذية خياله ، لان آداب العرب وصلت الى الالمان فى العصر السابق لعصر جيتى من طريقين لا من طريق واحد : أحدهما مباشر وهو طريق الترجمة من العربية الى الالمانية ، والآخر غير مباشر وهو طريق الآثار التي ترجمت عن الانجليزية والاسبانية

والفرنسية وكانت فيها مسحة واضحة من الآداب العربية

فقصة « روبنسون كروزو » — وهى من أهم ما أثر فى القصص الالمانى — مدينة لرحلات السندباد وأسطورة حى ابن يقظان الفلسفية اللتين ظهرتا فى الانجليزية قبل « روبنسون كروزو » بزمن وجيز . و « دون كيشوت » الاسبانية — وهى كذلك من أهم ما أثر فى القصص الالمانى — عربية فى الفكاهة والتقسيم وتكاد تكون بعض أمثالها ترجمة حرفية للأمثال المعروفة عند الاندلسيين ، وشعراء بروفنس — وهم أصحاب أثر واضح فى القصص الالمانى — قد أخذوا كثيرا من شعر الاندلس حتى أوزانهم التى تشبه أوزان أزجال ابن قزمان(١)

فاسم الأدب العربى لن ينسى اذا ذكرت اليوم أسماء الآداب التى مازجت عبقرية «جيتى» أو مازجتها تلك العبقرية العظيمة ، وهو نفسه قد أدى شهادته لذلك الأدب بديوان طريف ظريف سماه « الديوان الشرقى » نسج فيه على منوال العرب والشرقيين فى الغزل والوصف والحنين ، وسنتكلم عنه بعد ، ونترجم منه طرفا فى باب المختارات .

(١) راجع فصل الاستاذ جب فى كتاب رسالة الاسلام «The Legacy of Islam»

حياة جيتى

١٧٤٩ — ١٨٣٢

كان جيتى يغبط صاحبه شيلر لموته فى العقد الخامس من عمره ، فذكراه أبدا مقرونة بذكرى الشباب المحبوب والنضارة المومؤقة

وقلما يصيب المرء فى تمنيه ولوكان من الحكماء . فلو مات جيتى فى سن صاحبه لضاع أكبر نصيبه من الشهرة وهبطت مكانته فى عيون قومه وعيون سائر الاقوام ، لأن طول عمره أقامه فى الأدب الألمانى الحديث مقام الأبوة والرجحان ، وأتاح له أن يتم مابدأه من الكتب فى أوائل الحياة

لكنه كان يتمنى ذكرى الشباب على خطأ أوعلى صواب ، فعزاء له ولاريب أن تضمه الارض اليها وهى فى نضرتها وان تلف ذكراه فى أكفان ربيعها ، فقد مات فى الثانى والعشرين من شهر مارس خاتمة الشتاء ، فلا يذكره الذاكرون الا بدرت إلى اذهانهم صور الربيع فى مطلع وروده ورياحينه ! وتلك قسمة

خير من قسمة صاحبه المغاضر قبل أوانه ؛ وان لم يكن فيها محاباة من القدر ولا اجحاف

نعم لامحاباة من القدر فى هذا الازدواج بين تحية جيتى وتحية الربيع ، فانما عاش الرجل حياته كلها على طولها فى ربيع ناضر من نسج الفن والطبيعة على السواء . ونشأ فى حجر الجمال من لدن كان فى طفولته الأولى الى أن نيف على الثمانين ، ففى الرابعة عشرة حب وجمال وفى سرير الموت حب وجمال ! وكانت احدى كلماته الأخيرة فى غيبوبة الاحتضار اشارة الى رأس امرأة فى الخيال . فقال لمن كان يراهم فى غيبوبته من ملأ الفنون : « انظروا الى رأس تلك المرأة الفاتنة ذات الغدائر الفواحم فى لونها الفاخر من ورائها الظهارة السوداء ! » : وهكذا كانت عيناه لاتملان محاسن الدنيا فى صحو ولاغيبوبة ، وقلما فارقه الصحو فى أزمات الروح والجسد ، وقلما احتوته الغيبوبة الا فى قبضة الحمام أو فى قبضة السقام .

بل لقد خطب الرجل وهو فى الرابعة والسبعين فتاة فى التاسعة عشرة ! فلما أعرضت عنه تشفع اليها وإلى أمها بأميره

جيتى فى سنة ١٨٢٦

الذى حقق فيه قول أبى الطيب :

علّ الامير يرى ذلى فيشفع لى
عند التى تركتنى فى الهوى مثلا

فلما أصرت أمها على الرفض كما ينبغى أن تصر كل والدة فى مثل هذه الخطبة انقلب إلى بيته مزودا بقبلتين اثنتين جادت بهما الفتاة عليه فى موقف التعزية ! وراح يعانى برح الغرام وينظم قصائد الغزل ! وينسى أنه لا يبدو للدنيا فى صورة ربيعية وان كانت الدنيا لا تبدو له الا كذلك !

وظلت الحياة يانعة لقريحته كما ظلت يانعة لقلبه ، فأثمرت شجراته فى الفن والعلم أطيب الثمر ، وأخصبت أيامه كلها فى شتى المباحث والمشاركات كأخصب ما عرف فى أيام الشعراء المفكرين ، فمن شعر الى شريعة الى سحر الى تصوير الى موسيقى الى طب الى معادن الى نبات : تختلف فى الجودة ولكنها لا تختلف فى النماء ، فان أينعت منها جوانب وأقفرت جوانب أخرى فكما تختلف البقعتان فى الأوان الواحد هذه عداها الماء والزرع وهذه يجرى اليها الماء وتعمل فيها يد الأكار ، وكلتاهما مطويتان فى أوان

الربيع ، وليس اختلافهما كاختلاف الربيع والشتاء، أو كاختلاف النضرة والذبول .

أجل ! هو ربيع دام فى هذه الأرض نيفا وثمانين عاما يخصب حينا كما يخصب الربيع ويجدب أيضاً كما يجدب الربيع ، وهو ربيع الطبيعة والفن معا .... فان شئت فقل انه تمثال حياة ، وإن شئت فقل انه حياة تمثال ! ولكنك لا تستطيع أن تتصوره دون أن تجمع فى تصورك إياه بين الحياة والتمثال فى إهاب واحد ! وستعلم من تفصيل وصفه اللاحق أننا نعنى الحقيقة هنا ولا نعنى اللعب بالكلمات

* * *

ولد جوهان ولفجانج جيتى بمدينة فرنكفورت فى الثامن والعشرين من شهر أغسطس لسنة ١٧٤٩ ، من سلالة كان فيهم الحائك والحداد والبيطار والضابط والتاجر ، فهم من ناحية الأبوين صناع ارتقوا إلى طبقة الموسرين ، وكان أبوه فى الحادية والأربعين وأمه فى الثامنة عشرة حين ولد لهما هذا الطفل المشكوك فى حياته الذى عاش بعد ذلك الى الثالثة

والثمانين ، فشب فى بيت لاتقارب فيه بين الأبوين فى السن ولا تقارب فى المزاج ، اذ كان أبوه جافيا شديداً فى « النظام »

جوهان كاسبر والد جيتى

حريصا على سمت وجاهته ولقبه الذى اشتراه بالمال ، مرير النفس لفشله فى رجاء العظمة والظهور ، وكانت أمه

كاترينا اليصابات والدة جيتى

طروبا ضحوكا مشغوفة بالسرور . ووصف جيتى فى شيخوخته ما ورثه من كليهما فقال انه ورث من أبيه قوة الخالجة والشك والتطلع . وورث من أمه المرح وحب الحياة والخيال ! وكانت أمه فيماعدا ذلك تقرأ الكتب الخفيفة من أدب الألمان والطليان فتبث فى ولدها ـ أو فى أخيها كما كانت تسميه بعض الأحيان ـ هوى القراءة والتخيل والأقاصيص ، فميراثه منها فى القريحة أكبر وأزكى ، وشبهه بأبيه أقرب وأوضح كما ترى فى صور الثلاثة

تعلم اللاتينية والايطالية والفرنسية فى طفولته الأولى ، وكان أبوه يتولى تعليمه فى معظم الأحوال لأنه درس علوم الحقوق وحصل فيها على لقب الدكتوراه ، وكان يؤلف فى الايطالية وله رحلة مكتوبة بها

ولما بلغ جيتى السابعة نشبت حرب السنوات السبع بين النمسا وبروسيا فكانت أمه فى جانب « ماريتريزا » وكان أبوه فى جانب «فردريك» الكبير ، أما هو فكان ـ هذه المرة ـ فى جانب أبيه ثم احتلت فرنكفورت فرقة فرنسية تساعد النمسا على

بروسيا ، واحتل قائدها « ثوران » منزل جيتى فغنم الطفل الصغير من هذا الاحتلال فائدة لاتنسى ، لأن ثوران كان ضابطا مثقفا يحب مجالسة الأدباء ورجال الفنون ويجمع الصور النفيسة ليرسل بها إلى بلاده ، ولأنه أذن لجيتى أن يشهد المسرح الفرنسى الذى كان يرافق الجيش فى احتلاله حيث شاء أن يشهده ، وتلك مزية يفرح بها الطفل فى العاشرة سن جيتى فى ذلك الحين ، ولا سيما طفل من غراره مطبوع على حب الفنون

وأخذ يتعلم الرياضة والموسيقى والتصوير واللغة الانجليزية وهو فى الثانية عشرة ، فاخترع قصة يعيش أبطالها فى ممالك مختلفة ويكتب كل منهم الى صاحبه بلغة بلده ، ليحذق هذه اللغات ويفتن فى أساليبها . وأدت به قراءة التوراة الى درس العبرية فنظم الشعر فى قصة يوسف وإخوته ، وكان يملى ماينظمه أو يكتبه على زميل له من صنائع أهله ، فتعود الاملاء عادة لزمته طول حياته . ثم برح بيت أبيه الى جامعة ليبزج ليدرس فيها الشريعة وما اليها وهو فى السادسة عشرة ، فبقى زمنا يدرس الشريعة ويزور

المتاحف ويمارس التصوير ويلهو أحيانا ويحرب الهوى والهجر والغيرة والاسراف كلما اتفق له ذلك ، حتى ضنى جسمه وأصيب بنزيف أوشك أن يقضى على حياته . وعاد الى بيت أهله بعد سنوات ثلاث وقد تداعى جسده وتداعى يقينه ، فلبث فيه أشهرا بين الموت والحياة . وهنا سنحت له فرصة الفراغ لدرس الكيمياء القديمة والسحر والطلاسم مع بعض الاطباء ، فقرأ فيها ماشاء وخرج منها كما خرج من جميع مباحثه بمتعة الفنان وتأمل الفيلسوف ، ثم قصد « ستراسبورج » فى هذه المرة ليستأنف دراسته فى جامعتها ، وكانت المدينة فرنسية فى الحياة العامة وأساليب المعيشة ، فتزود من حياتها وعلومها وصاحب طلاب الطب والعلوم الطبيعية فحضر معهم دروس الطب وطبقات الأرض وما إليها ، وشاهد هناك الكنيسة الكبرى فحببت اليه الفن القوطى القديم بعد نفور وسوء ظن ، وكان لهذه الكنيسة أثر بليغ فى تقديره للعبقرية الألمانية وتوقيره لآداب وطنه

ثم أتم دروس الجامعة وهو فى الثانية والعشرين ، وراح يتدرب على المحاماة فى « فتزلار » ويحب كدأبه أينما كان وأنى كان ! فالتقى بالفتاة « شارلوت بف » وأحبها

ووصف حبه اياها فى قصة « آلام الفتى فرتر » مع شىء من التحوير يقصد به المداراة وصرف الأنظار ، فاشتهرت القصة وذاع اسم مؤلفها بين العلية والمتأدبين وسائر الطبقات ، وفى طليعتهم « كارل أوغست » أمير « فيمار » الفتى المحب للفنون والآداب . فلما كان هذا الأمير يعبر « فرنكفورت » فى طريقه الى باريس أواخر سنة ١٧٧٤ استقدم جيتى اليه ودعاه الى عاصمته ، ثم تكررت الدعوة فلباها جيتى وهو لا يقدر البقاء الطويل فى تلك العاصمة . وكان من أسباب تلبيته حادث غرام يريد أن يفلت منه ونفور من صناعة المحاماة يحسن له هجرها ولو الى حين ، فقد بدأ فيها بداءة مضحكة ولم يمح النجاح اليسير الذى أصابه فيها نفوره الأول منها ، وقد أشار الى هذا النفور فى رواية « فوست » أثناء الكلام عن العلوم والدراسات

***

كان الأمير ربيب الأدباء نشأ على دأب أهله مشجعا للآداب الألمانية ، وكان فتى كريم النفس عارم الفتوة لا يفتأ بين صيد

وطرد ومبيت فى الخلاء ودعابة ومجون ، وكان له مذهب فى

جيتى وامير فيمار

الحب كمذهب جيتى لولا أنه جامح وثاب وجيتى لا يطيق الصبر الطويل على الجماح والوثوب ؛ ومن غرائبه فى هذا الباب أنه أمر بأن تجمع له مكتبة تضم أشتات ما كتب الكاتبون قديما وحديثا عن الحب بجميع ضروبه وأشكاله ، ومن دلائل نبله فى شبابه وكهولته أن أناسا وشوا عنده بالفيلسوف « فيخت » واعترضوا على توظيفه بجامعة « يينا » لنزعته الثورية الظاهرة ، فوضعوا بين يديه كتابا من كتبه ليقرأه ويعدل عن توظيفه . . . فلما قرأ الكتاب أمر بتوظيف الفيلسوف

عرف كل من الأمير والشاعر صاحبه معرفة البصير الناقد والصديق الشاكر للفضائل المتسامح فى العيوب ، فتوثقت بينهما الصداقة ودامت مدى الحياة ، وفى عاصمة هذه « الامارة الصغيرة » تولى الشاعر مناصب الوزارة العالية وتقلب فى أعمال شتى منها ماهو متصل بثقافته كالتعليم والتمثيل ومنها ماهو بمعزل عنها كالزراعة والمعادن والحرب ، فسوى بينها فى العناية وأخلص لها جميعها اخلاصه للشعر والقصة . ووالاه الأمير برعايته خلال ذلك كله فلم يبخل عليه بشىء يتوق

اليـه . فلما أحب أن يزور إيطاليا تركه يقيم فيها نحو عشرين شهرا ووظيفته جارية وأجره غير ممنون ، وقد نفعته هذه الرحلة فيما أقنعته برفضه وفيما أقنعته بأخذه . فقد عدل عن طلب التفوق فى التصوير ونفذ الى صميم الفن القديم

وعلى طول العشرة بين الرجلين لم يقع بينهما من الخلاف الا ما يقع بين الأخوين أو بين الصديقين الحميمين ، فاصطحبا فى أعمال الدولة حتى قضى الامير نحبه وأحس جيتى تغير الحال فاعتزل جميع هذه الأعمـال ، وان فضل الأمير فى هـذا الوفاء لفضل يلحقه بأكبر ذوى التيجان وان كانت أمارته من أصغر الامارات

نعم فاسم « فيمار » الآن اسم عظيم بين البلدان يحف به سـحر الطبيعة وسـحر الشعر وسـحر المأثورات ، اشتق الألمان اسمها من الـكرم فسـموها فاين مار « Weinmar » أى سوق الخمرة ، واقترن تاريخها الحديث بتاريخ أكبر الأدباء فى بلاد الجرمان أجمعين ، واتصل عهدها القـديم بعهد « لوثر » المصلح الـكبير الذى عاش فيها وخطب فيها واتخـذها معقلا يناضـل

منه روما فيما كان لها من سلطان الملك والدين ، وأراد الألمان أن يخطوا أساس دولتهم الجديدة بعد الحرب العظمى فلم يجدوا بلدا غير فيمار عاصمة «الروح» فى ألمانيا التى لم تتنكر لها الدنيا كلها حين تنكرت لبرلين وملوك برلين . ولكن هذا كله ما كان ليذكر عن « فيمار» لولا مروءة «كارل أوغست» وأريحيته وعلو همته وترحيبه فى عاصمته الصغيرة بكل عظيم الفكر والنفس فى دولة الجرمان الرحيبة الأكناف ، فلولاه لما كانت « فيمار » إلا قرية صغيرة يضيع اسمها بين أسماء الحواضر ولا تحتويها الخريطة الا من باب الاحصاء

* * *

هذه هى القرية التى أوى اليها الشاعر من خامس نوفمبر سنة ١٧٧٥ الى اليوم الذى مات فيه ، يداول بينها فى الاقامة وبين « يينا » القريبة منها . لم يفارقها الا لسياحة أو غربة قصيرة ، ولم يقع له فيهما من الحوادث ما يستحق أن يسمى بالحوادث . اذ كانت حياته حياة الفنان المتملى والحكيم المتأمل ، فهى حياة الخواطر والمؤلفات وليست حياة الوقائع والاخطار

ولقد عاش فى عصر الثورة الفرنسية ولقى نابليون

بيت جيتى الخلوى بين حدائق فيمار

أعظم رجال الدول فى ذلك الزمان ، ولكنك اذا سطرت تاريخه استطعت أن تحذف ذكر الثورة بأسرها دون أن تختل معك قواعد ذلك التاريخ ، واستطعت أن تلغى لقاءه لنابليون ولكنك لا تستطيع أن تلغى لقاءه للأديب هردر أو الشاعر شيلر ، بل لا تستطيع أن تلغى لقاءه لحسناء من أولئك الحسان اللواتى غذينه بغذاء الأرباب من نور العيون ووهج القلوب ، فكل حسناء عرفها كان لها شأن فى آثاره أجل من شأن نابليون

على اننا نحسب أن أعظم حوادث التكوين والتوجيه فى حياة هـذا العبقرى المعمر انما يبحث عنها فى سنواته العشر الأولى لا فيما أعقب ذلك من سنوات الشباب أو الكهولة أو الهرم : ففى سنته السادسة وقع زلزال لشبونة فطال فيه جدال الناس فى العدل الالهى وسقطت بذور الشك فى ضمير الطفل اليقظ المستريب ، وفى سنته السابعة نشبت الحرب بين النمسا وبروسيا فسمع عنها فى بيته كل ما يقال عن مطامع السياسية وحركات الشعوب من الجانبين المتحاربين ، وفى سنته العاشرة شهد التمثيل الفرنسى ورأى مظاهر القوة الفرنسية ،

جيتى فى إيطاليا

وهل فى عناصر جيتى الشيخ الملقى على سرير الموت مايزيد على هـذه الأصول ؟؟ قـد يكون ، ولـكنه بعدُ من قبيل الاضافـة والتفصيل لامن قبيل التـكوين والتوجيه

ومات الشيخ فى مولد الأرض وعرس الربيع : مات وهو يطلب المزيد من النور ويهتف بمن حوله وهو يجود بنفسه أن «افتحوا النافذة ليدخل النور» ... ثم عجز عن الكلام فطفق يومىء بأصبعه فى الهواء ويكتب بها كلمات وأوائل كلمات .. كأنه لايريد أن يكف عن « التعبير » وفيه رمق حياة

ولا حاجة بنا الى علم الأسرار لنفهم معنى النور الذى طلبه جيتى وهو يودع الحيـاة ، فلقائل ان يتعمق فى التفسير ويذهب الى معنى للنور أخفى من هذا المعنى الذى تراه العيون . اما جيتى فـا طلب قط شـيئا أنفس وأقدس من نور الشمس فى وضح النهار ، وما كان الضياء الخفى فى اقدس معاية الادون هذا الضياء المشهود نفاسة فى عينه وضميره على السواء

المرأة فى حياة جيتى

الأنوثة الأبدية تجذبنا إلى السماء

« جيتى »

أردنا أن نفرد كلمة خاصة للمرأة فى حياة جيتى لأن شأن المرأة فى حياة هذا الشاعر أجل من أن يُعبَر فى ترجمة وجيزة كالترجمة التى تتسع لها هذه الرسالة

فهو لم يفرغ يوما من الحب وذكرياته ، فأحب طائفة شتى : منهن الفتاة والنصف ، ومنهن الشقراء والسمراء ، ومنهن التى أحبها للرشاقة والدماثة ، والتى أحبها للجسد والمتعة ، والتى أحبها للذكاء والحصافة ، والتى أحبها للعطف الانثوى الذى يحتاج اليه الرجل الشاعر فى حياته النفسية ، وكلهن أفدنه فى أدبه وسيرته . فاتخذ بعضهن بطلات للقصص وصفهن على الحقيقة وصف الملهم العارف ، واتخذ بعضهن صديقات أمينات يكاشفهن ويكاشفنه ويعطف عليهن ويعطفن عليه . وكلهن أفدنه رجلا وشاعرا وصاحب منصب فى الحكومة ، فمن لم يدخلهن فى روايته وأغانيه فقد عرف

منهن طوية نفس المرأة ودخيلة الطبيعة الانسانية ، فجنى أحسن الثمر من الحب والصداقة

وقد كانت سليقة جيتى سليقة الشاعر المحب للمرأة المتهيأ للعاطفة ، فلهذا كثر عشقه وتعددت عشيقاته ، ولكننا خلقاء الا ننسى هنا بقية آداب الفروسية التى هام بها الألمان فى أواخر القرون الوسطى ، فانها فرضت الحب على الظرفاء والظريفات ، وهيأت لجيتى هذا السبيل الممهد فى نفسه وفى نفوس النساء

ويطول بنا الشرح لو ذهبنا نحصى كل من عرفهن فى شبابه ومشيبه ، فذلك درس دقيق شامل يخرج بنا عن القصد فيما نحن فيه ، فلنجتزئ هنا بالاشارة إلى النساء اللواتى كن أظهر أثرا فى سيرته وأطول صحبة لذكراه ، وأولئك فيما نعتقد خمس : هن « شارلوت بف » و « انا اليصابات شونمان » و « البارونه فون ستين » و « بتينا برنتانو » و « كرستيانا ڤلبيوس »

* * *

أما « شارلوت بف » فهى صاحبة قصة « فرتر » وهى مثال

شارلوت بف

الفتاة الألمانية المهذبة الوديعة الصالحة للبيت والبنين مع ميل الى السرور البرىء . ماتت أمها وهى فى نحو السادسة عشرة فقامت مع أبيها على تربية أخوتها الصغار وعرفت فى البلدة باسم « أم الأطفال الحسان » . وكانت لها أخت أكبر منها اسمها « كارولين » ولكنها هى التى كانت تخدم الأطفال وتحنو عليهم . فناءت باثقال الكفالة والتدبير وهى فى هذه السن الصغيرة ، فنشأت أميل الى الجد والرصانة منها الى اللعب والمراح

وجاء جيتى فى سنة ١٧٧٢ يتدرب على المحاماة فى « فتزلار » حيث كانت تقيم . فرآها وشغف بها وأعجب بحسنها وحبها للطبيعة واصغائها الى الأدب وفكاهتها السهلة السموح ، وكانت هى تألف عشرته وتجامله ولكنها ترده الى حدود الصداقة بأدب ولباقة ، لأنها كانت مخطوبة لفتى آخر موظف فى احدى السفارات اسمه كستنر أكبر من جيتى ببضع سنوات ، وكان كستنر صديقا لجيتى عرفه من بداية وصوله الى « فتزلار » . فتعقدت الصلات أيما تعقد ، ووجب على أحد الرجلين أن يخلى المكان لصاحبه قبل أن تفسد الصحبة بين الجميع

ولم تكن شارلوت تؤثر الزواج بالشاعر على الزواج بكستنر ، لانها كانت فتاة البيت التى توحى اليها الغريزة اختيار الزوج الصالح والمحبة المستقرة ، فلم يبق لجيتى الا أن يتراجع ويتوارى فى غير جلبة ولا غضب ، وقد فعل

وراح جيتى يتلدد ويتوجع لهذا الفراق وهذه الخيبة ، ولكنه شعر ببعض الراحة بعد أن ألف روايته عن « آلام الفتى فرتر » وأودعها ماأودع من خواطره وأشجانه ، ولعل من عبر العاطفة الانسانية ان نعرف كيف التقى جيتى وشارلوت بعد نيف واربعين سنة من هذا الفراق ، فقد زارته فى فيمار تسأله الرعاية لولديها أوغست وثيودور ، فلقيت الشيخ جيتى مؤدبا مفرطا فى الادب ، وبحثت من وراء هذا النقاب عن ملامح الفتى جيتى فى غير طائل

رأيت فيها شيخاً لست أعرفه وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتى

وتعسر الحديث بينهما ومل كل منهما صاحبه فى فترة قصيرة ، وخرجت تقول « لو رأيته فى الطريق ولم أعرف اسمه لما ترك فى نفسى أقل أثر ! »

وهكذا تتغير الآمال وتتقلب القلوب !

***

أما «أنا اليصابات شونمان» فهي التي أوحت الى جيتي بعض مناظر الجزء الاول من رواية «فوست» وأهمها شخص

ليلى

« مرجريت » بطلة تلك الرواية ، وقد خلد جيتى هذه الفتاة باسم « ليلى » فى اغانيه الشجية وقال لصديقه « اكرمان » الذى نقل الينا أحاديثه أنها كانت الاولى والأخيرة التى انطوى لها على أصدق الحب

عرفها فى فرنكفورت بعد فراقه لشارلوت بثلاث سنوات، وكانت تقاربها فى سنها ولكنهما على تفاوت فى البيئة والخليقة . فقد كانت « ليلى » بنت صاحب مصرف سرى يعيش فى قصره عيشة الترف والظهور، وكانت لعوبا عابثة تلهو بالحب والمحبين ، ووصفها جيتى فى قصيدته « حديقه ليلى » فاذا هى أشبه بالساحرة اليونانية التى ذكرتها لنا الأساطير وقالت لنا انها كانت تمسخ من تحب حيوانا سلس المقادة يهبط فى حبها حيث تشاء . « فلا معرض للسباع أحفل بأصنافها وأجناسها من معرض ليلى ! فهى تقنو فيه أعجب الحيوان وتقنصها ولاتدرى كيف وقعت لها » كذلك قال جيتى فى مطلع تلك القصيدة . ثم قال : « وما اسم الحورية الحسناء ؟ اسمها ليلى ! واياك والمزيد فى العرفان بها ! بل ان كنت لاتعرفها فاحمد الله على ذلك ، وما أكثر الصخب والتغريد اذا هى طلعت

على سباعها وفى يدها سلة الحبوب . . . . . كل هذا من أجل فتات من الخبز البيبيس ! ولكنه فى كفيها هو الشهد الحلو المذاق ».
ثم قال : «ويا لنظرتها من نظرة ويا لهتافها باسم بيبى بيبى من هتاف ! انهما لتستهويان النسر من أريكة جوبيتر ! ويمينا لتقبلن حمائم فينوس الوديعات اليها ويقبلن الطاووس الفاخر معها لو أتيح لها سماع تلك النبرة . وقد أعرف دبا ساء تعليمه وتنظيفه جذبته من ظلمة الغاب لتقوده تحت مقرعتها وتروضه كما تروض غيره . . . . . تقولون : أنا ؟ من ؟ ماذا ؟ نعم يا رفاق . أنا ذلكم الدب الذى وقع فى الحبالة مشدوداً بحبل من حرير » ثم قال بلسان ليلى تذكره « وحش ، أجل ! ولكنه مؤنس لا بأس به : هو أودع من أن يكون دبا وأوحش من أن يكون كلبا »
ثم ختم القصيدة صائحا « أيتها الآلهة ! أليس فى قدرتك أن تمسحى عنى هذا الطلسم . يا اشكرى ورضوانى لو رددت على الحرية المسلوبة! ولكن رويدك أيتها الآلهة لا تسعفينى بعونك . كلا ! فليس عبثا أن تضطرب أوصالى كما تضطرب الساعة . أقسم أن فىّ بقية من القوة أحسها تجول فى أوصالى »

ولا يبعد أن يكون جيتى فى هذه القصيدة ناظرا الى قصة روسو وصاحبته مدام ديبنيه التى كانت تدعوه بدبها . بيد أن القصيدة مع هذا كبيرة الدلالة على « ليلى » وعلى الشاعر المتهكم الصادق فى التهكم . فأى وصف لجيتى أصدق من وصفه لنفسه بالدب بين السباع ! إذليس هو بالنمر الهجامة المغتال ولا هو بالفيل البطىء الأنيس ، ولكنه قوام بينهما و « أودع من أن يكون دبا وأوحش من أن يكون كلبا » ... وهذه صورة لجيتى سيذكرها القارئ كلما ازداد علما بخلائقه وأخباره

تلك هى ليلى وذلك هو جيتى ! فأما « ليلى » الفتاة اللعوب فما كانت لترضى أبا الشاعر الحريص على العرف والآداب المثلى فى البيئة القديمة ، وأما « جيتى » الفتى القليل اليسار فلم يكن ليرضى صاحب المصرف الحريص على الثروة والسعة ، ولو وقف الأمر عند هذا لما صعب تدبيره وتذليل عقباته ، وإنما العقبة الكبرى فى الحقيقة هما الحبيبان لا والد الحبيبة ولا والد الحبيب . فلا ليلى كانت تجد فى طلب الزواج ولا جيتى كان يجد فى طلبه ، ولكنها رأت بين يديها فتى وسيما

مشهورا يتحدث الناس بروايته عن « آلام فرتر » وبالحب الذى أوحى تلك الرواية فودت أن تجرب قدرتها فى فتنته ، وكذلك رأى هو حبيبة فاتنة مزهوة لعوبا وهو يعالج رسيسا من الحب القديم فهويها وتعلق بها . وظل هكذا مترددا لا يبلغ من عشقه أن يشتد فيحطم الحوائل ويقدم على الزواج ولا يبلغ من اعراضه أن يتنحى وينسى . وإنه لكذلك إذ أنقذه رسول الأمير بالدعوة إلى فيمار ، فلباها وان مابه من رغبة الافلات لفوق مابه من رغبة اللياذ بالأمير

* * *

وما استقر فى فيمار حتى أخذ يتسلى عن هذه الخيبة الجديدة بمعشوقة جديدة ، الا أن معشوقة اليوم امرأة وافية الأنوثة وليست بصبية غريرة : امرأة تكبره بنحو سبع سنوات وتعرف من شؤن الدنيا وخفايا قلب الرجل وقلب المرأة ما ليست تعرفه فتاة ويندر أن تعرفه امرأة ، لأنها جمعت الى خبرة السن خبرة البلاط حيث كانت احدى الخواتين وكان زوجها أمين القصر الأميرى ، وجمعت إلى

صورة البارونة فون شتين بيدها

الخبرتين معا خبرة الفهم والفن والاطلاع ، فكانت موسيقية مصورة تغنى وتقرأ الشعر وتخوض فى المعارف العامة، وقد تشوق كلاهما إلى الآخر قبل أن يراه فسمعت هى بجيتى وحسنه ورأى هو صورتها وأعجب برشاقتها ، فلما تلاقيا كانا على أهبة للحب فتحابا . وطالت صلة الحب بينهما عشر سنوات يراها وتراه ويكتب اليها وتكتب اليه ، وتدافعه تارة وتجاذبه تارة أخرى ، وهى فى جميع ذلك تتعهده بيد صناع فلا يشبع ولا يمل ، فاذا آنست منه الملالة فسرعان ما تعيده اليها بألعوبة كيسة وحيلة مطمعة ميئسة . وفى احدى قصائده اليها يقول لها : « أنت تعرفين كل حركة فى ضميرى وتلمحين كل هزة فى وشائجى وعروقى ، وتستطيعين بفرد نظرة منك أن تقرأيني أنا الذى طالما تعبت عيون بنى الفناء فى النفاذ الى سريرتى . أنت تسكبين السكينة فى دمى الفائر وتقومين خطاى الشاردة الهوجاء »

وجيتى يعنى مايقول ، ففى هذا الخطاب بيان لسر هذا العشق الذى قام على تفاهم الفكرين وتقارب النفسين ، وما كان جيتى

بالمخدوع فى ذكائها فقد شهد صديقه شيلر بفضلها وعذره فى اعجابه بها ، وما كانت على عينى شيلر غشاوة الحب التى تحجب الحقيقة عن المحبين

وقد لبثا على غرام يحتدم يوما ويسكن يوما حتى نيفت المعشوقة على الأربعين ووقع جيتى فى شباك غرام جديد ، فتغاضبا وتعاتبا وأرادمنها أن تكون الصديقة فأبت إلا أن تكون العشيقة ! فانبت مابينهما برهة ثم تراجعا الى الود ورضيا بالولاء الدائم بعدالغرام الزائل . وعاشت الى الرابعة والثمانين فهنأته آخر تهنئة لها بعيد ميلاده ، فرد عليها بأبيات متكلفة هى جهد ما استطاع من أحياء لماضى الغرام الدفين

تلك هى البارونة فون شتين الألمانية التى تنتمى من ناحية الأم إلى أسرة ايقوسية . وهى أذكى وأقدر صواحبه الكثيرات ، وهى التى شاطرته كما رأيت حياة الفكر والقلب والخيال ، ونعم فى ظلها بسكينة كان فى حاجة اليها ، وأنس إلى قربها أنس الحنان والولاء

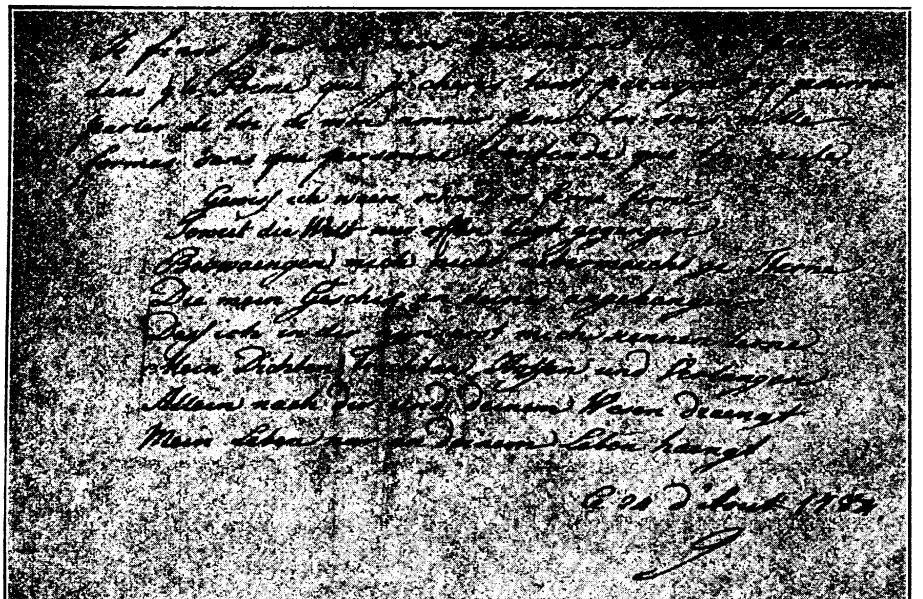

جزء من خطاب فرنسي الي البارونة فون شتين بخط جيتى وفي ذيله أبيات بالالمانية

فرتز ابن البارونة فون شتين كما صوره جيتى

***

أما « بتينا برنتانو » فهى من سلالة إيطالية من ناحية أبيها وهى أهم عندنا مما كانت عند جيتى . فقد حفظت فى كتابها أحاديث له ولأمه لاغنية عنها فى شرح ترجمته ، وربما كان الأصح أنها هى عشقت جيتى ولم يكن لها بعاشق : عشقته

وهو فى الثامنة والخمسين وهى فى مقتبل الشباب

وكان هو يعرف أمها مكسميليان ويعبث بمغازلتها فى فرنكفورت بُعيد اخفاقه فى حب شارلوت ، فلما زارته «بتينا» فى فيمار أزعجته بحماحها ورعونتها وفرط غيرتها فى غير موجب . فقد كانت

بتينا برنتانو

طفلة فى مزاجها والاعيبها وليست هى بطفلة فى سنيها ، وأهل أسرتها كلهم مشهورون بهذه الخفة على شهرتهم بالفطنة واللوذعية ! ولم يكن اثقل على جيتى من الرعونة و « الشيطنة » الصبيانية ولاسيما بعد أن جاوز الشباب وأوشك أن يجاوز الكهولة إلى الشيخوخة . فما هو إلا أن علم انها شتمت زوجه على أثر خلاف بينهما فى معرض الصور حتى اغتنم الفرصة وأبى عليها أن تدخل بيته بعدها . فراحت ترجو وتتوسل وهو على أعراضه مصر وبجفائه معتصم ، ولولا كتاباتها عن جيتى لصح أن نغفل ذكرها فى هذه الكلمة السريعة

* * *

قال جيتى فى احدى أغانيه : « ذهبت إلى الغاب لاأدرى فيم ذهبت ، وما كنت أريد شيئاً ولا عنانى أن أريد . فانى لأرسل النظر فى ظلالها إذا زهيرة هنالك وضيئه كأنها نجم مليحة كأنها عين ، هممت أن أقطفها فسمعتها تقول فى لطف ورخامة : أقاطفى أنت لأذوى فى يديك بعد هنيهة ؟ فحنوت عليها

ورفعتها من جذورها ونقلتها إلى حديقة تصاقب المنزل البهيج . وهنالك غرستها من جديد فى مكان فريد ، فترعرعت ولم يفارقها الرواء »

هذه الزهرة التى تغنى بهاجيتى هى الفتاة « كرستيان قلبيوس » التى انتهت علاقته بها إلى زواج وعشرة رضية ، وليست الأغنية كلها شعرا وخيالا لأنه فى الحقيقة لقى الفتاة أول لقاء فى حديقة فيمار المشهورة ، ومن هناك قطفها ونقلها الى المكان المصاقب للمنزل البهيج !

وكانت فى الثالثة والعشرين وهو فى التاسعة والثلاثين حين سيقت الى طريقه ، أوحين تعمدت أن تلقاه لترفع اليه عريضة لأخيها القصصى الناشىء يلتمس فيها عملا يرتزق منه ، فراعته الفتاة وراعها ، واشتبكت بينهما المودة ، ثم نقلها هى وأمها الى منزله بعد ما ولدت له أكبر ابنائه الذى سماه أوغست على اسم الأمير . ولكنه لم يكتب كتاب زواجه بها الا بعد ثمانى عشرة سنة من لقائها . اذ أغار الفرنسيون على بلاده فأشفق أن يموت أو تموت على غير وثيقة مشروعة

كرستيانا فلبيوس زوجة الشاعر

و كانت كرستيان على قسط وافر من الصباحة كأنها « رب الخمر فى صباه » كما وصفتها أم شوبنهور الفيلسوف ، وكانت على هيامها بالسرور وامتلائها بنشوة الصبا خير من يسوس البيت ويعين الزوج فى عمله ولو كان من قبيل عمل جيتى فى العلم والأدب . فقد كان يغنيها العطف عن الفهم حين تعضل عليها مسائله وأفكاره ، الا أنها لم تكن من الجهل بحيث صورتها « بتينا » والبارونة فون شتين عن حسد وغيرة . فان قصائد جيتى التى خاطبها بها شواهد على حظ من الثقافة والفطنة غير يسير ، ويقول الثقاة فى اللغة الألمانية ان قصائد الفصول الأربعة والرسائل الرومانية وما شاكلها من الأشعار التى نظمها فى ظل هذه العاطفة تفيض بحلاوة الأسلوب ورنة الصدق والغبطة ، وكلام جيتى يدل على الحب أوضح دلالة . فقد كتب من ايطاليا الى صديقه هردر يقول له وما هو بالمسرف فى وصف عواطفه : « ان الذين خلفتهم بعدى لأعزاء جدا علىّ . ولا أكتمك اننى شغف بالفتاة أيما شغف . وماعلمت مبلغ نياطى بها الا يوم بعدت

عنها » . وقال فى أبيات : « لطالما ضللت السبيل ورجعت الى سوائه . ولكننى ماشعرت قط بمثل هذه السعادة . فسعادتى كلها رهينة بهذه الفتاة . فان كانت هذه ضلالة أخرى فناشدتك أيتها الأرباب إلا ما اعفيتنى من ألم العلم بها . فلا أطلع عليها قبل يوم الحمام »

وامتزجت الفتاة بقريحته فأثبتها فى روايته الكبيرة « ولهلم ميستر » باسم تريزة . وفاض بالقصائد الغنائية والخواطر العذبة ، ولوحظ ان أيامه معها كانت كأخصب أوقاته وأسخاها بالشعر والبحث فى جميع أطوار حياته ، وليس ذلك لأنها كانت تشاركه فى نظراته الرفيعة وتساجله فى مراميه البعيدة ، بل لأنها اراحته وأهنأت قلبه وصقلت حواشى عيشه فأقبل على النظم والبحث بنفس قريرة وقريحة طليقة ، وحسبه ذلك من عشيرة ملازمة اياً ما كان مرتقاها من التهذيب والثقافة

الا أن الناس قد نقموا منه أنه أسكنها بيته وان لم ينقموا منه أنه اتصل بها . وربما كانت نقمتهم هذه لأنهم يدارون المداراة ويكرهون المسائل المكشوفة ، أو لأن الفتاة كانت

من طبقة وضيعة ولم تكن من طبقته ولا على غراره . اذ كانت عاملة فى مصنع للأزهار الورقية وكان أبوها موظفا صغيرا اشتهر بادمان الخمر ورثاثة الحالة . والا فما كانت الأخلاق يومئذ تتحرج عن هذه الاباحة ، وما عرف الناس عهدا بلغت فيه الثورة على العرف مابلغته ابان الثورة الفرنسية فى الأقطار الأوروبية . ومع هذا تسمح معه أصدقاؤه المقربون ولم يهجروا بيته ولا أوصدوا بيوتهم فى وجه امرأته ، وكان الأمير فى مقدمتهم فقبل أن يشرف على تعميد وليدها ووليد صديقه

وكان «جيتى» لايذكرها لأمه حتى بلغ عمر الولد الصغير سنتين ، فلما ذكرها لها فى رسائله فرحت الجدة بحفيدها وطفقت تغدق عليه الهدايا واللعب ولا تمل السؤال عنه والحدب عليه . وما كان لها أن تفعل غير ذلك وهو حفيدها وسليل البقية الباقية من ذريتها . فقدمات جميع أبنائها أطفالا وماتت بنتها «كورنيليا» التى جاوزت الطفولة فى عنفوان شبابها ، ولم يبق الا ولدها جيتى وهو لم يتزوج . فهى خليقة أن تنسى كل شىء وتعطف على ولده وزوجه حيثما كان له ولد وزوج . وقد تزايد تعلقها

بالفتاة بعد ما علمت من لهفتها على زوجها وسهرها على تمريضه والترفيه عنه فى المرض الخطير الذى أصابه فى الثانية والخمسين ، وأيقنت من شدة اخلاصها له بعد ما علمت أنها حمته بنفسها من عدوان الجند الفرنسيين السكارى الذين هجموا على بيته وهموا أن يبطشوا به

وقد يعوزنا هنا أن نتابع مصير هذه الذرية كلها الى ختام حياة الشاعر . فنقول انه رزق خمسة أبناء ماتوا فى طفولتهم الباكرة الا أكبرهم اوغست فقد نيف على الأربعين ومات فى إيطاليا فى أخريات أيام أبيه ، فتجرع الشيخ هذه الغصة وصبر عليها جهده ، وانصرف الى احفاده الثلاثة يعلمهم ويداعبهم ويتأسى بملاحظتهم ، وفيهم يقول وهو يشاهدهم يتحدثون وينشدون الاشعار ويمثلون : « انهم ليشبهون الشعراء الحق جد الشبه ! فبينما أحدهم غارق فى حماسته اذا بالآخر يتثاءب ! فاذا جاء دوره فى الحماسة راح الآخر يصفر ! » ولو أنصف لقال انهم يشبهون جدهم قبل غيره من

أوتيلى زوجة أوغست

أوغست بن جيتى

الشعراء . !

أما كرستيان فقد ماتت وهى فى الحادية والخمسين وهو فى السابعة والستين . ولا يذكر العارفون بالرجل أنه حزن لفقد انسان قط حزنه لفقدها ولا جزع فى موقف قط جزعه على سرير موتها . فقد تخاذل جلده الذى قلما خانه فى الشدائد فجثا على ركبتيه وتناول يدها الباردة وهو يصيح بها : « انك لا تريدين أن تتركينى ! كلا ! كلا ! انك لن تتركينى » ... ورأته زوج صاحبه كنيبل بعد سنوات أربع فقالت إنه لا يتعزى

* * *

لقد كان فى مسلك جيتى مع كرستيان مروءة وكان فيه خطل . فمن المروءة أنه آواها الى بيته واحتمل فى سبيلها غضب قومه . ومن الخطل أنه أخر عقد زواجه بها حتى شب ابنه وهو يعلم حقيقة العلاقة بين أبيه وأمه . فأثر ذلك فى أدبه وخلقه . وأكبر من ذلك خطلا أنه تعجل فى علاقته بالفتاة ولم ينظر إلى أصلها . ولسنا نعنى فقرها ورثاثة حالها فى الفقيرات من هن أشرف وأكرم من الغنيات ، ولكنا عنينا وراثتها عن أخلاق والدها وسوء أثرها

فى ولدها . فقد ورثت المسكينة عادة الادمان وأورثتها الولد الوحيد الذى عاش لها ، وكان أشبه بها حتى فى ملامح وجهه كما يُرى من المقابلة بين صورته وصورتها ، فلما مات تبينت الضخامة المفرطة فى حجم كبده لادمانه السكر وما اليه ، وكانت هذه الآفة من أسباب الجناية على شبابه

***

قال أميل لدفج فى ترجمته لجيتى : (ان جيتى لم يكن قط بالمغوى الجميل أو الظافر الفخور بغزواته أو «بالدون جوان» المشهور فى حلبات الغرام ، وانما كان المتوسل أبدا والمولَى الشكر والعرفان أبدا ، وأكثر ما كان السائل المردود لا السائل المقبول . وانما نقترب من فهم الأساطير الذائعة عن عواطفه وتركيب أعماله وقصة روحه كلما عرفنا فيه الرجل المسلم المنقاد وعرفنا فيه ارادة الحب التى لا تروى ولا تزال تروض نفسها حتى تنهى بالخضوع لحقائق الوجود)

ولاحظ أميل لدفج فى موضع آخر أنه ما دخل قط فى حومة حب الا اعتصم منها آخر الأمر بالهرب ، وكلتا الملاحظتين

صادقة نفاذة الى حقيقة الرجل ، فها نحن أولاء نرى كيف انتهت علاقاته بخمس نساء على نماذج مختلفات ، فأربع منهن آلت علاقاته بهن الى التراجع والنكوص ، ولم تكن العلاقة الخامسة مما يحتمل تراجعا ونكوصا فلذلك بقى متصلا بها أوموصولا اليها ، وكان بقاؤه هنا ـ كما كان نكوصه هناك ـ خضوعا لحكم الضرورة أو لما سماه لدفج « بحقائق الوجود » . وليست هذه العلاقات الخمس الا مثلا لعلاقات أخرى لم نعرض لها فى هذه الكلمة

وجيتى مع هذا لم يكن دميما ولا زريا ولا كانت تنقصه وجاهة المحضر والمنصب ولا وجاهة الأمل فى المستقبل . ففيم هذا الوقوع الدائم فى أسر المرأة وهذا المآل الدائم الى النكوص عنها ؟ نحسب أن فى الأمر شيئاً من الثقة بالنفس فى بعض صورها الغريبة ، فالرجل كان على علم بقدره ورجحانه على مزاحميه ، فكان لهذا لا يبالى أن يتراجع ولا يشعر بغضاضة الخاسر المدحور الذى يعلق قيمته كلها على نجاحه فى هذا الميدان أو اخفاقه فيه ، فاذا فاز جيتى فى الميدان أو أخفق فليس قصب السبق بالمشكوك فيه ، لأنه فى يديه ! فلا جرم يتراجع وهو فى

صورة الفائز القانع من الغنيمة بالاياب

ونحسب أن فى الأمر سرا آخر يرجع الى طبيعة الحب الذى كان يحبه والنظرة التى كان ينظرها . فلم يخلق جيتى لحب النزوات ولا لحب الاقتحام ولا لحب الاغواء . وانما خلق لحب الفنان المتذوق المستطلع المتأمل ، فليس الفرق بين حبه المرأة وحبه التمثال الجميل الا أن المرأة تجمع من « الفن ووسائل الاستطلاع » ما ليس يجمعه التمثال الجميل ، فهى صورة وشعور وعاطفة وارادة . وأين له بالتمثال الذى يتذوق معه كل هذه المعانى متفرقات ومجتمعات ؟ فالاحتواء الكامل مطلب فوق الرغبة وفوق الطاقة ، لأن الفنان المتذوق قد ينعم بالتمثال فيغنيه نعيمه به وان لم يحمله الى بيته ، بل قد ينعم به فوق نعيم مالكه الذى يقتنيه ويحتويه

وزد على ذلك طبيعة التسليم التى تكره الهجوم وتؤثر مشقة الاحتمال على مشقة النضال ، فهى طبيعة « الدب » المسالم المظلوم فى حسبانه من السباع الا حين يغضب ويثور ، وحينئذ قد تغضب الهرة الوديعة وقد يغضب الكلب الأليف

كتب جيتى فى شبابه الى سلزمان يقول : « غرست فى

طفولتى شجرة كرز وجعلت أرقب نموها وأنا مغتبط مسرور . فلما أزهرت جاء ضباب الربيع فصوّح الأزهار ، ثم انتظرت سنة أخرى حتى أينعت فجاءت الطير فأكلت الثمر ، ثم انتظرت سنة فجاء الدود فالجار الطامع فالآفات . وسأغرس شجرة أخرى كلما وجدت لى حديقة ! »

ذلك دأب حيتى فى جميع حياته لا فى الطفولة وحدها ، وفى كل حديقة لا فى حديقة النبات وحدها ، وغير مستثنى من ذلك حديقة الحب ولا حديقة الفن ولا حديقة التأليف ! فاذا اقتضاه الأمر صبرا وانتظارا فهو صابر منتظر ! واذا اقتضاه الأمر دفعا ونضالا فما هو بدافع ولا مناضل

مؤلفات جيتى

يقسم الاستاذ تيوفيل جوتييه سيرة جيتى من حيث التأليف إلى أربعة أقسام

« الأول » ينتهى سنة ١٧٧٥ وهو دور التكوين . وأهم ما كتب فيه رواية « جوتز » التمثيلية وقصة « فرتر » . وكلتاهما مشبعة بروح المدرسة الرومانية الجديدة التى اصطلحنا على تسميتها « بالمجازية الجديدة » أو الزوبعية . وفى هذا الدور أيضا أعد جيتى الاجزاء الجوهرية من رواية فوست الأولى

« والدور الثانى » ينتهى سنة ١٧٩٤ وهو دور المدرسة القديمة أو اليونانية ، وفيه خلص جيتى من هيمنة المدرسة المجازية واقتفى أثر الاغريق . وأهم ما كتب فى هذا الدور معظم قصائده الغنائية وروايات « افيجينى » و « تاسو » و « اجمونت » التمثيلية ورحلته الى ايطاليا وحكاية الثعلب ، وأغانى ومقطوعات

« والدور الثالث » ينتهى سنة ١٨٠٥ وهو دور الصداقة مع شيلر ، وفيه يظهر روح شيلر الفلسفى وعنايته بالتعميم والنظر والمثل

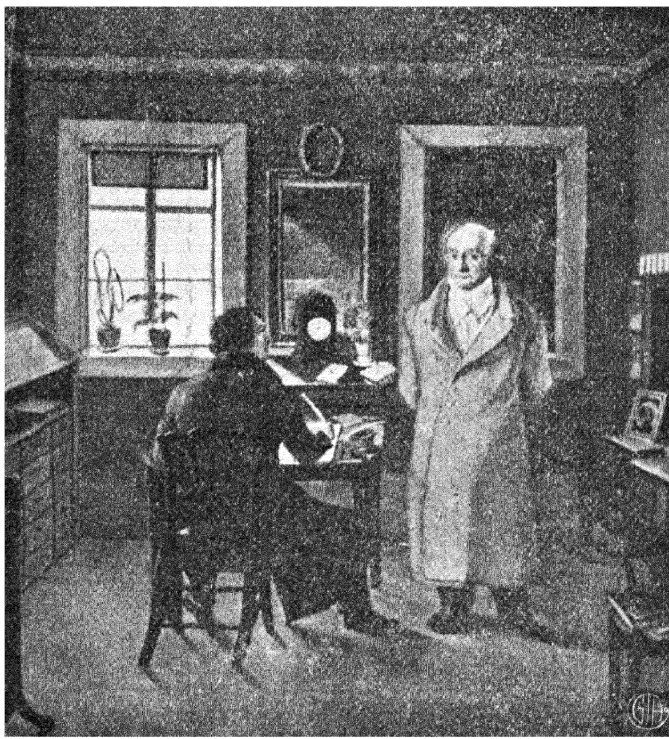

جيتى يملى على كاتبه

العليا والرمز الى الخفايا خلافا لجيني الذى كان يعنى بالحوادث الخاصة والصور المحسوسة والمشاهدات الحاضرة من الوجهة العملية ، وأهم ما كتب فى هذا الدور من القصص «صبى الساحر» و «الله والراقصة» و « طالب الكنوز » و « تلمذة ولهلم ميستر » ورواية « هرمان ودوروثى » التمثيلية

«والدور الرابع» ينتهى سنة ١٨٣٢ ، وهو دور الشيخوخة أو الدور الذى بدأ بموت شيلر وانتهى بموت جيتى ، وفيه اشتغل جيتى بالمباحث العلمية وكاد ينصرف عن الادب . وأهم ما كتب فى هذا الدور قصه القرابات المختارة » وترجمة حياته التى سماها « الشعر الحقيقية » و « الديوان الشرقى » ورحلات ولهلم ميستر وتتمة فوست ، وهى التى غلبت فيها نزعة الرموز والألغاز على نزعة الوضوح والمشاهدة الحاضرة

* * *

وهذا أصح تقسيم وأوجزه لسيرة جيتى الكتابية ، إلا أنه لا يخلو من عيوب التقسيمات الحاسمة التى لا تظهر فى شىء كما تظهر فى فصل أدوار الحياة والتفكير ، ولا سيما تفكير جيتى دون سائر المفكرين

ووجه التخصيص فى جيتى أنه كان عبقريا متعدد الجوانب والمشاركات فلا تنحصر أدوار نموه وتقدمه فى طريق واحدة ، وأنه كان رجلا معنيا بما بين يديه فى ساعته الحاضرة ، فنظرته الى الشيء فى هذه الساعة قد تختلف عن نظرته اليه فى الساعة التى تليها : حسب الطوارىء أو حسب الشعور الراهن الموقوت

خذ مثلا لذلك انتماءه الى المدرسة « المجازية الجديدة » الذى كثرت حوله المناقشات والآراء . فهذه المدرسة المجازية الجديدة تثور على السيطرة الفرنسية ولا سيما فى التمثيل وشرط التزام « الوحدة فى العمل والمكان والزمان » الذى كان النقاد الفرنسيون يشترطونه فى الرواية التمثيلية ، وهذه المدرسة تعجب بشكسبير لسببين : أحدهما خروجه على ذلك الشرط ، والثانى رجوعه الى أصل جرمانى . ففى دعوة هذه المدرسة شيء من الثورة الوطنية من هذه الناحية

وكان دعاة المدرسة المجازية ينوبون إلى قصص القديسين ومأثورات الكنيسة الكاثوليكية ونوادر الأبطال فى القرون الوسطى لاستلهام الخيال واختيار الموضوعات ، وربما اقتبسوا من أخبار الشرق ومأثوراته لأنهم يطلبون الخيالى البعيد ولا يستريحون إلى الواقعى المشهود ، وتلك فى لبابها روح

دينية موكلة بالمسائل الخفية مطبوعة على النظرة الغيبية : تأخذ من مأثورات الكنيسة الكاثوليكية لأنها تشمل فخامة الدين وتاريخ المراسم والشعائر ، وتأخذ من الشرق لأنه ينبوع الأسرار والتواريخ القصية والشعوب التى يلفها البعد فى ثياب كثياب الكهانة وظلام كظلام الغيب

فالمدرسة المجازية الجديدة فى لبابها انهى الا مدرسة وطن ودين ، فكيف كان انتماء جيتى اليها فى مؤلفاته الأولى والأخيرة ؟

انه كتب رواية « جوتز » ذى اليد الجديدية وهو أحد الأبطال الألمان المشهورين فى القرن السادس عشر . وقد خرج جيتى فى هذه الرواية على شرط الوحدة فى العمل والزمان والمكان خروجا لا يقاس اليه خروج شكسبير ، فهو فى اختيار الموضوع وفى أسلوب تناوله على رضا المدرسة المجازية من هذين الوجهين فهل معنى ذلك أنه لم يتأثر بالآداب الفرنسية ولم يستمد منها ؟

كلا ! لأنه ألف قصة « فرتر » فى هذه الفترة وعليها مسحة واضحة من « هلواز الجديدة » والعود إلى الطبيعة الذى كان يبشر به روسو وكتاب الثورة الفرنسية . فهل معنى ذلك أنه لم يتأثر بأدب الاغريق ولم يستمد منه ؟

كلا ! لأن قصة فرتر نفسها فى بساطتها وصفائها تشبه الآثار الاغريقية ولا تمت بآصرة قريبة إلى المدرسة المجازية

ثم ان جيتى كان لوثريا فى مذهبه شكوكيا فى عقيدته فحماسته للكنيسة الكاثوليكية تناقض غير معقول ، فهل معنى ذلك أنه يناقض المجازيين فى كل شىء أو فى كل طور من أطواره ؟ كلا ! فان الألغاز والأسرار تتردد فى الجزء الثانى من فوست وهو الجزء الذى كتبه فى دوره الأخير ، وتتردد كذلك فى رواية «ولهلم ميستر» ومعظمها من آثار أيامه الوسطى

وقد نظم جيتى ديوانه الشرقى فى أيامه الأخيرة ، وقد رأينا أن المجازين كانوا يحبون الموضوعات الشرقية ، فهل معنى ذلك أن الشاعر آمن فى شيخوخته بالمدرسة المجازية التى استهوته أول شبابه

كلا ! فما تناول جيتى موضوعات الشرق الا كما يتناولها طالب الحس لاطالب الأسرار . فهو بالاغريق هنا أشبه منه بالمجازيين ، وكل ما فى الديوان من التصوف الذى يحكى به السعدى وحافظا وأمثالهما لا يخرج به عن هذا النطاق

وقدامتلأ الجزء الثانى من فوست بأساطير الأغريق ومناظر الأغريق ، فهل معنى ذلك أنه خلو من خفايا المجازيين ومأثورات الدين ؟

كلا ! فربما كان هـــذا الجزء أدخل فى أساليب المدرسة المجازية من أى كتاب كتبه جيتى فى أبان الشباب

وقس على ذلك كل مايقال عن آثار جيتى ومؤثراته وأطواره وأقسام حياته

ولعله قطع بالقول الفصل فى هذا الباب حين قال عن مآخذه ومصادر أدبه يرد على من يتهمونه بالسرقة والاقتباس : « هذا مضحك ! فعلى هذا النحو يجوز لنا أن نسأل الرجل القوى عن الثيران والغنم والخنازير التى أكلها فأعطته القوة ! وصحيح أننا نولد وفينا كفاءاتنا ولكننا مدينون فى تكويننا لألوف المؤثرات التى تحتويها هذه الدنيا الواسعة التى نأخذ منها مايوائمنا ويدخل فى قدرتنا ، وإننى لمدين بالكثير للأغريق والفرنسيين ومدين بمالاحد له لشكسبير وسترن وجولد سمث . ولكننى إذا قلت هذا فليس معناه أننى أكشف للناس عن ينابيع ثقافتى ، إذهذا عمل لا آخر له ولاطائل تحته . وكفى المرء أن يكون

ذا نفس تحب الحق وتقبسه حيثما كان »

والنقاد يخطئون فى تقدير المشاهد التى رآها جيتى وأثرت فى تأليفه كما يخطئون فى تقدير المصادر التى رجع اليها واقتبس منها : مثال ذلك رحلتاه الى إيطاليا اللتان زعم النقاد ما زعموا عن أثرهما فى مؤلفاته . فلا خلاف فى أن آثار إيطاليا وبلاد اليونان قد زادته علما بالفن القديم وفن النهضة وغيرت نظرته إلى أدب الشمال وأدب الجنوب . ولكن هل معنى ذلك أن زيارة تلك البلاد أفادته فى انتاجه الذهنى تلك الفوائد التى يزعمونها ؟ كلا بل لعلها بلبلت أفكاره وشغلته بالبحث عن القواعد والنظريات فكلفته التوفيق زمنا بين آرائه وأعماله ، ولم تكن هذه الزيارة لازمة لانشاء قصائده أو أشجانه الرومانية التى اشتهرت بين أشعاره الغنائية ، فقد كان فى وسعه أن ينظمها وهو فى داره على مقربة من زوجه التى أوحت اليه معظم معانيها ، فلولا نفحات عارضة لما أنتجت الرحلتان معاغير التفكير والمقارنة ، ولولا تسديد شيلر إياه وتوجيهه الى العمل بعد ذلك لطال بقاؤه فى تلك المتاهة

فصفوة القول فيه أنه كان صاحب عبقرية يقظى تتلقى كل مايصادفها ولا يعنيها مما تلقاه الا أن تلمس الحقيقة المباشرة

وتتملى الحياة الجميلة . واقتصاره على لمس الحقيقة المباشرة بغير الفاف ولا مراسم ، وعلى تملى الحياة الجميلة بغير خوف ولا تعسف — هو هو الروح الاغريقى الذى لزمه طول حياته فى جميع مؤلفاته . فحتى مقاربته للألغاز الدينية ومخلفات القرون الوسطى انما هى مقاربة الاغريقى القديم لو عاد الى الحياة ينظر فى القرن الثامن عشر الى بقايا تلك الألغاز والمخلفات . ولكن ينبغى أن نذكر ولا ننسى أبدا أن جيتى لا يكون جيتى حقا إلا فى عالم الفن الاغريقى دون الفلسفة الاغريقية . فاذا دخل عالم الفلسفة فربما تركها تتعمق فيه لتبرز فى ثوب الفن والجمال ، أما هو فلا يتعمق فيها بحال ولا يرضى جهد التعمق فى أى مجال

* * *

وهناك سمة أخرى تتصف بها مؤلفات جيتى جميعها وترتبط بهذه السمة التى أشرنا اليها ، وتلك هى التفكك وقلة التماسك ، فكتبه كلها ماكبر منها وما صغر وماتم ومالم يتم سواء فى هذه السمة

وكثيرا ماجتمع الكتاب الواحد من مقطوعات متفرقة

كتبت فى أوقات متباعدة واتسقت فى آخر الأمر على غير نسق

واذا كان الكتاب رواية فأنت ترى فيها أشخاصاً لاخلل فى رسمهم وتمثيلهم ولكنك لن ترى فيها حوادث متلاحقة ولا فصولا متناسقة . ويغلب على أشخاص رواياته أن يكونوا رجالا أو نساء عرفهم وعاشرهم ونقلهم من الحياة الى الرواية بتصرف قليل أو بغير تصرف ، فعمله فى تكوينهم عمل التذوق وصدق الملاحظة لا عمل الأنشاء والاختراع ، فكل شخص فى رواياته نموذج معهود فى الدنيا لمن يلتفتون اليه

وسبب هـــذا التفكك فى كتب جيتى يرتبط كما قلنا بتلك الطبيعة التى وقفت همه على لمس الحقيقة المباشرة وتملى الحياة الجميلة فى إبانها ، أو تلك الطبيعة التى جعلته يأخذ الدنيا شيئا شيئا والزمن ساعة ساعة ويستمتع بما بين يديه ويدع كل مطلوب الى أوانه حتى يجىء أوانه . فهو على ثقة من قطاف الساعة وامتلاء كل جزء من أجزاء الزمن بثمرته وحصاده . وهو لا ينصب لجمع الحقائق والمحاسن بل تجتمع عنده الحقائق والمحاسن فلا يتكلف للقطها إلا أن يفتح لها وطابه ، وقد قيل فى أضاحيك السكارى

أن سكران منهم نام فى موضعه على الأرض وأبى أن يسعى الى بيته لأن بيته سيسعى اليه لامحالة فى هذه الأرض الدائرة ! فاذا جازت المقارنة فجيتى كذلك يجلس فى ساعته الحاضرة ولا يتعداها الى غيرها انتظارا لغيرها هذا أن يدور اليه فى هذا الزمن الدائر . ولكنه يفعل ذلك لفرط الوعى واليقظة لا لفرط السكر والغفلة ، ولك أن تسميه كسلا كما تشاء ، ولكنه كسل الشبع والطمأنينة لا كسل الفاقة والاعياء

* * *

ومؤلفات جيتى عديدة لا يتسع المجلد الكبير للكتابة عليها كلها فضلا عن الرسالة الصغيرة ، فلا محل هنا لتفصيل نقدها واستيفاء البحث فيها . وانما نجتزىء بأشهرها وأدلها عليه وأقربها الينا نحن الشرقيين ، وما قصدنا التعريف بمؤلفاته كما قصدنا التعريف بفنه ونفسه ، فاذا أبلغنا فى هذا القصد ففى ذلك كفاية

آلام فرتر

ينم جيتى على نفسه فى أولى الرسائل التى كتبها فرتر . فاذ فرتر الذى يقول لنا فى تلك الرسالة « ماالانسان ؟ وكيف يجرؤ على مؤاخذة نفسه ؟ » ثم يقول لنا « أريد أن أنعم بالحاضر وليذهب الماضى حيث ذهب » انما هو جيتى بعينه الذى لا يرى الانسان الا ألعوبة فى يد القدر ولا يطلب من الحياة الا ما تعطيه حين تعطيه . وكلما تقدمنا فى القراءة سطرا عرفنا جيتى من وراء فرتر وعرفنا أنه هو الذى يتسلى عن المصائب والآلام بقراءة الشعر الاغريقى القديم . فكل مصيبة استطاع أن يحيلها « الى شعور فنى » فهى مصيبة ذاهبة ومحنة مقبولة ، وقصة فرتر كلها ان هى الا لوعة أحالها الى « شعور فنى » فاطمأن واستراح

لسنا نعنى بهذا أن أشخاص القصة هم أشخاص الحياة فى كل صفة وكل واقعة ؛ فمن البداهة أن فرتر غير جيتى فى شىء واحد على الأقل وهو أن فرتر انتحر وجيتى لم ينتحر ولا فكر فى الانتحار قط تفكير الجد والعزيمة ! نعم انه كان يحادث

« شارلوت » وخطيبها فى البقاء والخلود ليلة الوداع التى فارقهم بعدها ، ونعم انه حدثنا فى ترجمة حياته عن الخنجر الذى كان يصوبه إلى صدره ليلة بعد ليلة ليرى هل يسعه أو لا يسعه أن يدفعه قيراطين اثنين إلى قلبه كما قال! ولكنك تقرأ هذا الحديث فى ترجمته فتعرف على الفور أنها تجربة فنية أخرى لا أكثر ولا أقل ، وإنه كان يفعل ذلك وكل ما فى ذهنه مثال العاهل العظيم « أوتو » الذى طعن نفسه بالخنجر بعد عشاء بهيج مع صحبه وحاشيته ، فهى تجربة تمثيل ومداعبة تخييل ، ولا يمكن أن تكون غير ذاك

انما أوحى اليه أن يختم حياة فرتر بالانتحار أمران : أحدهما ضرورة النهاية الفاجعة فى القصة المحزنة ، والآخر - والأهم - هو انتحار صديقه أورشليم الذى كان معه فى « فتزلار » بلدة شارلوت ، فقد خطر لجيتى أن يكتب القصة على أثر سماعه بالخبر ، ثم أرجأ كتابتها بضعة أشهر حتى تهيأت نفسه للشروع فيها فأتمها على فترات فى أسابيع قليلة ، وجاء بطلها من ثم يحكى جيتى فى أول السيرة ويحكى أورشليم فى ختامها

على أن أورشليم لم ينتحر للحب وحده وإنما انتحر

للفضيحة وإيصاد أبواب العلية فى وجهه وفساد الصلة بينه وبين رئيسه وطول عزلته من جراء ذلك كله واقباله فى تلك العزلة على قصص الشقاء ومباحث الموت والانتحار يناجيها ويتعزى بها ولا يناجى أحدا من أصدقائه فى علة كمده وحزنه ولا يلتمس العزاء عند أحد ، فحزن جيتى عليه لغيبته وانفراده واتخذ فجيعته ختاما لقصته يعرب فيه عن حزنه على صديقه وعلى نفسه

كذلك لم تكن شارلوت على الصورة التى صورها لنا جيتى فى هواها له ورفع الكلفة بينها وبينه ، فقد كانت تألفه وتميل الى مجالسته لطرافة حديثه وتعلق أخوتها الصغار به وفرحهم برؤيته ، ولكنها لم تبلغ فى الألفة أن ترفع الكلفة ، ورواية كستنر خطيبها فى هذا الصدد أولى بالاعتماد وأدنى إلى الحقيقة ، فهو يقول لنا فى مذكراته بتاريخ الرابع عشر من شهر أغسطس : « حضر جيتى فى المساء وقوبل بغير اكتراث ، وانصرف بعد هنيهة » ويقول فى الخامس عشر : « ... أزهاره أهملت ، فتكدر وألقاها وطفق يتكلم بالتورية » ثم يقول فى السادس عشر : « لامت لوت جيتى وقالت له إنه لن يطمع منها فى غير الصداقة .

فشحب وجهه واكتأب » وعلى هذا نوى جيتى الرحيل واجتوى البلدة فرحل ولم يقطع الصلة بينه وبين شارلوت وخطيبها كستنر . بل اقترح عليهما يوما أن يهدى إليهما خاتم الزواج

كذلك يختلف كستنر عن البرت خطيب شارلوت فى قصة فرتر . فهو خير من البرت وأنبل وأقدر ، وقد ساء كستنر أن يصوره صديقه على صورته فى القصة . فعاتبه ، فاعتذر جيتى وعادا إلى الصفح والاخاء

* * *

قلنا ان جيتى كتب قصة فرتر فى أسابيع قليلة ، ولكنها على قصر الوقت الذى كتبت فيه تضارع أخلد أعماله وأقومها

والثقاة فى اللغة الألمانية يقرنونها بأبلغ وأحلى وأنفس ما اشتهر فى آداب تلك اللغة . فالى هذا ولا ريب يعزى بعض النجاح الذى أصابته فى بلادها . ولكنها لم تنجح فى ألمانيا فحسب بل كان نجاحها فى فرنسا أكبر وأظهر ، فكثر فى فتيانها وفتياتها من يلبسون على زى فرتر وشارلوت ، وقرأ نابليون القصة مرات وحملها معه إلى مصر ، وتجاوزت شهرتها القارة

الأوربية حتى وصلت الى الصين ونُقشت بعض مناظرها على آنية الخزف ، وكان لها نوبة خيف منها على عزائم الشبان أن تسول لهم الانتحار ، وقيل انها سولته لبعضهم فماتوا والقصة فى جيوبهم . ولقد حرمت حكومة ليبزج بيعها وفرضت غرامة على كل من يبيعها ، وثار بها النقاد يقرفونها وينعون عليها الخور والنعومة . ولا يزال إلى اليوم أناس يذهبون فيها هذا المذهب ويعتقدون فيها هذه العقيدة

على أن جيتى ينكر الأثر السيىء الذى زعموه لقصته ويقول انه لم يخلق مرضا ولم يزد على أن وصف المرض الشائع ، وأن عاقبة فرتر أحرى أن تحمل الشبان على اجتنابها لا على الوقوع فيها

ونخاله على صدق فيما قال عن المرض الشائع فى زمانه . فان أورشليم قد انتحر قبل كتابة فرتر وانتحاره هو الذى أوحى الى الشاعر كتابتها ، وقبيل ذلك نمت الى جيتى اشاعة عن انتحار صاحب آخر ـ اسمه جوى ـ من أصحابه فى فتزلار . والكلام فى انتحار اثنين فى فترة واحدة من بلدة واحدة يُنميان الى بيئة واحدة خليق أن يدل كما قال جيتى على ان المرض قديم وليس

بالطارىء الحديث ، فتعبير القصة عن روح العصر هو سر نجاحها الأكبر فوق حلاوة اللغة وبلاغة الأسلوب

يقول جيزو عن فتيان عصره : « الفتيان فى هذه الأيام يشتهون كثيرا ولا يعتزمون الاقليلا » وهى كلمة موجزة وصف بها جيزو حالة النفوس فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر فلم يعد الصواب ، ففى عهد اليقظة الذى يسبق الثورات ويتخللها يكثر الطموح وتكثر العقبات ويقوى الشك ويضعف اليقين وتهون الحياة ، وتلك هى الحالة التى رانت فى عهد جيتى ومابعده على بلاد الحضارة الأوربية لاعلى البلاد الألمانية وحدها ، فجيتى وصف مارأى ولم يخرج فى هذه القصة على أحكام قريحته ولاعلى طبيعته الغالبة عليه

ومعظم النقاد يحسبون « فرتر » من آثار المدرسة المجازية ويبعدون بها عن انماط قدماء الاغريق ، ويتساءل لسنغ كبيرهم فى عصر جيتى : « أتحسب أن فتى من فتيان الاغريق أو الرومان كان يبخع نفسه لهذا السبب وعلى هذه الوتيرة ؟ » ويجيبه لويس الانجليزى أكبر مترجمى جيتى أن نعم . لأن سفكليس

جعل أحد عشاقه ينتحر لفقد عشيقته ، ولأن الرواقيين أدخلوا عادة الانتحار إلى رومة ، ولأن الرواقيين فى الاسكندرية ألفوا جماعة للانتحار يتداعى أنصارها الى المآدب ليأكلوا ويشربوا ثم ينتحروا . ولسنغ مصيب فى فهم الروح الاغريقية السليمة ، ولو ليس مصيب فيما عدد من الشواهد . ولكن الحالة هنا ليست بالحالة السليمة والمسألة هنا ليست مسألة الضحية فى القصة بل مسألة التناول والأداء ، فاذا نظرنا الى هذا فقلما نجد فى آثار الاقدمين أثرا أبسط من هذه القصة ولا أصفى . وقد تجد فى جوها مشابه من جو « قسيس ويكفيلد » التى كتبها جولد سمث الانجليزى ، وجو المرحلة العاطفية التى كتبها «ستيرن» الانجليزى أيضا ، أو تجد فيها مشابه من « هلواز الجديدة » الفرنسية ، ولكنها بعد عريقة فى اليونانية حتى لتبدو عليها المشابه الأخرى كأنها مسحة عارضة من أثر الطلاء

فوست

خرافة فوست قديمة يردها « هينى » إلى ماقبل غزو النورمان للبلاد الانجليزية ، ويقول ان الشاعر « روتبيف » من شعراء القرن الثالث عشر فى فرنسا أخذها ونسج على منوالها فى إحدى منظوماته الصوفية ، وخلاصة الخرافة ان « فوست » هذا كان رجلا ورث عن عمه مالا وتعلم كل علم فى زمانه فاستبحر فى حقائق الدين والطب والفلسفة والسحر والفنون السوداء فلم يظفر من الحقيقة الكبرى بطائل ولم يطلع على سر غير الذى كان يعلمه قبل دخوله المدرسة ، أو كما قال المعرى

وعالمنا المنتهى كالصبى قيل له فى ابتداء نهج

فاستولى عليه القنوط من المعرفة الالهية ، وكان قد أضاع ماله فى الشهوات ونهك جثمانه فى المعاصى وناهز الشيخوخة الفانية وأدركته حسرة على شباب زائل لم يستنفده كله فى المتعة والسرور ، فبرز له الشيطان يساومه على روحه وجسده فقبل المساومة وعقد معه عهدا أمضاه بدمه على أن يمد له الشيطان فى الشباب أربعا وعشرين سنة ثم يأخذ منه روحه وجسده بعد انصرام هذه

المدة ، فلما أطاع الشيطان راجعته الفتوة وانطلق فى سبيل الشر ففسق وقتل وجنى على الأبرياء وتمادى فى كل غواية وتقلب فى كل رذيلة

هذه خلاصة الخرافة القديمة . فلما جاء القرن الثامن عشر تناولها « لسنغ » الكاتب الألمانى الملقب بملك النقاد فأفرغ عليها روح ذلك القرن المتعطش الى المعرفة والحرية ، فلم يشأ أن يجعل الطمع فى استجلاء الحقيقة والشوق إلى استطلاع أسرار الحس والنفس مأثمة يعاقب عليها المرء باللعنة السرمدية ، وجعل الرهان بين الله والشيطان رهانا خاسرا لحزب الشيطان رابحا لحزب الله ، وأظهر هذه الخاتمة فى الفصل الأول فانتهى الفصل وصوت ينادى من السماء حين فرح الشيطان بغنيمته : « لن تفلح فيما تريد » . وقد جرى جيتى على آثاره . فختم لفوست ومرغريت بالخلاص ورد الشيطان بالخذلان

قضى جيتى فى نظم روايته المستمدة من هذه الخرافة زهاء ستين سنة ، فبدأها وهو لما يكد يجاوز العشرين وختمها قبيل وفاته ، ولا يفهم من هذا أنه قضى السنين الستين كلها مكبا

على نظمها منقطعا لتأليفها . فانه لم يثابر على عمل واحد هذه المثابرة ، وانما اشتغل بالكتابة فيها سنوات متفرقة خلال ذلك الزمن الطويل . فكان ينظم القصيدة ولم يتهيأ موضعها من الرواية . وربما هجر الفصل من فصولها وشرع فى الفصل الذى بعده ، ثم هجر هذا وذاك وشرع فى فصل آخر أو رجع إلى الفصول المتقدمة بالحذف والاضافة والتغيير والتبديل . فقد كانت الرواية شاغل حياته وان لم تكن شاغل قلبه ، وكل ماعالجه « فوست » من الشكوك والآلام والمحن والمعارف ان هو الا صورة لما خالج نفس جيتى فى شبابه ومشيبه ، وفى رحلته ومقامه

وقد اختلفت مواطن الرواية كما اختلفت أزمانها ، فخطر بعض مشاهدها ومعانيها لجيتى وهو فى سويسرة ، وخطر بعضها له وهو فى ايطاليا ، وصاحبته أفكارها وأخيلتها فى مدن المانية شتى على حسب الحوادث التى صادفته والشجون التى اعترضت حياته . وللقارىء بعد هذا أن يتصور كيف تكون رواية تجمع بين القرون الوسطى والعصور اليونانية ويشترك فى أدراكها فتى فى العشرين وكهل فى الخمسين وشيخ فى الثمانين ، ويتألف

نسيجها من نزوات الصبا ومخابر الكهولة وعبر الشيخوخة مابين مناظر الجنوب والشمال ومعارف الزمن وآدابه فى جيلين متعاقبين : فهذا نطاق واسع من الزمان والمكان والحياة، وأوسع منه موضوعه الذى أحاط به لأنه هو موضوع النفس الانسانية بين الفكر والعقيدة والهوى ، وبين الفن والعلم والسحر . ثم بين اليأس والرجاء ، والحرمان والغفران

وهو موضوع كبير عالجه فكر كبير ، ولكنه كذلك موضوع متفرق عالجه فكر متفرق . فان جيتى لم يكن قط « جامعا » فى تفكيره ولامستوعبا فى تحريه واستخلاص نتائجه ومغازيه ، لأن الحقائق عنده أشتات تلاحظ كل واحدة منها لذاتها وتدخر لذاتها ، ويوكل اليها جميعا أن تتألف فى قرارة الفكر إذا كان لها مجاز الى التأليف

قال هينى فى وصف رواية فوست : « إنها تشتمل على شذرات جميلة ولكنها تشتمل إلى جانبها على أشياء لا يبرزها للدنيا الا من وقر فى خلده أن من عداه من الناس مغفلون »

وهذا صحيح ، فان الحشو فى الرواية كثير والتفكك فيها

ظاهر والمحاولة الفنية فى سبك أجزائها ضعيفة ، ولاأزال أذكر أيامى الأولى فى قراءة فوست منذ ست عشرة سنة . فقد بدأت بالقراءة عنها ومنيت نفسى نشوة فكرية لانظير لها . فاستحضرت ترجمات ثلاثا لها بالانجليزية لأستدل بالمقابلة بينها على ماسقط منها فى خلال الترجمة ، وانتظرت الاجازة السنوية لأتفرغ لها وأتعقب فصولها وحواشيها ، فلم أجد الكنز الذى ترقبته ووجدت كنزا آخر لانشوة فيه ولم أكن أطلبه . . . وتذكرت قصة الوالد الذى استدعى بنيه وهو على فراش الموت فأسر اليهم أنه خبأ لهم كنزا فى ضيعته أخفى عنهم مكانه ، وأوصاهم أن يبحثوا عنه ويقلبوا الأرض حتى يعثروا به . فبحثوا وقلبوا فلم يجدوا الكنز الذى حلموا به وانما وجدوا الكنز الموعود فى وفر الغلة بعد تقليب أرضها واستصلاحها للثمر ! وهكذا كنت مع جيتى فى روايته هذه : فانه لم يودع لى كنزا ولم يعطنى الاماأخذته بيدى ، وزاد على ذلك أنه وضع الأعشاب والزوان فى الأرض حيث لم يكن فيها نفع ولاضرورة

ان كل مافى الرواية من العيوب والفجوات وكل مافيها من

الحشو والاملال لايحجب عن القارىء ان الرواية صنعة قريحة عظيمة وانها مرآة حياة واسعة غاصة بذخائر الفن والمعرفة والفهم العميق الرجيح ، ولكن العيب الاكبر فيها انك لاتحس وأنت تستعرض هذه الذخائر القيمة أنك تستعرضها فى حياة أنسانيه تجاوبك وتجاوبها وتقاربك وتقاربها ، وانما تحس كأنها ذخائر موزعة فى الطبيعة تلتقطها من هنا ثم كما تلتقط الجواهر الضائعة فى المفازة البعيدة ، وتمشى فى الرواية وأنت تحمل نفسك حملا فلا يستحثك على المضى فيها الا كلمة تقع عليها اتفاقا لايقولها الا ذهن كبير أو أنشودة مستعذبة قل أن تدانى فى حلاوة النغم وسهولة الآداء ! على أن هذه الانشودة أو تلك الكلمة لن تنسيك فتور صاحبها ولن تستحق عنايتك الا بشىء واحد : وهو أنك تطلع منها على عبقرية نادرة كما تذهب الى الاهرام لتتفرج بالنظر اليه

وجزء الرواية الاول أحسن حالا فى هذه الخصلة ، لأنه يمس قلب الانسان ويستجيش عاطفته بقصة الفتاة « مرغريت » التى وقعت فى حبائل الشيطان فجرها إلى الفسق فالقتل فالعار فالسجن

والجنون ، فان صورة «مرغريت» لتضارع اجمل الصور الانسانية التى خلقتها الآداب فى جميع العصور ، وعلى هذه الصورة الحبة تقوم الرواية واليها يعزى النجاح الذى أصابته عند جمهور النظارة ، فاذا عدوناها الى غيرها فهناك مناجاة فوست وحواره مع الشيطان تارة ومع التلميذ تارة أخرى ، وهناك أشجانه وهواجسه وكلها على جانب وافر من الشعور والفكر يهز أوتار الحياة ويفتح للذهن أبواب التأمل والاعتبار

فالجزء الاول ـ كما اسلفنا ـ أحسن حالا فى هذه الخصلة ولهذا كان احسن حالا من ناحية التناسق والتنظيم . ولكنك مع هذا تتظرفيه فتجد مناظر كاملة لا علاقة لها بنسق الرواية فى شىء ، بل تبدأ الصفحة الاولى بحديث بين شاعر ومدير مسرح وصديق لهما ليس بينه وبين الرواية سبب ، ومن طرائف جيتى فى قلة الاكتراث أنه نظم أبياتا يحمل بها على ناقديه لينشرها فى احدى الصحف . فلما تعذر عليه نشرها أخذها وألقى بها فى هذا الجزء بغير تمهيد ولا تفسير !

أما الجزء الثانى فهو الفوضى بعينها يزيد عليه الغموض الذى لا ينتهى الى طائل ، ولكى يقف القارئ على مثال من

فوضى التاليف فيه يكفى ان يعلم ان الجزء كله قائم على قصيدة نظم جيتى بعضها قبل صدور الجزء الاول ونظم باقيها بعد صدوره ، ونشرها كلها على حدة فى سنة ١٨٢٧ وهو يشعر بما فيها من الخلط فسماها « خيال الظل الكلاسيكى الرومانتيكى » . . . ثم جعلها محور الجزء الثانى بما ألصق بها وأضاف اليها ، وهذه هى قصيده « هلينا » الفاتنة اليونانية التى ثارت حولها حرب طروادة المشهورة فى الالياذة

هذا مثل من التلفيق فى التأليف. أما الرموز الغامضة الشائعة فى الجزء كله فمثالها بناء فوست بهلينا والاشارة بذلك الى الحضارة الأوربية التى هى زواج بين الثقافة الاغريقية وثقافة القرون الوسطى !! فالثقافة الاغريقية هى «هلينا» وثقافة القرون الوسطى هى « فوست » . . . . ولما أراد جيتى أن يزج بذكرى « بيرون » فى القصيدة أسبغ صفاته على « يوفريون » ولد فوست وهلينا أو ولد الاغريق والقرون الوسطى ، فاذا هو بيرون كما شاء !

ومن رموزه ما كان هو نفسه لا يفهمه ، فقد سأله اكرمان عن الامهات اللاتى وردت الاشارة اليهن فى هذا الجزء ولجأ

اليهن فوست لاستحضار روح هلينا ، قال اكرمان : « ولكنه تقنع بالغموض ونظر الى بعينين مفتوحتين وهو يردد : الامهات الامهات ! ان فى الكلمة لسرا خفيا . وليس فى وسعى أن أزيدك بها علما ، إلا أن أقول لك إننى طالعت فى بلوتارك أن الأمهات كن بعض الآلهة فى يونان القديمة » . فكأن جيتى قد أخذ هنا برنة الكلمة الخفية ولم ينظر وراءها الى مدلول واضح فى ذهنه ، وانما هو أثر من آثار الولع بالاسرار الذى استولى عليه فى أواخر أيامه ، أو هو عرض من أعراض الشيخوخة التى تبدو على المفكرين عند الاحساس بقرب النهاية ، وجيتى نفسه يقول لنا ان لكل عمر فلسفة . فالطفل « واقعى » لانه واثق من التفاح والكمثرى ، والشاب خيالى لاضطراب العواطف والدوافع فى نفسه ، والرجل « شكوكى » لانه يخاف أن تختلف وسائله وأحواله ، والشيخ متصوف معتقد بالاسرار « لانه يرى ألف شىء يعتمد على المصادفة ، ويرى السخافة تفلح والرشد يخفق والسعادة والشقاء نوباتدول ، هكذا تجرى الدنيا وهكذا جرت ، والشيخ يجد السكينة فيما هو كائن وفيما كان وفيما سيكون »

ومتى ذكرنا ولع جيتى بالخفايا فى صباه لم نعجب لهذه النزعة التى نراها فى فوست الثانية ، بل عجبنا له كيف ملك معها قواه ولم يخرج بها من حيزها الذى قصرها فيه ، فهى جن مارد ، لكنه فى قمقمه وطوع يد سليمانه ، الى مدى يتفقان عليه !

وبعد فما الغرض من رواية فوست وما مغزاها ؟ لقد سئل جيتى هذا السؤال فاجاب فى غير اكتراث : تسألنى كأنما أنا أعرف هذا المغزى ؟ انماهى رحلة من الارض الى السماء خلال الجحيم !

ولك ان تقول شيئاً كهذا عن روايات جيتى كلها أو عن كبرياتها على الخصوص ، فهناك أشخاص متفرقون وحوادث متفرقة ، وهذه هى الصفة التى تستطيع ان تحصرها فى جميع الروايات . أما ماعدا ذلك فهو غير محصور !

وقد تكون للاشخاص بنية قائمة وملامح مميزة وسمات مألوفة ، أما الحوادث فليس لها هذه البنية وليس لملامحها وسماتها وحدة مرسومة

وسبب ذلك بسيط معقول ، وهو أن جيتى يأخذ الزمن ساعة ساعة

والحوادث واحدة واحدة ، فأنت اذا جمعت الف حادثة متفرقة عن شخص واحد فهناك بنية مرسومة وشخص معلوم ولو اختلفت الحوادث وجاءت على غير اطراد ، ولكن هذه الحوادث بقضها وقضيضها لا تكفي لتأليف كتاب واحد أو رواية واحدة اذا هي أخذت على تشعث وعلى غير نسق . بل أنت اذا سمعت عشر نوادر متفرقات عن انسان واحد فقد عرفته وحفظته ، ولكنك اذا سمعت بعشر حوادث متفرقات فلست تعرف الا هذه الحوادث دون غيرها ، ومن ثم تضيع الوحدة في روايات جيتي ولا تضيع الوحدة في أشخاصه ، وفوست هي « المثل الأعلى » في هذين النقيضين

على ان جيني يجيد في وصف الاشخاص لسبب آخر وهو أنه يأخذ أوصافه من الواقع ويرى بعض المناظر كما جرت له هو في حياته ، وتلك سنته في جميع أبطاله حتى أبطال الغيب والخيال. فلما رسم « مفستوفليس » في رواية فوست جاء شيطانا انسانيا أو انسانا شيطانيا من طراز بديع . وانما جاء كذلك لأن جيتي كان يقرأ أوصاف الشيطان في جميع العصور ويطبقها على من حوله . فأيهم كانت به بعض هذه الصفات في نفسه أو جثمانه رصد وراقب كلامه وأفعاله واقتبس منها ما يناسب مناظره

وتعجبنا فى هذا المعنى كلمة الاستاذ «ارنست لشتنبرجر» شارح جيتى المشهور حيث يقول : « وهذا الشيطان ألا تراه على قرب عجيب من الانسان ؟ ألا تراه فى الحقيقة شيطانا فلسفيا نما على جذور صورة الشيطان فى القرون الوسطى واستنفدها ؟ ففيه من عنصر اهرمان فى الديانة الزندية ، وفيه من فلسفة الخليقة اليونانية ، وفيه من التوراة وسفر أيوب ، بل فيه ملامح مما قرأجيتى فى افلاطون وارسطو والقديس اغسطين ، يمتزج ذلك بالاساطير الجرمانية وأقوال ولنج وبوهم وسودنبرج وليبنتز وشكسبير . وقد ترى فيه أحيانا لمحة سبينوزية . فثمة روح الهدم والانكار فى القرن الثامن عشر ، وثمة فيلسوف فرنسى ، وثمة فلتير ، وثمة كل ماهو كريه فى الفترة الزوبعية التى كان ينتسب اليها الشاعر ، ويصح أن تقول فى بعض المواطن انه هو روح الفترة الزوبعيه بعينها ، وانه يتراءى بسمات من بهريش (١) وهردر ومرك على الخصوص وباسدو ودارب المصور وبير وجيتى نفسه ؛ وهكذا

(١) هؤلاء جميعا من معارف جيتى ؛ ومرك الذى حصصه الكاتب كان طويلا محيلا معقوف الانف يتحادث فى كلامه وأعماله ، فهو فى شكله أقربهم الى صورة الشيطان المصطلح علمها فى ذلك الزمان

أبدع جيتى الشيطان العالمى وصهر فى بنية واحدة شياطين جميع العصور »

يريد «لشتنبرجر» أن يقول ان جيتى رسم صورة الشيطان كما تطورت من أقدم العصور الى أن تحدرت الى عصره بل الى نفسه ، وخلاصة هذه الأطوار تندمج فى تعريف الشيطان نفسه بأنه جزء من تلك « القوة التى قد تنوى الشر ولا تفعل الا الخير » فعلى هذا المعنى ليس يأبى جيتى تلك المماثلة بينه وبين الشيطان ! وهو الذى أثنى على ناقد فرنسى المع الى تلك المماثلة فى مجلة الجلوب فقال: ان ملاحظات هذا الناقد نافذة ، لانه لم يلاحظ مافى البطل الأول من قلق الدؤب فحسب « بل لاحظ منه التهكم والسخر المرير فى مفستوفليس كأنه جزء من نفسى »

فجيتى يماثل شيطانه الساخر أحيانا كما يماثل بطله العالم الساحر طالب المتعة والفهم فى عالم الحس وعالم الفكرة ، أو فوست يماثل الشاعر فى بعض حالاته والشيطان يماثله فى بعض حالاته الاخرى ، وقد يماثلانه معا فى حالة واحدة

الا ان الشىء الوحيد الذى لا يماثلانه فيه هو الحركة الدائبة .

فان فوست والشيطان يتحركان ويركضان أما جيتى فيدع موكب الدنيا يتحرك أمامه ويلتفت الى كل صف من صفوفه فى ساعة مروره . ولقد تغنى فى مطلع فرتر بمتعة الحاضر وتغنى فى ختام « فوست » بجمال اللحظة الحاضرة . فأوحى الى فوست أن يناشد اللحظة العابرة أن تقف بين يديه لانها جميلة ، فعبرت لا تصغى اليه !!

فكأنه بدأ حياته وختمها فى عالم الاجزاء المفرقة . فشهد الدنيا جزءا جزءا كأصدق ما يشهدها شاهد ، وكان كمن ينظر الى القمر خلال المنظار يراه قطعة قطعة أصدق مما يراه اى ناظر ، ولكن الناظر يراه كله جملة واحدة أصدق مما يراه صاحب المنظار

ولهلم ميستر

اذا كانت « فوست » أكبر كتب جيتى الشعرية فولهلم ميستر هى أكبر كتبه النثرية : تلك رواية تمثيلية وهذه رواية قصصية . وقد جرى فى تأليفها على عاداته ولا سيما فى كتبه المطولة ، فبدأها فى سنة ١٧٧٧ وفرغ منها فى سنة ١٨٢١ . وقسمها الى جزءين أحدهما سماه تلمذة ولهلم ميستر والآخر رحلاته ، و كان شأنه فيهما كشأنه فى جزئى « فوست » على السواء . فالأول منسجم قوى والثانى مضطرب ضعيف ، والأول بيّن صاف والثانى غامض موشع بالرموز والأسرار . وقد لجأ هنا الى الحشو والتلفيق كما لجأ هناك . فمن ذلك ماقصه أكرمان وأثبته فى أحاديثه يوم الأحد الخامس عشر من شهر مايو سنة ١٨٢١ . فقال بعد كلام عن كتب جيتى التى تطبع بعد وفاته :

« ثم تكلمنا عن الحكم والخواطر التى طبعت فى ختام الجزئين الثانى والثالث من الرحلات . وكان جيتى لما شرع فى تنقيح هذه الرواية وإتمامها قد نوى أن يمدها الى جزئين بدل جزء واحد ، كما جاء فى الاعلان عن الطبعة الجديدة لمؤلفاته الكاملة .

ولكن الرواية تجاوزت ما قدره لها أثناء الكتابة ، وكان كاتبه يوسع الكلمات والسطور فخدع جيتى وظن ان ما عنده كاف لثلاثة مجلدات لا لمجلدين اثنين ، وعلى هذا أرسل المسودات فى مجلدات ثلاثة الى الناشرين . فلما بلغ الطبع موضعامن الرواية تبين لجيتى خطأالحساب وعلم أن الجزئين الأخيرين صغيران فى الحجم ، وبعث الناشرون فى طلب المزيد ولا سبيل اليه لصعوبة التغيير فى مجرى الرواية واضافة حكاية جديدة فى هذه العجلة، فحار جيتى فى الأمر . واستدعانى فأفضى الى بالمسألة وذكر لى كيف فكر فى تلافيها . ووضع بين يدى ملفين كبيرين من الأوراق المخطوطة التى أخرجها لهذا الغرض . ثم قال لى : إنك ستجد فى هذين الملفين أوراقا شتى لم تنشر ومقطوعات مبتورة تامة وغير تامة ، وأراء فى العلوم الطبيعية والفن والأدب والحياة يختلط بعضها ببعض . فماذا ترى فى اقتباس صفحات ست أو ثمان مطبوعة من جميع هذه الأوراق لسد الفجوة فى الرحلات ؟ انها لاشأن لها بالرواية إذا توخينا الدقة ولكننا نستطيع أن نسوغ أضافتها بما سبق من الاشارة الى المحفوظات المدخرة فى بيت مكاريا حيث تصان أمثال هذه الأوراق ، وكذلك نذلل

الصعوبة فى الوقت الحاضر ونعثر بالوسيلة التى تتيح لنا أن نزجى الى الدنيا بهذه الأشياء الممتعة »

هذا بعض أنماط التأليف عند جيتى فى الروايات والكتب ، وفى هذه الرواية عدا ذلك كتاب كامل أو باب كامل أضافه اليها بأوهى سبب ! ونعنى به الكتاب السادس من تلمذة ولهلم المشهور باسم « اعترافات النفس الطيبة » . فهذا الباب يطبع الآن على حدة فلا يشعر القارىء أنه مقتضب من رواية شاملة ، وأصله مستمد من أحاديث ورسائل لاحدى صديقات أمه إسمها سوزان كاترين كلتنبرج وصفها فى الباب الثامن من ترجمة حياته وقال انها هى صاحبة الاعترافات التى ضمها الى « تلمذة ولهلم ميستر » ! ... فانتظم له بهذا باب مسهب كسائر الأبواب !

وقد قسمت الرواية الى قسمين أحدهما للتلمذة والآخر للرحلة لأن بطلها ممثل يتدرب على فنه ، وكان الممثلون فى ذلك العهد لا يدركون مرتبة الأستاذية الا بعد برهة يقضونها فى التلمذة وبرهة أخرى يقضونها فى الرحلة ، فولهلم ميستر يخوض هذا الغمار ويتدرب على الفن وعلى الحياة وتفضى به تجربة

الدنيا وتجربة نفسه الى ترك التمثيل ومزاولة الطب ، لأنه عرف كفاءته الصحيحة بطول المرانة

* * *

لقد كان فى فوست سمات من جيتى فهل فى ولهلم ميستر مثل هذه السمات ؟ نعم . وأولى هـــذه السمات هى تثقيف النفس بالمشاهدة والتجربة ومعرفة الكفاءة بالعمل والمزاولة ، فكلاهما ترك فناكان ينشده ويطلب الأستاذية فيه وعدل عنه الى علوم أخرى ، فأما الفن الذى تركه ميستر فقد علمنا أنه التمثيل . وأما الفن الذى تركه جيتى فهو التصوير ! تركه بعد أن كان يرشح نفسه فيه لبلوغ أقصى مداه . فلما زار ايطاليا وجرب قدرته هناك وقضى ماقضى من الوقت فى مراسه وابتغاء التفوق فيه على غير جدوى صدف عنه وعادمن ايطاليا على هذه النية

وقد كان فى نيته أن يقصر رواية « ولهلم ميستر » على التمثيل وأن يتمها بأن يقود البطل فى طريق النبوغ والأستاذية ، فعدل به كذلك عن هذه الطريق كما عدل هو عن طريقه . فهما فى تجربة النفس وتاريخ العدول عن الرغبة الأولى يلتقيان

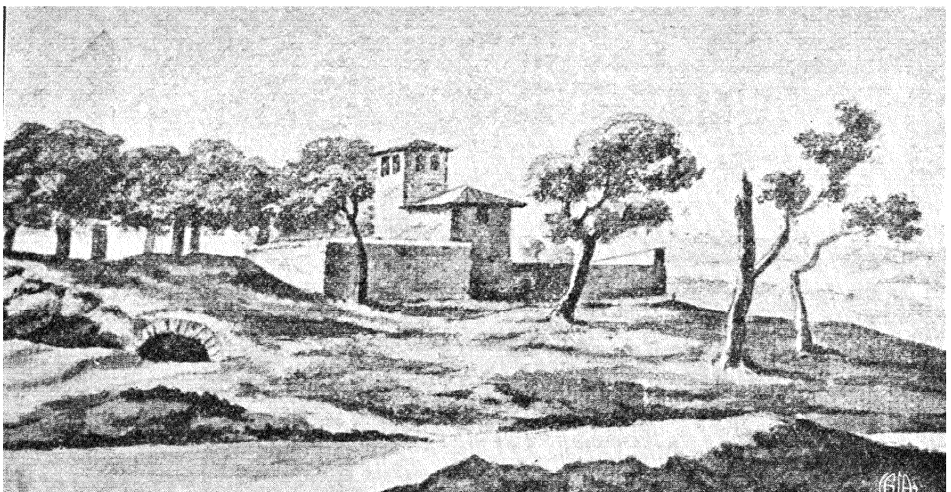

منظر من تصوير جيتى

وسمة أخرى تتشابه بينهما هى قلة المثابرة والتصميم والانتهاء الى التفويض والتسليم ، والتجاؤهما الى الطلاسم والقوى الخفية يتسليان بها عن عزيمة الجهد كما يتسلى الفنان بمعانى القريحة عن وقائع الحياة ، وما به دجل ولا غباء

والسمة الظاهرة عليهما فوق كل سمة هى كثره العشيقات وأسلوب التنقل من غرام الى غرام . فأسلوب جيتى وهو يلوذ من عشيقة بعشيقة كأسلوب « ولهلم ميستر » وهو ينتقل من ماريانا الى فيلين ، ومن فيلين الى مينون ، ومن مينون الى النبيلة ، ومن النبيلة الى أوريلى والآنسة كتلباخ ، ومنهما الى تيريز ، ومن هذه الى الأمازونة ، وكذلك يتشابه الأسلوبان فى ترويض النفس بالحب وفى صوغ العواطف وادخار الشعور ، ويتشابهان كذلك فى علو النظرة الفنية فى معظم هذه العواطف على اسفاف الشهوات

واذا خطر لك أن تسأل عن هذه الرواية كما سألت عن فوست : ما الغرض منها ؟ وما مغزاها ؟ فنى وسعك أن تعلم قبل السؤال أنها لا غرض لها ولا مغزى ! ! وان جيتى أول من

بكاشفك بأنه لا يقبض على مفتاحها ، ولكنها وطاب حافل بحقائق الحياة فى الفن والتعليم والنقد والعلم والدين والسياسة هيهات يدانيه وطاب ، ثم هى مشاهد ناطقة بالصدق والحكمة ، وشخوص موسومة بالملاحة والاتقان . ولا سيما شخص الفتاة « مينون » التى راحت فى آداب الغرب علما من الأعلام

منظر الوداع من جبال ايطاليا تصوير جيتى

الديوان الشرقي

الألمان كثيرو الدراسة للمشرقيات بين الأوربيين ، وقد تضاعفت عنايتهم بها فى أواسط القرن الثامن عشر لسببين: أحدهما النهضة العلمية العامة والآخر تمردهم على سلطان الآداب الفرنسية ، فانهم لما تمردوا على هذه الآداب حولوا وجوههم الى كل وجهة أخرى . فدعوا الى اليونان الأقدمين ، ودعوا الى الانجليز ، ودعوا كذلك الى الشرقيين يطالعون كتبهم ويترجمونها ويقتبسون منها الموضوعات

وقد كان جيتى المانيا صميما فى حب التوسع والاطلاع ،فنهل من الآداب الشرقية مع الناهلين ، وقرأ السيرة النبوية وهو فى نحو الرابعة والعشرين ، واطلع على القرآن وأمعن فيه امعان الأديب وامعان الباحث فى الأديان ، فاصطبغت كتاباته الدينية بصبغة قرآنية كما يرى القارىء فى كلامه عن الله ودلائل وجوده،وخرج من هذه الدراسة ينوى أن يكتب رواية شعريه تمثيلية فى سيرة النبى العربى.فنظم بعض قصائدها وقسمها الى فصول : الفصل الأول يبدأ بالمناجاة والاعتكاف واستعراض العبادات الجاهلية وينتهى بالهداية الى الوحدانية،والفصل الثانى يبدأ بالدعوة وينتهى بالهجرة ،

والفصل الثالث يبدأ بالنصر وينتهى بتطهير الكعبة من الأصنام ، والفصل الرابع يبدأ بالفتوحات وينتهى بالسم ! والفصل الأخير تتجلى فيه نفس محمد الربانية بعد أن عرك الدنيا وأخذ منها وأخذت منه ، فاستوى على مثاله وارتفع الى أوج كماله ، ونعم له حظ الأديبين أدب الأرض وأدب السماء

ووقف جيتى عند التقسيم والشروع فلم يكتب فى روايته هذه الا شذرات ، وظل على حنين الى موضوعها يعاوده من حين الى حين ، فلما عز عليه انجازها قنع بترجمة رواية « محمد » لفولتير مع التصرف فيها ، وأبرزها سنة ١٨٠٠ للتمثيل

ولكن رواية فولتير والرواية التى أرادها جيتى جد مختلفتين ، اذ كان فولتير يسىء الظن بالنبى وجيتى يأخذ عليه ما يأخذ ولكنه يسلكه فى أكابر العظماء المصلحين ، وقد سمع ملام نابليون لفولتير على تأليف هذه الرواية وتصويره النبى فى تلك الصورة ، فسكت على ذلك الملام

تلك كانت عناية جيتى بالمشرقيات منذ صباه ، وقد تقدمت به السن وهو لا يفتأ يعود اليها كلما سنحت له فرصة من كتاب جديد أو بحث طريف : فقرأ ألف ليلة وليلة ، ووعى دواوين

السعدى وحافظ الشيرازى والفردوسى التى ترجمت الى الالمانية، وامتلأ بهذه وتلك فبدأ فى نظم القصائد على الطريقة الشرقية فى معانى الفرس والعرب كما يتخيلها الغربيون ، وعلق فى سنتى ١٨١٤ و ١٨١٥ بحب الفتاة ماريان دى فيلمر فجاشت نفسه بالغزل واجتمع له ديوان كامل من هذه المنظومات ، فذاك هو الديوان الشرقى الذى اضاف اليه وطبعه بعد ذلك بأربع سنوات

اشتمل هذا الديوان على اثنى عشر بابا على هذا الترتيب ، وهى الشادى ، وحافظ ، والحب ، والتأمل ، والحزن ، والحكم ، وتيمور ، وزليخة ، والحانة ، والامثال ، والفرس ، والفردوس . وحاول فى جميع هذه الابواب ان يقتدى بالشرقيين فى مذهب الغزل ومذهب التصوف ، فاتخذ رائده فى المذهبين شعر حافظ الشيرازى الذى يراوح فيه بين غزل الحس وغزل الروح ، وقال فى هذا المعنى « هلم نسم الدنيا العروس ونسم الروح العريس . من عرف حافظا فقد شهد هذا الزفاف »

وعلى هذا ربما لقى حبيبته بعد طول الغيبة فنظم فى « اللقاء » واودعه معنى لقاء الروح لعالم النور كما يتغنى به المتصوفون ،

وربما قرأ أبياتا للسعدى عن احتراق الفراش بنار المصباح فنظم فى احتراق النفس بالحب ، والتماسها الحياة من طريق الفناء !

على أن جيتى أنصف فلم يزعم أنه وفق فى محاكاة الشرقيين ولا فى محاكاة حافظ صديقه المحبوب ، وانما وصف كتابه بأنه « الديوان الشرقى للمؤلف الغربى » فاحسن الوصف كل الاحسان

فالديوان يمثل الشرق كما يراه خيال شاعر الغرب من بعيد ، ولا يمثل الشرقيين كما يراهم الشرقيون الا على سبيل الاتفاق

وقد راق جيتى أن يسم الديوان بالسمة الشرقية فى شكله ومعناه ، فجعل له غلافا عربيا مزخرفا بالنقوش العربية ، وكتب فى أوله تحية شعرية ترجمها له الاستاذ سلسفتردى ساسى المستشرق المعروف فى الكلمات الآتية : « يأيها الكتاب سر الى سيدنا الأعز فسلم عليه بهذه الورقة التى هى أول الكتاب وآخره : يعنى أوله فى الشرق وآخره فى المغرب » ويشير جيتى بذلك الى كتابة الشرقيين من اليمين إلى الشمال وكتابة الغربيين من الشمال إلى اليمين ، فتحيته هى الأول والآخر . لأنها تأتى فى أول الكتاب

الغلاف العربى للديوان الشرقى

عند الشرقيين وفى ختامه عند الغربيين

بل أراد جيتى أن « يستشرق » مااستطاع فى أثناء اظهاره لهذا الديوان . فكان يقرأ الاشعار الشرقية وينسخ الخطوط العربية ، كأنه يلاقى بذلك بين الروح وجثمانه واللفظ ومحواه . فكان فى هجرة الى الشرق كما قال ، أو كان الديوان « سلاما » من الغرب الى الشرق كما قال هينى ، وهو على كلتا الحالتين هجرة مسرورة وسلام نرده بأحسن منه

مؤلفات أخرى

تلك أشهر مؤلفات جيتى وأدلها عليه . ولجيتى مؤلفات أخرى معظمها من قبيل المقطوعات المبتورة وقليل منها الذى تم وانتظم فى عداد المؤلفات الكاملة ، وله فصول فى صحف اشترك فى اصدارها مع غيره ورسائل الى الاصدقاء والصديقات وله احاديث مروية مع اكرمان وولف ومولر وسوريه وريمر وغيرهم لا تقل هى ورسائله الخاصة عن طبقة كتبه فى الاصابة والامتناع

ولعل أتم مؤلفاته بناء وأحسنها تنسيقا رواية « هرمان ودوروثى » التى بدأها فى أواخر سنة ١٧٩٦ وفرغ منها فى مارس من السنة التالية ، وكان شيلر يحضه على اتمامها ويواليه بالسؤال عنها ، فجاءت على نظام حسن لكتابتها فى فترة واحدة واطلاع شيلر عليها . وهى حكاية المانية نظمها جيتى على مثال رواية لويز للشاعر فوس واتخذ لها بطلة احدى الخدم المهاجرات الهاربات من الجنود الفرنسية ، وجعلها تتزوج بالفتى هرمان وهو من طبقة الموسرين ، ووصف فيها عادات الألمان وأخلاقهم وآدابهم فى اسرتهم . وضمنها نزعة وطنية لا تصادفها كثيرا فى روايات جيتى الأخرى .

جيتى فى الحادية والاربعين

فهى لهذا محبوبة عندالالمان ،وهى « ورتر » الخامسةوالأربعين من العمر ، ففيها عواطف « ورتر » الأولى كلها ولكنها هنا صاحية مقررةأقرب الى العمل منها الى الخيال

وله رواية أخرى عن ثورة هولندة فى طلب الحريةالدينية والسياسيةأسماهاباسم الكونت « أجمونت » وأطال مراجعتها على عادته ،فبدأها سنة ١٧٧٥ بتشجيع من أبيه ولم يفرغ منهاالافى سنة ١٧٨٨ بعد رحلة فى سويسرة واخرى فى ايطاليا

وهى - كما قال لويس الكاتب الانجليزى - حوار وليست برواية تمثيلية ، وكانت نثرا فنظمها شعرا . وقد قال فى ترجمة حياته أنه شرع فيها ولما يبرأ من وجده على صاحبته « ليلى » . فكأن بطلتها كلارسن مرسومة على نموذج تلك الحبيبة ، وان خالفتها فى بعض الاوصاف

وله رواية « افيجينى » وهى التى تختار فى مناسبات الذكرى من بين رواياته التمثيلية ، وكان جيتى يمثل أحد أدوارها فى حياته ، ومدار الرواية على أسطورة يونانية قديمة ترجع الى حرب طروادة . وخلاصتهاان « اغاممنون » قتل ظبيا لديانا آلهة الصيد فغضبت الآلهة وأرسلت الطاعون على جيشه وحبست الريح عن سفنه فوقفت

فى مكانها ، فلما التمس الفتيا فى شأن هذا البلاء قيل انه لا يدفع الا بضحية ولا تكون هذه الضحية الا بنته «افيجينى». فامتثل أمر الآلهة وجاء بابنته للفداء يزعم لها انه سيزفها الى البطل أشيل، فأشفقت ديانا عليها واتخذتها كاهنة لها فى طوريد، وهناك جاءوها باخيها «اورست» وصديقه بيلاد - وهى لا تعرفهما - لتضحى بهما الى الالهة ، فلما عرفتهما احتالت على العود معهما الى بلادها ، فعادوا جميعا بسلام

وقد نظم «يوريبيدس» الشاعر اليونانى فى هذه ألاسطورة ونظمها جيتى فى صيغة أخرى . إلا أن الفرق بينهما كالفرق بين ما يكتبه يونانى فى عهد الجاهلية ومايكتبه ألمانى فى عهد الثقافة الحديثة ، فجيتى بسيط فى ادائه كالشاعر القديم ، ولكن رواية « يوريبيدس » قائمة على صراع الشهوات ورواية جيتى قائمة على صراع الاخلاق ، وتلك مزدحمة بالمشوقات والمفاجآت وهذه لا تشويق فيها ولا مفاجأة، والقدر فى الاولى صارم فى أحكامه ولو عدل عنها ، ولكنه فى الثانية قدر واسع الرحمة غفور

وأنت تخرج من هذه الكتب بالنتيجة التى خرجت بها من الكتب الاولى ، فجيتى هنا وهناك شاعر الاجزاء والحالات الفردية يجيد فيها ولا يجيد فى غيرها : فخذ منه ما شئت سردا

للكلام المفرد ورسما للشخوص المعزولة ، لان ملكة الاجزاء تغنى كل الغنى فى هذه المقاصد. بيد أنها لا تغنى فى حبك الفصول المركبة ولا فى ربط الوقائع المشعبة ولا فى أحياء الحركة واشتباك العقدة ، فحظه من الاجادة فى هذه المقاصد غير جليل

ولجيتى ترجمة كتبها بنفسه وأسماها « الشعر والحقيقة » لا يستغنى عنها المتعرف له ولزمانه ، وقد دونها لشعوره بتفرق كتبه وحاجتها الى تفسير لمناسباتها وآصرة تجمع شتاتها ، فلما تكاملت بين يديه طبعة مؤلفاته فى سنة ١٨٠٨ أحس بهذه الحاجة ورأى ان هذه الكتب ان هى الا مقطوعات شتى من اعتراف واحد طويل . فأقبل على تاريخ حياته يستعيده ويملأ فيه الفجوات بين تلك المقطوعات ، وهو فى تدوين مذكراته كان يجرى على سنة عصره أو على سنة النابهين فى آداب الثورة الفرنسية من قبله ، فله باعث فى تدوينها غير باعث التقريب بين فترات حياته والوصل بين أشتات مؤلفاته

على أن هذه الترجمة نفسها بقيت ناقصة كما قد بقيت تلك المؤلفات ! وقد الحقها بمذكرات أخرى أوجز منها ، ولكنه انتهى بها الى ما قبل وفاته بعشر سنين ، ولم يزد عليها

عبقرية جنى

من العبقريين من تعرف مداه بكتاب واحد أو قصيدة واحدة ، لأنه يرتقي الى أوجه في بعض أعماله فيأتي بخير ماعنده أو بكل ماعنده ، وتعرفه حق عرفانه فلا تحتاج الى تجربة له بعدها ولا تصيب في التجربة الجديدة الا تكرار الاجديد فيه .

ومنهم من يعطيك جزءا من عبقريته في كل جزء من كتاباته ، فبعضها لا يدل على مداها كلها ، وتكرار القراءة فيها ينتهي بك كل يوم الى جديد ، فلا غنى لك عن التجربة بعد التجربة لسبر غورها والاحاطة بمداها ، والحكم عليها في جميع أحوالها .

وجيتي من هؤلاء العبقريين الذين لا ينبيء قليلهم عن كثيرهم ، لأنه لم يجمع نفسه في قطعة واحدة ولا موضوع واحد ، فهو كثير الجوانب كثير التجزئة : الموضوع الواحد عنده لا يدل على كل موضوعاته ، والجزء الصغير لا يدل على جملة الموضوع . فكل فكرة له هي أصغر من الرجل في جميع أفكاره ؛ كما أن اليوم الواحد في عمار أيامه هو أصغر لا محالة من سنيه الثمانين .

تلك إحدى الصعوبات التى تعوق عن التعريف بهذا العبقرى الكبير ، وصعوبة أخرى مثلها هى بساطته وقلة احتياله فى تعبيره وتجافيه عن التزويق والتفخيم فى سياقه ، فلا اصطناع ولا ايهام ولا زخرفة وانما هى أفكار يلقيها اليك على هينة كما جاءته على هينة . وكلها سواء عنده فى الحفاوة والخطر : فلا الكبير عنده مستهول ولا الصغير مزدرى ! انما هو المارد الجبار يحمل الصخرة كما يحمل الحصاة ، ويمشى بأثقل أحماله وأخفها فى خطو وئيد وقوام قويم

واذا كان بعض الكتاب يمشى الى غرضه كما يمشى البهلوان على الحبل ، أو كما يمشى اللاعب على يديه ، أو كما يمشى الراقص المترنح المتبختر أو كما يمشى الكاهن الوقور لا ينظر الى يمنه ولا الى يسرة ، فجيتى ليس يعرف هذه المشى وليس يركب الى غرضه حبلا ولا يترنح ولا يتكلف . بل يخيل اليك أحيانا من قلة النصب فى حركته أنه يمشى الى غير غرض كما يمشى المتريض فى ساعة فراغه . فاذا أفضيت معه الى غايته فقد تتعب وقد تنكر المسعى ، ولكنك تشعر أنك كنت تمشى مع دليل أمين ولم تكن تتبختر

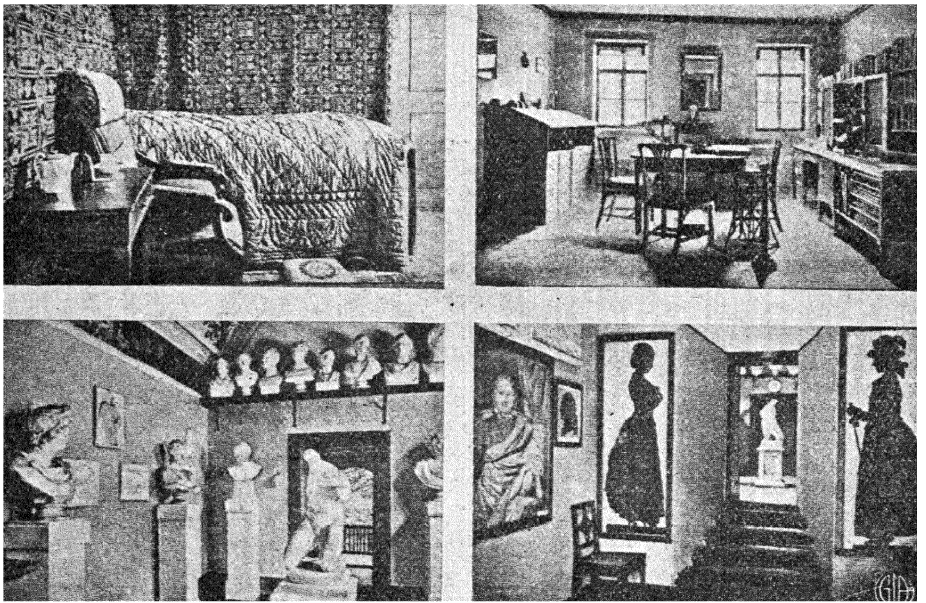

حجرات منزل جيتى من الداخل

مع رقاص أو تقفز مع بهلوان ! وأنت بعـــد ومذهبك فى حركات الأقدام : فالجارى على الحبل أبرع ولا ريب فى فنون هذه الحركات من السـالك فى الطريق كما يسـلك سائر الخلق ؛ ولـكنه بهلوان وليس كل انسان ببهلوان ! ويلعب والناس لا يتعلمون المشى ليلعبوا على الحبال . . !

وكلمة واحدة ـ مع هذا ـ تسمعها من جيتى تنبئك أنه قد وصل الى مدى لا يصل اليه الـكثيرون . ولا يلزم أن تـكون هذه الكلمة رنانة ولا موشاة ولا صاخبـــة ولا أنيقة ، فقد تنبئك نبأها الصحيح ولا حظ لها من رنين أو وشى أو صخب أو أناقة

يحدثك رجل عن القاهرة ساعات متواليات ، فيسبق الى وهمك أنه سكنها وجاس خلالها وأطال المقام فيهـا ، ثم ماهى الا كلمة يزل بها لسانه حتى تعـلم أن ما سمعت بحذافيره ان هو الا وصف ناقل لا وصف شاهد ، وان حـديث صاحبنا عن القاهرة ان هو الا حديث قارىء أو متلقف من الأفواه

ويقول لك غيره كلمة واحدة عن القاهرة لا تستغرق الثوانى فضلا عن الساعات المتواليات ! فتجزم جزم اليقين أنهـا كلمة

العارف الذى زار وأقام وأطال المقام ، فهل يلزم أن تكون فى هذه الكلمة بلاغة خارقة أو نبرة متكلفة أو كناية ملفوقة ؟ كلا ! بل لا يلزم حتى أن تكون صحيحة كل الصحة فى معناها . إذ هناك الخطأ الذى لا يخطئه الا من شهد واختبر ، وهناك الخطأ الذى يقع فيه الانسان لقلة الرؤية والاختبار . بل هناك الخطأ الذى هو أدل على المشاهدة من الصواب ، فالشرط الوحيد اذن فى تلك الكلمة أن يقولها القائل بعد رؤية ومعرفة ، وفى هذا الشرط وحده قيمتها التى ترى على قيمة الأخبار المسهبة يرويها لك من لم ير ولم يعرف . فأنت حين تنوى أن تذهب الى القاهرة لا تذهب اليها مع من تلا عليك تلك الأخبار وبسط لك تلك المرويات ، وانما تذهب اليها مع من نبس بالكلمة الموجزة ذات الدلالة وان لم يكن على صواب

أن كلمات جيتى عن عالم الحقيقة لهى من طراز هذه الكلمة التى لا طنين فيها ولا كلفة . فاذا سمعتها قلت « أجل ! » هذه كلمة ناظر وعارف : هذه كلمة السر التى يصطلحون عليها فى ذلك المكان ، هذه « هى الأسرار المكشوفة لكل انسان ويكاد لا يراها انسان » كما قال

فمن شاء أن يستدل على عبقرى كهذا بكلامه فليتريث كثيرا ولا يقنع بالنموذج اليسير ، فكل فكرة هنا أصغر من المفكر ، وكل ثمرة هنا وراءها شجرة كبيرة ووراء الشجرة حديقة أكبر ! وقد تدل الثمرة على شجرة واحدة حملتها . أما الحديقة بما وسعت فلا تدل عليها إلا ثمرات من عدة أشجار

* * *

نعم نحن حيال حديقة عامرة لا شجرة واحدة : نحن حيال شاعر وحكيم ومصور وعارف بالموسيقى ووزير وباحث فى النبات والتشريح وطبقات الأرض والنور

وفى كل علم من هذه العلوم كان لبحثه أثر ولرأيه قيمة ، ففى النبات اهتدى الى نظرية « التحور » ورد أجزاء الشجرة المختلفة الى جزئين فى أساس التكوين ، وراقب النمو المطرد والنمو المعكوس وغيرهما من ضروب الطوارىء على حياة النبات ، والتفت إلى أثر العصير الغذائى الكثيف والعصير الغذائى الملطف فى اختلاف الجذوع والأوراق والأزهار

وفى التشريح اهتدى الى العظمة الوسطى فى الفك الأعلى

التى تنبت فيها القواطع . وكان المظنون أنها لاتوجد الا فى الحيوان ، ورجع بتركيب الدماغ الى الفقار فى الحيوان والانسان. فكان فى تقريراته هذه فى علمى النبات والتشريح رائدا لمذهب التطور وطليعة من طلائع العلم الحديث

أما فى طبقات الأرض فقد كان له رأى محترم فى تركيب الحجارة المحببة والمعادن . وكان مصرا على مناقضة نيوتن فى تعليل الألوان يأبى كل الاباء أن يرتاب فى بساطة النور أو يقبل التعليل القائل بتركيبه من عدة ألوان ، وانما اللون عنده مزيج من النور والظلام: يكثر فيه قسط النور ويقل قسط الظلام فهو اللون الأصفر ، ويكثر فيه قسط الظلام ويقل قسط النور فهو اللون الأزرق ، ومن الأصفر والأزرق يتولد الأخضر ، ومن هذه الألوان تتولد سائر الألوان ، وكلما قارب اللون الظلام كان أثره فى النفس الى الحزن وكلما قارب النور كان أثره الى البهجة والانشراح

وقد أعرض علماء الطبيعة عن هذا الرأى ولم يأخذ به الا نفر من غير الاخصائيين ، ولكنه على كل حال رأى لا يستحق الازدراء

وقد عرف له فضله علماء عصره ومابعده فيما عدا هذا فقال كاروس : « اننا اذا رجعنا الى أقصى ما نستطيع فى تاريخ

الجهود التى قام بها الباحثون لادراك فلسفةٍ ما لتركيب الدماغ وجدنا أن الفكرة الأولى عن تحور أشكال العظم وردها جميعا الى شكل واحد انما هى فكرة يرجع فضلها الى جيتى »

وقال سانت هلير : « لعله لم يصدر من عشر سنوات كتاب واحد فى علم وصف الأعضاء أو علم النبات خلو من وسم هذا الكاتب المشهور »

وقال هلمهولتز : « ان جهود علماء النبات وعلماء الحيوان لم تزد على أن تجمع المواد والمشاهدات حتى تعلموا كيف يرتبونها على انماط يتبين منها التسلسل ووحدة النسق . وهنا وجد عقل شاعرنا الكبير مجالا يوائمه وكان الوقت مؤاتيا له والمواد المجتمعة فى علم النبات وعلم التحليل المقارن كافية للاستعراض الواضح ، فأدخل فى العلم فكرتين هاديتين تحفلان بالثمار ، حيث كان معاصروه يهيمون على غير هدى أو يقنعون بتسجيل الوقائع اليابسة »

***

ونحن لو قصرنا النظر على كتبه فى الأدب لا تسع أمام أعيننا

جيتى فى الحديقه

أفق يترامى فى كل جانب . فما من خاطرة جالت فى عقل انسان الا كان لها مجال فى عقله ، وكان له فيها رأى العارف المختبر إن لم يكن له فيها رأى المصيب المعصوم

ومعظم اخطائه هى إخطاء النظر المستريح الى جزء واحد لا اخطاء النظر العاجز عن التأمل والاستبانة ، أو هى اخطاء السائر الذى لم يبلغ أمده ولا يزال فى طريقه لا اخطاء المحجوب عن الحقيقة بعيدها وقريبها ، وما شئت بعد هذا من رأى نافذ فى الأخلاق والعقائد والاجتماع وسرائر النفس والتاريخ والفن والأمم والرجال : يفهم ماحوله ويشعر به ويستمرئه كأنه لامحيد له عن الفهم والشعور والاستمراء ، لا كأنه يتحفز لعمل له أو قاته ومحاولاته . ثم يلقى بالرأى كأنه يتنفس أو يؤدى وظيفة من وظائف حياته له بأدائها غبطة وارتياح ، لا كأنه ينهض بعبء أو يعالج مشقة مفروضة عليه ، وهذه هى الآراء التى تفيض بها كتبه وأحاديثه ويحتويها هو كلها ولا يتأتى لرأى منها أن يحتويه كل الاحتواء

***

على أننا نقف هنا لنقر جوانبه المتعددة فى نصابها ولانرسل

القول فيه على اطلاقه . فهنالك أشياء لابد من العلم بها مع العلم بهذه الصفة فى الشاعر ، لكى نعرف نصيبه هو منها ونصيب أمته وزمانه ومعيشته ، ثم نعرف التفاوت بين عبقريته وبين العبقريات التى اتصفت بتعدد الجوانب وسعة النطاق

فلا بد أن نذكر أن الاستبحار فى العلوم خصلة عرف بها الألمان بين الأمم الأوربية ولاحظوها فى تعليم الأطفال الصغار ، فكثر فيهم من يجمعون بين مختلف الدراسات والفنون

ولا بد أن نذكر أن القرن الثامن عشر الذى نشأ فيه جيتى لم يكن عصر اخصاء وتشعب بل كان عصر احاطة واجمال وتمهيد من الاجمال الى التفصيل ، فالاشتغال فيه بالفنون الكثيرة أمر غير غريب ولا سيما الفنون فى طور الابتداء ، ولنلاحظ أن جيتى لم يخلق « فوست » خلقا من الخيال وانما كان فرست مثالا للعالم الألمانى المتبحر فى القرون الوسطى ، أى قبل جيتى بأجيال ، وقد كان فوست محيطا بكل ما فى عصره من علوم

ولا بد أن نذكر أن أكثر الفنون التى عالجها جيتى كانت مفروضة فى عمله الوزارى ولم يكن يشغله عنها شاغل من مطالب

المعيشة ، فوسائل البحث عنده ميسورة والوقت كذلك ميسور ، بل ربما كان البحث سلواه فى ازجاء الفراغ

ولا بد أن نذكر أن طبيعة التفكير التى واجه بها تلك الآفاق الواسعة هى طبيعة واحدة على تعدد الموضوعات ، فهى طبيعة الفنى المتذوق المتملى الذى يستمتع بتكوين عواطفه ومعارفه كما يستمتع الفنان بتكوين تمثاله . وسبيلنا الى فهم هذه العبقرية أن نقرن بينها وبين عبقرية أخرى متعددة الجوانب واسعة الآفاق يذكر اسم صاحبها مع اسم جيتى فى هذه الأيام ، ونعنى بها عبقرية « ليوناردو دافنسى » المصور الموسيقى المهندس الفيلسوف الدارس للاحياء وظواهر الطبيعة فى كل شىء ، فهذه العبقرية قد جمعت طبيعة الفنان المأخوذ بجمال الظواهر وتعبيراتها الى طبيعة العالم المدرب على التجربة وربط الأسباب الى طبيعة الرياضى القادر على الفروض والتقديرات . أما جيتى فقد كان فنيا فى أدبه فنيا فى علمه فنيا فى فروضه ، وكان محروما من ملكة الفرض الرياضى لانه يناقض عبقريته المطبوعة على فهم مابين يديه وترك البعيد المقدر حتى يجىء اليه ، ولا ندرى ماذا كان يصنع جيتى لو كان كليوناردو فقيرا يضطره البحث الى اهمال عمله

أحد تماثيل جيتى فى شبابه

الذى يعيش منه ، ولكننا ندرى أن ليوناردو كان خليقا ان يصنع أضعاف ماصنع لورزق سعة الوقت ويسر الوسيلة

* * *

فمباحث جبتى على تعددها تمت بنسبها الى طبيعة واحدة ، وهى طبيعة العبقرية الفنية الذواقة التى تلتذ جمال الحاضر وتحيله الى رياضة متزنة ومحصول جميل

واذا ذكرت العبقرية الذواقة فى صدد الكلام على جيتى فلك أن تفهم كلمة الذوق بأعم المعانى وأخصها فى آن واحد ، فقد كان الرجل جيد الذوق فى حسه كما كان جيد الذوق فى تفكيره ، والروايات التى تنقل عن جودة حسه تدهش السامع وتعيد الى الذاكرة غرائب الاقدمين فى بعض الاحيان . فمن ذلك مارواه «شواب» عن تمييزه لطعوم النبيذ حيث قال : «أن جيتى لخبير بالنبيذ لايجارى . وقد شهدنا على ذلك مثلا رائعا فى وليمة عند الأمير كارل أوغست حضرها بعض الاخصاء . فبعد الفراغ من الطعام وارتشاف كئوس النبيذ الفاخر استأذن قائد البلاط مسيو دى سبيجل فى احضار صنف من النبيذ دون التصريح باسمه . فجاء

بنبيذ أحمر وعرضه على الحاضرين فترشفوه فاذا هو جد فاخر ، وزعم أكثرهم انه خمرة برغونية ولكنهم لم يتفقوا على رأى فى بادىء الأمر . ثم عادوا الى الاجماع على هذا الرأى لما رأوا كثيرا من ذوى الاذواق فى القصر يجنحون اليه بينهم الأمير . الا أن جنتى ما فتىء وحده يترشف كأسه ويعيد ترشفها ، ومى برأسه ايماء انكار ، ثم وضع الكأس فارغة على المائدة وهو يراجع نفسه . فقال قائد البلاط : يلوح لى أن صاحب السعادة يرى غير هذا فهل أجسر على سؤاله من أى الاصناف هذا النبيذ ؟ فأجاب جيتى : أننى أجهله ، ولكنى لا أحسبه من خمر بورغونية . انما أرجح انه من خمر بينا معصورة من أعناب شتى منتقاة لبثت زمنا فى دن خمرة تمديرية ، وكانت هذه هى الحقيقة »

والروايات الأخرى التى تروى عن جودة سمعه منذ طفولته تدل كذلك على تمييز نادر للاصوات والانغام . فقد كان فى صباه الباكر يحكى أصوات الممثلين والمغنين ويدرك بحور الشعر ويقيم أوزانه ، وكانت قدرته على الصياغة العذبة فى جميع أيامه فوق كل قدرة عرفت بين شعراء الألمان الا من ندر ، حتى قال شيلر قرينه

ورصيفه أننا نعنّى أنفسنا بصوغ الأناشيد وجيتى لا يتكلف لها الا كما تهز الشجرة فتساقط الرطب الجنى

فهذه الطبيعة الذواقة التى تتملى ما بين يديها لحظة لحظه هى طبيعة جيتى الشاعر وجيتى المفكر وجيتى العالم وجيتى الفيلسوف ، وهى التى تتجلى فى كشوفه العلمية كما تتجلى فى أناشيده وأغانيه ، فليس هاهنا الا ملكة واحدة تدير نفسها على نواحى كثيرة . وهى نعم ملكة نادرة فى قدرتها ونفاذها واتساعها ولكنها بعدُ ملكة واحدة تتجلى بعينها فى كل مقام

والا فما هو تحور النبات وتطور العظام ان لم يكن هو العناية بالجزء بعد الجزء والقول بأن المجموع لا يدرس الا فى الأجزاء وان دراسة الجزء المحدود تلهمنا العلم بالكل الذى لا حد له من حيث نريد أو لا نريد ؟

وما هو الاصرار على بساطة النور وكراهة الآلات التى تدخل بين العين والمرئيات ان لم يكن هو تقديس الفنان النور وحبه لاستجلاء الجمال فى مشهد العين بغير وساطة من منظار أو موشور ؟

لقد كان جيتى لا يمل القول بكفاية « الظواهر الطبيعية »

احد تماثيل جيتى فى شيخوخته

وقلة الحاجة الى التعمق فيماوراءها . فكان يقول : « أعلى تجارب الانسان الروعة . فاذا كانت الظواهر الطبيعية تروعه فدعه يقنع بها . فهولن يسمو عليها ولا ينبغى أن يذهب وراءهذه التجربة » وكان يقول : « يجب ألا نحاول النفاذ الى ماوراء الظواهر فهى فى ذاتها الدرس المطلوب » . وكان أبداً يعجب الذين ينقبون عن الأسرار الخفيـة والظواهر المكشوفة كلها أسرار تناديهم فلا يلتفتون ، فهل هذا إلا كلام فنان يأبى أن يزاول العلم والفلسفة الا مزاولة طلاب الروعة والجمال ؟

بلى ! وخلاصة درسه كله ماقال فى هذه الأبيات : « كأى من سنة أطلقت فيها فكرى بين الاستجلاء والدرس يتعمق ويتفقه كيف تعيش الطبيعة فى خلائقها . ؛ فهى الواحد الخالد يتكرر فى الكثرة المفرقة . فصغير ماهو عظيم ، وعظيم ماهو صغير ، وكل شىء على منواله يتبدل أبدا ولا ينى أبدا يزاوج بين البعيد والقريب وبين القريب والبعيد ، ويتخذله صورة ثم ينسخ هذه الصورة . ماأحسبنى اصنع هنا الا ان أراع وأعجب بما أراه ! »

أجل ! ما كان لحيتى فى هذه الدنيا من عمل الا أن يراع

ويعجب . وان كل مافيه من سخر باسم خفى لن ينقض ذرة من صرح اعجابه الفخم العميم ، لأنه سخر من عرف كثيراً وشعر كثيرا وأعجب كثير الاسخر من لم يعرف ولم يشعر ولم يدر ماالاعجاب ، وقدكان اعجابه هذا عملا جميلا ولم يكن لغوا ذاهبا فى الهواء : كان عملا قوامه الدرس ورياضة النفس والاقبال عليها بالتثقيف والتحسين ، وكان سبيله الى فهم شيء والشعور به أن يعمله ويعيش فيه . فالعمل طريق المعرفة والتجمل : والحياة لا تكون الا تفكيرا يعقبه عمل وعمل يعقبه تفكير كما يتعاقب الشهيق والزفير ! هكذا كان يقول فى كتبه وأحاديثه . وهكذا كان يسأل فى رواية فوست : ما معنى آية الانجيل « فى البدء كانت الكلمة » ؟ هل معناها فى البدء كانت الفكرة ؟ هل معناها فى البدء كان العمل ؟ والى هنا انتهى السؤال

***

لابد أن نذكر كل ما تقدم لنعلم كنه هذه العبقرية وكنه وصفها بالسعة وتعدد الجوانب ، فهى عبقرية فنية قبل كل شيء ، وهى بعد فنية عملية قابلة للتطبيق والبروز — فلا تفارق الأرض

وان طمحت الى أرفع المعانى ،وهى فى هذا كله عبقرية مستجيبة تتلقى و تنتظر وليست بالعبقرية الطاغية التى تصول و تتعجل ، ففى موضوعات جيتى اجادة كثيرة وليس فيها اختراع كثير

وستعيش آراء جيتى العلمية فى مراجع البحث وسجلات العلماء ولا يعيش هو الا فى عالم الشعر بل فى عالم الغناء ، لانه شاعر الأغانى غير مدافع ، فليس للشاعر الغنائى ملكة مطلوبة الا وهى فيه على حظ وافر : وحسبه فى هذا حلاوة النغم وبلاغة اللفظ وسهولة التعبير وقلة التكلف التى هى طبع فى خلائقه وطبع فى ادائه ، أما غير ذلك من الملكات فله فيها مدافعون ومنازعون ، إذ ليس فى آرائه العلمية رأى واحد الا وله شريك ينازعه السبق اليه ، فان « فيك دازير » قد أعلن كشف العظمة الفكية فى مجمع العلوم بباريس قبل جيتى بخمس سنوات ، ولينيس سبقه الى رأى صائب فى تحور النبات : و « أوكن » سبقه الى رأى فى تركيب الدماغ من الفقريات وهو رأى لا يسلمه الآن جميع العلماء ، وأفلاطون وأرسطو وليونارد ودافنشى كانوا يقولون بأن اللون مزيج من النور والظلام وهم وجيتى فى هذا

القول مخطئون ، وايا كان علم جيتى بهذه الكشوف أو جهله بها قبل اهتدائه اليها فالفضل فيها منازع ومكانه بين العلماء لو سلمت له بغير نزاع لا يرتقى الى مكان العلية والافذاذ

كذلك الشعر لا يسلم له فيه الافضل الغناء وحلاوة الصياغة ، فرواياته التمثيلية ستنسى فى عالم التمثيل وترجع الى أصلها أغانى متفرقات وقصائد وكلمات، واذا مثلت يوما كما كانت تمثل من قبل فعلى سبيل الذكرى والاستطلاع والتفرج بالنظر إلى الآثار . أما أناشيده ورسائله أو أشجانه الرومانيه وأساطيره المنظومة وكل ما هو فى كتاباته من قبيل الغناء فله حظ البقاء وبه يقترن اسمه بين خوالد الأسماء

قال هينى سيد الفكاهة والنقد الطريف بين كتاب الغرب أجمعين : « نحن أبرع شعراء الغناء فى العالم ، فليس لأمة أن تفخر بشعر فى الغناء كشعر الألمان . وان الامم لفى شغل الآن بقضاياها السياسية عن كل شاغل ، فاذا جاء يوم طرحت فيه هذه القضايا جانبا فيومئذ نذهب جميعا الى الغاب : نذهب كلنا من ألمان وبريطان وأندلسيين وفرنسيين وطليان الى الغاب الخضراء ونغنى هناك وندع الحكم للبلبل . وعلى يقين أنا ان

أغاريد ولفجانج جيتى ستخرج بالجائزة من هذه المباراة الشادية»

* * *

والآن فلنستمع إلى الرأى الوحيد فى جيتى الذى لا يقول به اليوم أحد فى العالم ، وذلك هو رأى جيتى فى نفسه . . . ! فهو الرأى الوحيد الذى يستحق كل رفض ولا يستحق أى قبول

كان جيتى الى الرابعة والعشرين من عمره لا يستقر على رأى فى كنه عبقريته ، فلما برح « فتزلار » يائسا من حب شارلوت مضى على النهر يطيل محاسبة نفسه ويفكر فى حاضره ومستقبله ، فلاح له منظر يخلب قريحة الشاعر ويغرى ريشة المصور . فخطر له أن يسأل نفسه أمصور هو أم لا مستقبل له فى التصوير؟ ثم خطر له أن يستشير القدر على مثال الأقدمين . فاخرج من جيبه مبراة وقال لنفسه : اذا أنا رأيتها وهى تهوى إلى النهر فانا فنان ، واذا هى غابت عن نظرى وراء الصفصاف فلست بذاك ، ثم قذف بها فجاءه الجواب لا الى النفى ولا الى الاثبات ، واذا بالمبراة تقع أولا وراء الصفصاف ثم يثب بها الماء فيراها بملء عينيه !

كان هذا ظنه بنفسه أيام الشباب ، فلما شاخ واستوى على

ذروة الشهرة الأدبيـة قال لصاحبه ا كرمان : « اننى لا أعول كثيراً على ما بلغت فى الشعر ، فقد نبغ فى زماننا شعراء عظام وسبقنا وسيلحق بنا شعراء أعظم ، ولـكننى اذا نظرت الى أننى — فى هذا القرن — كنت الفرد الوحيد الذى عرف الصواب من الخطأ فى علم الألوان العويص الفيتنى نخورا وعرفت رجحانى على الـكثيرين »

ونحن ننقل هذا الرأى لأنه حكمة طيبة فى الحياة لا لأنه حكم طيب فى الادب ، فجيتى ينسى أخلد ما فيه ويفخر بأفشل مافيه : ينسى الشعر ويفخر بالعلم ، ثم لا يفخر من العلم الا بمـا بان فيه فشله ووضح فيه خطله . فلو أنه فخر بآرائه فى النبات أو التشريح لصدق فخره وظهر عذره ، ولـكنه يزهى برأيه فى الألوان — وهو أضعف الآراء وأدناها الى الدثور والفنـاء : الحق ان الانسان لا يحسن الأمنية لنفسه ولو كان من الحكماء !

جيتى فى ملابس الديوان

شخصية جيتى

كان جيتى ربعة يميل إلى السمرة على خلاف أهل الشمال ، وثيق البنيان مهيب الطلعة : أهيب ما فى وجهه عيناه الدعجاوان اللتان تشبهان عيون أهل الجنوب ، ولم تحفظ عين جمالها وسلامة نظرها كما حفظتهما هاتان العينان . وصفهما شيلر فى خطاب الى صديقه كورنر فقال انهما تفيضان بالمعانى والحياة على ما فى وجهه من وصاد ، وكان جيتى يومئذ فى نحو الأربعين . ووصفهما ثاكرى الأديب الانجليزى المشهور فقال انى شعرت بالخوف حين رأيت تينك العينين! وكان جيتى يومئذ فى الثانية والثمانين ووصفهما ريختر بين هذا وذاك فقال انهما كرتان من النور !

وكانت له بنية عامرة وجسد صلب حسن الهندام ممشوق القوام ولاسيما فى سن الشباب . مع أنه ولد هزيلا مشكوكا فى حياته وعاش شديد الحس والتنبه الى يوم مماته ، واصلابته هذه استطاع أن يكافح النزيف الرئوى الذى اعتراه فى أيام الطلب بمدينة ليبزج وعاوده المرة بعد المرة فى الكهولة والهرم . فصينت له الصحة واعتدال المزاج فى معظم أيام الحياة .

وقدبدأ رياضة النفس وتربيتها على الصبر والاتزان ومغالبة النزوات وثورات الشعور وهو فى عنفوان الفتوة لم يبلغ الرابعة والعشرين . فلما رأى من نفسه فرط التأذى بالأصوات الصادعة والروائح الساطعة تعمد أن يقف طويلا الى جانب الطبول الداوية والأجراس العالية ليروض أذنيه على أشد الاصوات وأثقل المزعجات ، وتعمد كذلك أن يصعد الى القمم الشاهقه ويطل على الأرض من عل ليغالب الدوار حتى تغلب عليه ، ومع هذا عاش طول عمره يكره الرائحة القوية ويتأذى بها شديدا ولا سيما رائحة التبغ والثوم . فقد كان يضرب المثل بالثوم لكل ما يه حتى العقائد والآراء ! وارادت زوجه مرة أن تربى بعض الخنازير الى جانب البيت فاشتم رائحتها واستوبلها وهى غير قريبة منه ، وأمر باقصائها على الفور

وانصرفت نيته إلى اجتناب ثورات الشعور ومعالجة الألم والغضب فأفلح واستولى على أزمة نفسه بعد رعونة الشباب العارضة ، وكثيرا ما كان يجنى عليه كظم الشعور واخفاء الألم فيسقمه وينال من عافيته ، كما حدث فى وفاة ابنه الوحيد بعد أن جاوز الأربعين ، فانه لم يزد عند سماع الخبر على أن نضحت

عيناه بالدمع لحظة ثم سكن ولاذ بالصمت والجمود ، وما هى إلا أيام حتى اعتراه نزيف كاد يرديه

وكان همه الأكبر من تربية النفس أن يعيش على سنة القصد والاتزان أمينا فى ذلك على اعجابه واقتدائه بقدماء اليونان ، فتم له ما كان يصبو اليه وظهر القصد فى معيشته كما ظهر فى تفكيره ، فلا إسراف فى رأى ولا إسراف فى متعة ، ولا جور من جانب الخيال على الحس ولا من جانب الحس على الخيال . ولا غلو فى إنكار الجسد ولا غلو فى ارضائه : بل كل عمل وكل رغبة بحساب وميزان

ولم يكن جيتى يتحرج من المزاح والفكاهة فى شبابه ، فكان حبيبا إلى أطفال كل بيت يزوره لتفننه فى اختراع الألاعيب والأضاحيك ، ووصف الكاتب الألمانى جان غليوم جليم منظرا من مناظر دعابته شهده عند الدوقة «أميلى» أم الأمير فى سنة ١٧٧٧ أى حين كان جيتى فى الثامنة والعشرين ، وكان جليم يتلو على الحاضرين شذرات فى تقويم أدبى يسمى تقويم عرائس الفنون ، فاستأذنه جيتى فى الترفيه عنه وتناول التقويم ليقرأ منه ، فقرأ قليلا ثم أخذ يرتجل المقطوعات من حاضر ما ينظم أو قديمه فى الدعابات

والمفارقات وهو يتظاهر بالتلاوة فى التقويم والحاضرون يعجبون ولا يصدقون ما يسمعون، حتى فطنوا إلى الحيلة فأغربوا فى الضحك واستطابوا الفكاهة . فقال جليم للشاعر فيلاند الذى كان يجلس أمامه : « إن هـــذا لهو جيتى أو الشيطان بعينه » فقال فيلاند «هما معا ! لأنه فى يوم من أيامه التى يملأه فيها الشيطان »

هكذا كان فى بعض أوقات شبابه ، ولكنه اعتصم بعد ذلك بجفوة باردة تخيل إلى من يراه أنه ليس من بنى الانسان . وجعل لا يتحدث ولا يخف الى حديث غير الحفائر والعظام وما اليها . حتى قال ريختر لصاحبه الذى عرفه اليه : الا تحجرنى أو تكسونى بغشاء المحافير علنى أروقه : وقالت أرليك فون لفتزوف انها لو عرفت فيه جيتى العظيم لرضيت به زوجا ولو من أجل الزهو والكبرياء ، ولكنها لم تر الا شيخاً لاينى يتكلم عن النجوم والحجارة والأزهار .... فلم تصغ اليه ، وارليك هذه هى الفتاة التى أحبها وهو فى الرابعة والسبعين

ولما زاره هينى قال فى فكاهته المعهودة : «اننى نظرت حوله على غير اختيار منى لعلى أرى إلى جانبه نسر جوبيتر - كبير أرباب اليونان -

الذى يحمل الصاعقة فى منقاره . وهممت أن أخاطبه بالأغريقية لولا أننى أدركت أنه يفهم الألمانية ! » . ووصف الكاتب الروسى الحديث مرجكفسكى هذه الجفوة الباردة فى محضر جيتى فقال إنه ليشبه تماثيله الرخامية تمامةً !»

ولو وقف الأمر عند هذا البرود فى محضره لهان ولم يكن فيه على الرجل كبير ملام . انما الملام الأكبر أن تبحث فى تاريخه عن صلة حية بينه وبين بنى الانسان فى ذلك العصر الفوار بالحوادث الانسانية فلا تجد ، فقد عكف على نفسه لا يعنى بغير ما يعنيها لتوه وساعته ولا يكلفها جهدا للخوض فى هذا الغمار ولو من قبيل التفكير والغيرة من بعيد ، وكانت أمم العالم تعج بالخطوب وتعتلج بالآمال والآلام وهو قابع وراء أسوار نفسه لا يريمها ولا يطل منها اطلالة عطف أو اهتمام . وشهد يوما شجارا بين الخدم والحوذية فكتب فى مذكرته « إن هذا الشجار قد حركه فوق ما حركته تجزئة الدولة المقدسة ! » ودخل عليه اكرمان وقد سمع بأنباء ثورة يوليو الفرنسية فقصد أن يزوره ويتحدث اليه، فبادره جيتى عند دخوله قائلا : « آه . حسن ! ما رأيك

فى هذا النبأ العظيم . لقد أرسل البركان حممه واشتعلت النار فى كل شئ . وليست هذه بعد محاضرة فى حجرة مسورة . فقال اكرمان : انه لحادث مرعب . ولكن ماذا يتوقع من وزارة كتلك إلا أن يؤول الأمر إلى نفى الأسرة المالكة ؟ فعجب جيتى وقال له وكأنه يتهكم : ياصديقى العزيز جدا ! يلوح لى أننا لانتفاهم . فما عن هذا تكلمت وإنما أتكلم عن أمر آخر . إنما أتكلم عن البحوث التى بدأت بين كوفييه وجفرى سانت هيلر فى جلسة المجمع العامة » يشير إلى بحوث هذين العالمين فى أصل الأنواع

وقد اضطربت البلاد الجرمانية بالثورة على نابليون فكان هو فى جانب القوة بسخر بهذه النخوة ويقول للأدباء الناشئين الذين تقلدوا السلاح : «لاتقعقعوا بسلاسلكم فان الرجل كبير عليكم !» . وتكلم أمامه أناس فى القائد ولنجتون فجعل يرحض عنه ويثنى عليه لأنه كيفما كان هو قاهر نابليون وغالب الهند . وقال : « كل من كانت معه القوة العليا فالحق معه . . . وعلينا نحن أن نحنى له الرءوس ! »

ولامه الناس على جموده فى ابان النهضة الوطنيه فكان

الامورلى وأنافى العشرين لما كنت آخرمن يهب ويهيب . ولكنها حدثت وأناقد جاوزت الستين .... وفيما بينى وبينك أنا لاأبغض الفرنسيين وان كنت حمدت الله حين خلصت منهم البلاد»

وليس قول جيتى هذا الاحتجاج محرج لايدرى مايقول، والا فكيف عرف أن يحب الفتاة الحسناء ويخطبها للزواج فى الرابعة والسبعين ولم يعرف أن يبغض أعداء بلاده فى الستين ؟ وهل كان شأنه فى هموم الألم وآلام المظلومين يوم جاوز الستين الا كشأنه فيها وهو دون الخمسين ودون الاربعين ؟

لقد قارن ماتسينى بطل ايطاليا الوطنى وقديسها بين جيتى وبيرون فى هذه الخصلة فقال : « وقفت يوما على قرية سويسرية أراقب العاصفة وهى تقترب وتؤذن بالهبوب . وفى السماء غيوم كثيفات سود تذهب حواشيها أشعة الاصيل ويطبقن سراعا على أصفى سماء فى جو أوربا ماخلا جو ايطاليا الجميل . وكان الرعد يقصف من بعيد وأمواج الرياح القارسة تقذف بالمطر الغزير على السهل الظمئ .

يقول : «انها لدينا سخيفة لا تعرف ماتروم ولاحيلة معها الا أن ندعها تلغو كما تشاء . فكيف كنت ترانى أحمل السلاح بغير بغضاء ؟ ومن أين لى بالبغضاء فى غير شباب ؟ لو حدثت هذه

على سرير الموت

« وأنظر فوقى فاذا بباز كبير من بزاة الألب يعلو تارة ويهبط أخرى وهو يقتحم العاصفة فى كبة الرياح الهوج كأنما كان يهجم عليها هجمة القريع على القريع ، وكلما جلجل الرعد جد الطائر النبيل فى العلو كأنما يجيبه و يتحداه . فظللت أتبعه بنظرى برهة حتى غاب فى ناحية الشرق عن العيان

« ثم نظرت الى الأرض على نحو خمسين خطوة منى فاذا بالطائر أبى حديج قابع هناك على هينة واستقرار بين حرب العناصر الزبون ، ورأيته مرتين أو ثلاثا يرفع رأسه قبل مهب الريح بهيئة لا توصف من الاستطلاع الضعيف وقلة الاكتراث !! ثم أعرض عن هـــذا ورفع احدى ساقيه النحيلتين وزوى رأسه تحت جناحه وتهيأ للنعاس فى هينة واستقرار

« ذكرت بيرون وجيتى حينذاك وذكرت حياة أحدهما تموج بالزعازع وحياة الآخر تغمرها السكينة والسلام ، وذكرت الينبوعين الزاخرين الذين ختم عليهما واستنفدهما هذان الشاعران »

ذلك أصدق تصوير لشـاعرين كبيرين من طينتين جد

مختلفتين . وأنصار جيتى الغيورون على شهرته يشعرون بهذه النقيصة فيه فيتعملون لسترها بالمعاذير ،وقد يسخف بعضهم فينقلب من تلمس الأعذار لها الى اعتبارها مزية تستوجب الثناء ! ! لانها علامة الرفعة عن هموم الحياة الصغرى وشواغل الجماهير والعلو بالفكر الى أفق أكمل من ذلك وأكرم وهو أفق الجمال والمعانى الخالدة والعزلة الالهية ، ولو صح أن الترفع عن هموم الجماهير مزية تحمد لجاز أن يحمل برود جيتى على ذلك المحمل وأن يجزى عليه بالثناء والاعجاب . ولكنه غير صحيح ولا قريب من الصحة ، فان من فاته الشعور بآلام بنى الأنسان وبشاعة الظلم فقد فاته شعور الصدق وفاته شعور الخير وكلاهما عنصران من عناصر الشعور الجميل ، واذا كان تمثيل الشقاء فى الصورة الفنية عملا جميلا فليس الشعور بالشقاء والعطف على الأشقياء بالعمل القبيح

وهب مايقولون صالحا لتفسير الفتور فى احساس جيتى بمسائل الامم فهل هو صالح لتفسير فتوره فى علاقاته مع الأفراد وقعوده عن البر حتى حين يكون البر واجبا يفرضه الولاء

للعبقرية والمروءة ؟ لقد استغاث به بيتهوفن فى محنته وكتب اليه يقول وهو يظن أنه يغض من عزة نفسه بين يدى انسان يفقه معنى العزة والعبقرية : « الحق أننى كتبت كثيرا فى الموسيقى — ولكننى لم أجن شيئا . ولست الآن وحيدا لأننى أصبحت من سنوات ست أبا لابن أخى الفقيد . . . . كلمات قليلة منك تسعدنى » . فماذا كان جواب جيتى لتوسل ذلك الشيخ المعذب المحروم ؟ ولا كلمة . ! أيصدق القارىء ؟ نعم ولا كلمة . . ! وقد اعتذر بعضهم عن جيتى بمرضه يوم وصول الخطاب اليه ، فان كان هذا عذرا فماذا كان عذره بعد ذلك بأيام أو بأسابيع أو بأشهر ؟ لا عذر هنا يجوز فيه الكلام

وكتب اليه « فويت » صديقه وزميله فى الديوان وهو على فراش الموت يقول له : « . . . أردت أن أكتب اليك هذه الكلمة الأخيرة وفى رمق . . . آه ياعزيزى جيتى . . . . ولكننا سنعيش معا فى عالم الروح . . . » فماذا صنع العزيز جيتى بهذه الدعوة المتوجهة اليه من صديق يسلم الروح وينتظر الموت ساعة بعد ساعة ؟ لبث يوما لايجيب . ثم أرسل اليه ورقة مع خادم ! ! وما كانت دار صديقه المحتضر الا على قاب خطوات

من بيته ، فماذا كان يضيره لولي أمنيته الأخيرة وذهب اليه ؟ لاضير . وما نظن مثل هذه الخلة مما يرضى به ذوق جميل

وقس على ذلك علاقاته بهردروشيلر وكلاهما ذويد عليه فى تنبيهه واستنهاضه ، فما كانت علاقاته بهما تخلو من ملامة وتقصير ؛ بل قس على ذلك علاقاته بكل انسان حتى أمه وأبيه وأولياء نعمته وأقرب الناس اليه

فهو رجل واضح الأثرة لم يزعج نفسه قط لخطب فرد ولا لخطب أمة ، ولم يخفق قلبه خفوق الايثار برحم ولا محبة . وغرامه بالنساء الكثيرات لا ينفى ذلك بل يؤيده ويضيف اليه . فانه كان غرام فن ورياضة ولم يكن غرام مودة وحياة ، وأى فضل للانسان فى أن ينشد المتعة والسلوى والسرور ؟ وأى غرابة فى حب الرجل للمرأة وهى ألف مخلوق لألفه ، وانسان آخر بينها وبين الرجل عطف وليس بينها وبينه منافسة ولا سباق ؟ هنا يستفيد الرجل ويضم اليه إنسانا يتممه ، ولا يخشى على أثرته من ذلك الانسان

ومع هذا كان جيتى يهرب من الحب كلما كلفه بعض العناء ، وكانت بغيته فى الحب «الحضور» كما قال وأعاد . فمن غاب عن عينه فليس

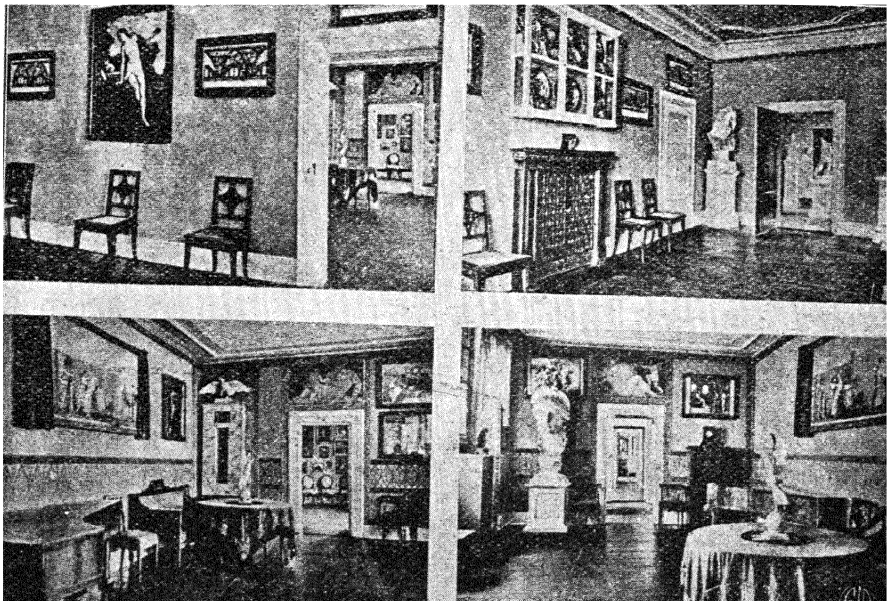

حجرات منزل جبتى من الداخل

بحاضر فى قلبه ولا يلبث أن يحجبه النسيان ، ومثل هذا الحب الذى أحبه جيتى ولم يعرف سواه لاينفى الأثرة وانقطاع أواصر المودة والرحم بينه وبين بنى آدم

بل لعلنا لانخطىء اذا قلنا انه كان فرديا حتى فيما أحب من الحيوان ، فما آثر القطط على الكلاب الا لأن القطط فردية جافية والكلاب فيها عطف والفة ! !

وأكبر الظن أن جيتى ورث هذه الخلة وراثة عن أبيه ثم نمت مع الزمن فيه ، فقد روت لنا « بتينا برنتانو » نقلا عن أمه أنه لما كان صبياً صغيراً مات أخوه ورفيقه فى اللعب « جاك » فلم يذرف عليه دمعة وامتعض من بكاء أهله ، ولما سألته أمه : أما كان يحب أخاه؟ جرى إلى حجرته وجاءها بأوراق فيها رسوم ونوادر كان قد أعدها لتعليم أخيه حين يكبر! فكأنه لم يحب من أخيه فى تلك السن الصغيرة الا موضوع فن وتربية !

فهذه الخواتيم من تلك البوادر - ويزيدها أن جيتى قد عوفى من شدائد العيش وحرقات الخيبه وأهوال التجارب ففتر مابينه وبين الناس من حرارة العطف والولاء وقرابة الألم والعزاء ، ولنرجع هنا الى ما كتبناه فى صدر هذه الرسالة

عن النفس الالمانية وحقيقة شعورها بالوطنية والجامعة القومية ، ففى ذلك تفسير لفتور الوطنية فى قلب جيتى وعذر له من تلك النقيصة التى لامراء فيها ، إذ كان فى الدعوة الجرمانية شيء ينافى الوطنية فى بعض الأحيان ، لأنها توشك أن تقضى على استقلال الدويلات والأمارات الصغار ، وإذ كان لجيتى مندوحة من شواغله الأدبية عن مصادمة الوقائع ومعاناة المظالم ، وكان منصبه ينأى به عن ذلك ولو لم تكن له شواغل أخرى تصرفه وتلهيه

ولا ننس بعدُ هيبة الألمان للمناصب الكبار فى القرن الثامن عشر ووراثة جيتى هذه الهيبة عن أبيه . ثم هاهوذا قد تسنم تلك المناصب وارتفع الى مراتب النبلاء ، فهل يسيرُ عليه أن يستخف بها ويفقه دعوة الحرية كما يفقهها رجل لا تغشى بصره غاشية هذه الهيبة ولا تجرى فى عروقه دماء تلك الوراثة؟ ثم حب الراحة الذى فطر صاحبنا عليه ماذا يصنع به وكيف ينفضه عنه ؟! وكيف يسارع الى عقيدة تحفزه الى الكدح والجهد وليس له طاقة بهما ولا عهد له باختبارهما من قديم ؟!

واذا صح « توصيف » الباحثين لمرض جيتى فى شبابه (١) واستدلالهم عليه باعراضه التى وردت فى رسائله وكتبه وبما كان بعد ذلك من موت أولاده فمن شأن هذا المرض فى أغلب الأحيان ان يضعف العطف ويدخل الجفوة على الطباع

هذه معاذير نسوقها لانصاف ذلك العبقرى الكبير وتصويره على جليته بغير إجحاف ، ولكننا لانعرف بينها عذرا هو أوجه من حب الراحة أو السكون الذى فطر عليه ولا حيلة له فيه . فان كان جيتى لم يكدح لغيره فهو لم يكدح لنفسه ، وان كان قد أحجم عن تدبير الخيرات فهو قد أحجم كذلك عن تدبير الشرور

ولقد قال مرة أنه يلمح القاتل فى أعماق ضميره ، وما من فنان إلا وهو مستطيع أن يقول ذلك على معنى التصوير الفنى لامعنى الاجرام . فانه مطالب على الاقل بأن ينتزع من شخصه كل شخوص خياله ، فعلى هذا الاعتبار كان جيتى يضمر الشر ويلمحه فى أعماقه ، أما أن يقارف الشر وينصب لتدبيره فبينه وبين ذاك حائل

---

(١) راجع كتاب تربية جيتى العاطفية
L'Education Sentimentale de Goethe
صفحة ١٩١ و٢٥١ لمؤلفه روبرت داركور

الطبع ، وحائل الكياسة

فكل مايؤخذ على جيتى من نقيصة فهو نقيصة فنية بالمعنى الذى ألمعنا اليه أو نقيصة المطاوع المستجيب الذى لايجاهد فى مكافحة المغريات . وفى هذه الضرورة شفيع ! وفى العبقرية شفيع آخر ، فأن أثرة العبقرى الكبير أثرة إنسانية تعنى الناس جميعا لانها تشتغل بكل مايعنى بنى الانسان ، فعسى أن ينفعه هذان الشفيعان .

عقيدة جيتى وآراؤه

من عرف صفات جيتى وخصائص عبقريته لم يصعب عليه أن يعرف عقيدته فى الدين وأراءه فى الأخلاق والاجتماع والسياسة .أولم يصعب عليه أن يعرف الاشياء التى يمكن أن تنطوى عليها تلك العقيدة والأشياء التى لا يمكن أن تنطوى عليها، فانما عقيدته وأراؤه خلاصة من صفاته وخصائص عبقريته ، وهو كان رجلا يأبى الجهد ويكره أن يزعج نفسه ، وكانت له عبقرية مستجيبة مستسلمة تأخذ الدنيا جزءا جزءا كما يأخذها الفنان الذى يتملى جمالها والشعور بها ويجد فى ظواهرها الكفاية لحبها وتعظيمها . فعقائده لن تخرج عن هذه الصفات ولا عن هذه الخصائص ، وكل ماهو عويص أو مجهد أو بعيد عن طريق الفن والجمال فلك أن تستثنيه من آراء جيتى فى جميع الشؤون ، وأنت مطمئن الى ذلك كل الاطمئنان

وقد قلنا أن جيتى صاحب عبقرية متعددة الجوانب ولكنها تؤول كلها الى طبيعة واحدة . فما يؤيد ذلك ولا ريب أنك تعرف عقائده من صفاته وجملة أفكاره . فان الجوانب المتعددة التى

ترجع الى معادن متعددة تستعصى على مثل هذا التقدير ولا يغنيك العلم بالكثير منها عن العلم بأيسر يسير ، إذ ربما كانت عقيدة صاحبها مناقضة لأخلاقه أو لفكره أو لمزاجه ، أما فى جيتى فالجوانب تختلف ما تختلف والآفاق تتسع ما تتسع ولكنها لا تشذ أبدا عن تلك الطبيعة الواحدة التى أجملناها فى الكلام على عبقريته وأخلاقه

* * *

جيتى مؤمن بالله مسلم بالقدر : « ان الله أحكم منا وأقدر ، فله أن يتصرف بنا كما يشاء »

هذا هو التسليم بالقدرة الكبرى والحكمة الالهية فى الوجود وللقدرة الالهية دلائل كثيرة يلتمسها الباحثون فى أخفى نواحى البحث وأظهرها ويعبرون اليها بحارا من الفلسفة والتصوف لا يسهل عبورها . فأما جيتى فثق أنه لا يغوص على ايمانه ولا يركب اليه المراكب العصية ، فحسبه الجمال فى العالم دليلا على الجبلة الالهيه فيه وفينا ، أو كما قال لصديقه مولر : « أن القدرة على تجميل الحس وبث الحياة فى المادة الصماء بتزويجها من الفكر

لهى أقوى حجة على فطرتنا العلوية » والدين عنده لا يكون الاواحدا من اثنين : « فأما دين يعرف القدس ويعبده حيث يتراءى فيما حولنا بغير شكل ولاقالب ، وأمادين يعرف القدس ويعبده حيث يتراءى فى أجمل الأشكال والقوالب ، وكل مابين هذا وذاك فهو وثنية وجهالة » . ومادمنا نشعر بالجمال حولنا فنحن نشعر بالقدرة الالهية فى العالم وفى أنفسنا معا . قال كبلر : « أمنيتى أن أدرك الله فى عالمى الداخلى كما أدركه فى كل مكان من العالم الخارجى » فقال جيتى متهكما : « ان الرجل الطيب لايدرى أنه حين يدرك الله فيما حوله فالالهى فيه متصل هنالك بالالهى فى الكون أوثق الصلات »

كذلك قال لجا كوبى : « ان الأقدمين فى أوج رفعتهم كانوا ينشئون القداسة من الجمال ، فزيوس كبير آلهتهم لم يبلغ التمام الا فى تمثال الأولمب »

وقال لا كرمان فى عام وفاته : « دع من يشاء يبدع إن استطاع بمحض العزيمة الانسانية ـ أى بغير مدد إلهى ـ شيئا يضارع ماأبدعه موزار أورفائيل أو شكسبير ! »

فالجمال هو معجزة الكون الالهية عند جيتى ، وهذا هو ايمان الشاعر الفنان .

* * *

وإيمان جيتى بخلود الانسان ضرب من التسليم بالقدرة الكبرى والأنابة اليها . فمادام الانسان فى كفالة تلك القدرة فهى تمضى به الى الذى هو أقوم ، وهى لا تصنع العبث ولا تبطل ماتصنع . وقد قال بلسان بروميثوس : « لا أذكر بدايتى ولا أحس نهايتى ، ولا أدرك الختام وإنما أنا خالد لأننى أنا موجود » وكلٌ يحمل برهان خلوده فى نفسه فمن لم يجده هناك فماهو بواجده فى شئ !

ولما سأله فولك عقيب وفاة صديقهما فيلاند : « ماتظن فيلاند صانعا فى هذه الساعة ؟ » قال : « أنه لا يصنع شيئا حقيرا ، ولا شيئا يغض منه ، ولا شيئا يناقض عظمة الأخلاق التى أثبتها فى حياته » وهذا أمر لا خلاف فيه . أما ماعدا ذلك فليختلف فيه المختلفون

ثم استطرد الى ذكر « الوحدات » المعروفة فى مذهب

الفيلسوف ليبنتز ، وقال أنها خالدة لايمسها الفناء ، وأنها على وفاق مع القدرة الالهية لاشذوذ فيه

ولا طاقة لجيتى بالفلسفات العويصة التى تخوض فيما وراء الطبيعة وتقيم الدليل على خلود النفس بالمقدمات الطويلة والنتائج المعضلة . فايمانه بالخلود لاشأن له بهذه الفلسفات ولا مرجع فيه الى البحث الذى يكد الذهن و يثقل على الخاطر . ولكنه يستريح من الفلاسفة الى اثنين فى المحدثين وهما « سبنوزا » و « ليبنتز » الذى تقدم ذكره . وهو فى إيثاره هذين الفيلسوفين وفى للعبقرية التى عرفناها وعرفنا حنوحها الى التسليم واستحسان ماهو حاضر . فان سبنوزا هو فيلسوف « وحدة الوجود » القائل بأن الله هو الكل والكل هو الله . وأن الالهية ظاهرة فى كل جزء من أجزاء هذا العالم . فالانسان لايذهب بعيدا فى طلب الاله والكشف عن الأسرار وجيتى لا يأبى أن يمشى مع هذا الفيلسوف فى طريقه الدمث المريح

وسبنوزا كذلك هو القائل ان الدنيا تتغير ماتتغير ويبقى فى كل تغيير شىء دائم خالد هو عنصر الكمال والجمال الذى يتجلى فيه

الاله . وهنا أيضا لا يتعب جيتى من مصاحبة هذا الفيلسوف ، لانه يطمئن معه الى نفسه ويرضى عن كل حالة تمر به أو تصيبه

« أما ليبنتز » فهو فيلسوف الفردية والاجزاء والرضى عن الوجود لأنه خير مافى الامكان ، وهل أحب الى جيتى من الفردية والاجزاء والرضى عن الوجود ؟ فالعالم عند ليبنتز وحدات منعزلة يعكف كل منها على نفسه ويترقى على حسب قوانينه المكنونة فيه ، فلا سلطان عليه للوحدات الأخرى ولا يلوح لنا نحن أنه يتأثر بتلك الوحدات الا لانها كلها معدن واحد قديم مرتب منسوق منذ أزل الآزال ، وكل وحدة هى مرآة القدرة الالهية تتجلى فيها هذه القدرة على حسب حظها من الترقى والكمال ، فلا هيمنة لاحداها على سائرها وانما تستقل كل منها باظهار قدرة الله على منوالها : مثلها فى ذلك مثل ألوف الساعات التى تدلك على الوقت وتتفق كلها فى الدلالة عليه ثم أنت لا تفهم من هذا أن احداها أثرت فى سائرها ولو كانت أدق وأنفس منها . وكل وحدة خالدة تترقى وتظهر جمال الله على درجات فى الاظهار ، فالفردية المعزولة فى هذا العالم السعيد على أتمها هنا ، وجيتى يأوى من هذا

المذهب الى بيته الأمين

وقد تلمح فى جيتى أثرا من آثار أفلاطون فى كلامه عن المثل التى تسبق الموجودات ، فذلك الماعه فى الجزء الثانى من رواية فوست الى عالم السكون المجهول الذى لامكان ولا زمان فيه ولا تتقيد فيه الاشكال بقيود ، ولكنها عبارة شعرية لأكثر ولا أقل ، وليس جيتى بعد هذا بالذى يعنت ذهنه فى استقصاء هذه الأسرار الى غاياتها البعيدة ، لأن مذاهب الفلاسفة فى شرح خلود النفس كما قال فى أخريات أيامه « هى شغل المتبطلين من السراة الخالين أو النساء اللواتى لا يشغلهن شاغل »

ومن ثم انكاره على السلطان الذى كان يدعيه رجال الكنيسة لانفسهم فى الوساطة بين الله والناس ، فهو ينحو فيه نحو الفردية ونحو « وحدة الوجود » فى وقت واحد . اذ « كل الحقائق تأتى من عند الله . و هؤلاء الناس — يعنى رجال الدين - يزعمون أن الله لا يتكلم الا بوساطة الكنيسة . فهم لا يرون كيف يتكلم الله بلسان جميع الأشياء ، فما من حشرة تدب على الأرض ومامن ورقة على شجرة الا ولها نبأ تقوله من عند الله » . وجيتى يعنى

الكنيسة الكاثوليكية بذلك الكلام ، وهى غير كنيسته البروتستانتية التى نشأ عليها هو وأهله . فليس فى كلامه هذا تمرد جديد على سلطان وطيد !

ولا يخفى أن جيتى قد خامرته الشكوك فى كل مذهب وكل ملة واتخذ لنفسه عقيدة تخالف عقائد الشعائر والمراسم فى الجملة والتفصيل ، وعرف الله فى نفسه وفيما حوله بغير هداية من ذى كهانة الا من كان يقرأ لهم ويحادثهم فى أمور الدين . وله مثل ظريف فى استقلال الفرد بعقيدته يقول فيه أن عقيدة الانسان ينبغى أن تكون كالذخيرة التى يدخرها فى بيته ليعتمد عليها وقت الحاجة . أما ذخائر المصارف فأرباحها لأصحاب المصارف ، وقلما يربح منها المستعيرون

ولكنه على مخالفاته وشكوكه لم يتمرد قط فى كفر ولا عقيدة ؛ الا فى سورة الشباب أيام أن نظم قصيدته فى « بروميثيوس » الاله الثائر على رب الأرباب ، وأيام اعتلاج المناظر الأولى من رواية فوست فى ضميره وخياله ، ثم ثاب الى مذهب يقارب مذهب ابن العربى الذى يقبل فى قلبه كل صورة ويجمع فيه « دير الرهبان ومرعى الغزلان » .

فخرج من رواية ولهلم ميستر بجماع مذهبه فى الأديان كافة وهو احترام الجميع . فكان يعتقد أن الاديان ثلاثة : واحد يدعوك الى احترام ما فوقك وليس أسهل منه ، وآخر يدعوك الى احترام مايقاربك وهو أصعب من ذاك ، وثالث يدعوك الى احترام مادونك وهو المسيحية . ولن يكمل دين المرء حتى يؤلف بين هذه العقائد جميعا فيحترم كل شيء ويرضى عن كل شيء ، ونحن هنا من طبيعة جيتى فى صميم الصميم ! فلا تمرد ولا استخفاف بل تبجيل وتسليم

واشتهر جيتى بالسخر الخفى فى أحاديثه وفى تواليفه ، ولابد أن يسخر رجل عاش كما عاش وشهد كما شهد واستعرض الدنيا استعراضه لحقائقها وعجائب أكاذيبها ، الا أنه سخر لا استخفاف فيه ولا صغار ولا رعونة ، وربما نفعته فى هذا طبيعة المحافظة الراسخة فيه ، فعودته التهيب ومداراة الأمور

وانك لتعجب لهذا الذهن الكبير كيف كان يضيق به النظر كلما باغته التغيير فأجفل من المباغتة وسارع الى الانكار فى غير موجب للانكار ، فهذا الذهن الذى يتناول المسائل الجسام فى سهولة ورفق لم يلبث أن سمع باباحة الزواج باليهوديات حتى

ثار ثائره واستعظم الامر كانما فيه ثورة على نظام الوجود. قال موللر : « ما كدت ادخل على جيتى فى نحو الساعة السادسة ... حتى بادرنى الشيخ العزيز ببيان مسهب عن الغضب الذى خالجه من قانوننا الجديد الذى أباح الزواج باليهود ..... فقد أبدى أشد المخاوف وتوقع أوخم العواقب وقال : لو كان المراقب العام رجلا من ذوى الاخلاق لآثر أن يعتزل منصبه على أن يبارك اليهود فى الكنيسة باسم الثالوث المقدس! »

كان هذا فى سبتمبر سنة ١٨٢٣ ، أى بعد موت زوجته بسبع سنوات ، فخليق بهذه الغضبة العجيبة أن تعرفنا سر رضاه بكرستيان فلبيوس قبل الزواج وسر معاشرته اياها على خلاف العرف فى بيئته وزمانه . فلم يكن مسلكه هذا اجتراء على تغيير مألوف الناس بل كراهة منه لتغيير مألوفه ، وكل مافى الامر أنها امرأة استطاب العيش معها فلم يقدر على فراقها . فقبل من أجل ذلك أن يغضب من أغضب وهو قانع مستريح

هذه الراحة هى قوام هذه العبقرية فى كل رأى وفى كل مسلك وفى كل خطة . فما التقوى ؟ وما الخلق ؟ وما الفن ؟

كلها وسائل للسلام أو للتوازن والطمأنينة فى النهاية . « فالتقوى ليست غرضاً لذاتها ولكنها وسيلة للترقى بسلام النفس الى أرقى مراتب التهذيب » .. والشعر وسيلة نتخذها لسد خلل الحياة وترك التبرم والشكاية ، والفن « ليس غيره وسيلة مأمونة للنجاة من العالم وليس غيره وسيلة مأمونة للحلول فيه » وقواعد الآداب والأخلاق : « محاولة دائمة لاقرار السلام بين مطالبنا الفردية وقانون العالم المستور » فكل ما ليس فيه سلام ولا أمان فليس فيه خير ولا إحسان !

نعم انه كان يوصى بالعمل ولا يكف عنه ، ونعم انه كان يعتبر العمل سبيل الخلاص والتكفير لأنه سبيل تعريف الانسان بحقيقة نفسه ولا خلاص للنفس بغير هذه الحقيقة ؛ ونعم انه استرسل فى هذا المعنى حتى قال إنه لا يدرى ماذا يصنع بالخلود الأبدى الذى لا عمل فيه ولا واجب ، ولكننا يجب ألا ننسى أبداً أن هذا العمل لا ينفى الراحة والطمأنينة ، فكل عمل لجيتى فمشروط فيه أن لا يجهد ولا يزعج وأن يكون عفو الطبع والسليقة : « وليذهب كل إلى واجبه كالنجم فى غير عجلة

ولكن فى غير فتور » كما قال فى احدى مقطوعاته. وما الواجب الذى يذهب اليه ؟ هو عند جيتى مَطالب كل يوم . فمن قام بمطالب الحاضر يوما بعد يوم فليس عليه واجب أقدس من ذاك . أو كما قال فى وصية أخرى : « كن أمينا لحظة بعد لحظة فهذا خير ما تفعل » . فالمرء لا يذهب مع جيتى بعيدا فى طلب الله ولا فى طلب الواجب ، فهو يجد الله و يجد الواجب حيث كان !

أما حكم الأخلاق عنده فى تناول طيبات الحياة فهو الحكم المنظور عند رجل يؤمن بالحس ويؤمن بالواقع الراهن كل هذا الايمان . فالدنيا حقيقة وليست بوهم ولا عبث ، بل هى حقيقة حتى فى نظر الله وليست كذلك فى نظر الانسان وحده . والا « فعيشك سبعين سنة لن يساوى فتيلا إذا كانت حكمة الدنيا بأسرها حماقة عند الله » . ولقد قال « إن الكل باطل معناه أن الكل ليس بباطل » . وما دامت الدنيا حقيقة وليست بوهم ولا عبث ففيم نعرض عنها ونزهد فى طيباتها ؟ فكل ما أباحه اليونانى القديم لنفسه فهو مباح فى عرف جيتى بغير تلجلج ولا معاناة . و « لنقدم على السعادة » كما قال ولنعرض عن المعرضين .

فهو الرجل الأغريق المثقف فى محللاته ومحرماته . وقد كان له رمزان ينظر اليهما كثيرا ويأنس اليهما فى بيته : وهما تمثال جوبيتر وجمجمة إنسان ، ومانحسبه كان يترجم عن نظرته الطبيعية إلى الحياة والموت بأبلغ من هـذين الرمزين

لقد أوصى جيتى بالتسليم ونكران النفس ، ولكن أى تسليم وأى نكران ؟ فأماالتسليم فهو الرضى بالحاضر لكى تتملاه إذ كان السخط عليه حائلا بينك وبين تمليك إياه . وأما النكران فهو ترك القليل فى سبيل الكثير ، وليس هو التعويل على ترك هذا وذاك . فخذ الحاضر كما يجىء اليك ولا تأس على الماضى : « فليس فى هـذه الدنيا ماض يؤسف عليه وإنما كل ما فيها جديد دائم » ولا جدوى تعود علينا من وراء الحزن على مايزول . « فانما نحن هنا لنصبغ الزائل بصبغة الدوام . ولا يتاح لنا ذلك إلا بتقدير الزائل والدائم على السواء » . وفى آية من آياته الشعرية الخالدة يقول : « كيف تراك تجدد نفسك بلا وناء ؟ إنك مستطيع ذلك ، مستطيعه بأن تجعل لنفسك نصيباً من السرور بالعظمة . فان كل عظيم لا يزال أبدا جديدا حارا

مملوءا بالحياة، وفى الحقير ترتعد أوصال الرجل الحقير » . فالعظمة فى الانسان وفى الطبيعة هى الخلود أو الحياة التى لا تنى تتجدد ، وعلى الانسان أن يكون كالطبيعة وليس عليه أن يخلق مذاهب الأخلاق من الهواء ، أو كما قال : « ان جميع المثل العليا لن تعوقنى أن أكون ما خلقت . أى أن أكون طيبا ورديئاً كهذه الطبيعة » . فاذا حدثه أحد عن الضمير صاح به : « وما الضمير ؟ وما الذى يتقاضانا إياه ؟ » وليس معنى هذا رفض الضمير والزراية به ، وانما معناه اننا نحن قوام الضمير بما نختار ، ولسنا أسارى الضمير على الكره والاضطرار

* * *

وبعد فقد يكون من اللغو أن نسهب فى شرح آراء جيتى السياسية وموقفه من مبادىء الثورة الفرنسية التى حضر عهدها . فان تلك الآراء واضحة كل الوضوح فيما تقدم فلن تكون فيها مخالفة لما فطر عليه من السكينة والعزلة الفردية وفتور العاطفة بينه وبين من حوله . ولكننا ننقل هنا فلسفته العلمية عن النظام الذى يراه فى سنن الطبيعة : فهو يقول فى

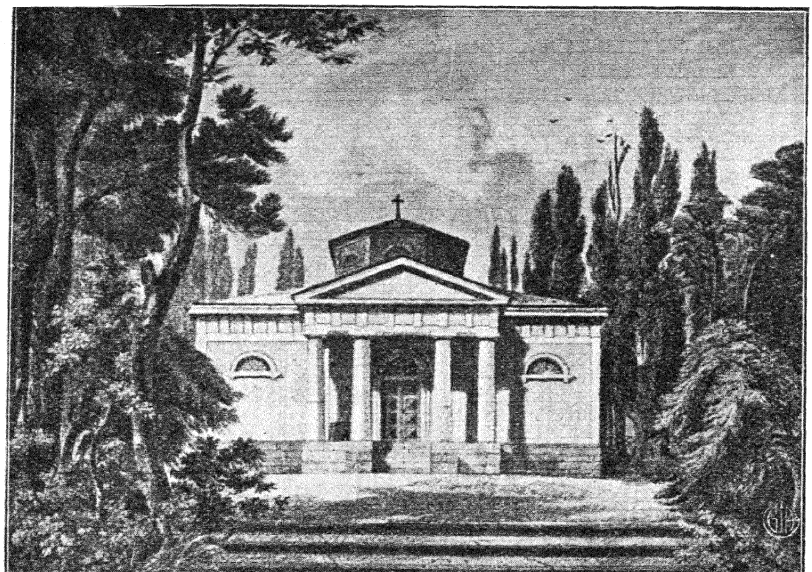

مقبرة الامراء حيث دفن حيتي

كتابه عن علم تركيب الاجسام الحية انه « كلما نقص تركيب البنية عظم التشابه بين أجزائها وعظم التشابه بين كل جزء وبين مجموعها . وكلما كملت البنية عظم الخلاف بين الأجزاء . ففى الحالة الأولى تكون الأجزاء تكريرا متفاوتا للمجموع ، وفى الحالة الثانية تختلف الأجزاء عن المجموع كل الاختلاف

« كذلك كلما تشابهت الاجزاء قل خضوع كل منها للآخر ، فخضوع الأجزاء ينبىء عن مرتبة عالية فى التكوين »

هذه فلسفة علمية يصح أن تنقل الى الفلسفة السياسية ، وهى صحيحة كل الصحة فى العلم وفى السياسة . ولكنها تؤيد آراء الأحرار ولا تؤيد آراء المحافظين ، فهى تستلزم أن يخضع كل جزء لمجموع الأجزاء ولا تستلزم أن تخضع جميعها لجزء واحد أو أجزاء قليلة ، ثم هى تشير إلى حالة الصحة فى تركيب الجسم حيث تتضامن أعضاؤه كلها فى التعاون والتساند ، ولا تشير الى حالة المرض التى يختل فيها تركيب البنية فيزيد الدم فى ناحية وينقص فى ناحية أخرى

كان جيتى يعارض مبادىء الثورة الفرنسية ولكنه كان

يرى أن الثورات من خطأ الحكومات، وأن أحسن الحكومات هى التى تعلمنا أن نحكم أنفسنا » : وقد حذف صيحات الحرية من طبعات رواية «جوتر» الأخيرة ، وكان يتساءل : « ما فائدة الحرية الزائدة إذا كنا لا نستطيع أن ننتفع بها ! » ولو أنه حرم الحرية يوماً لما خطر له أن يسأل هذا السؤال

وقد توسع جيتى فى ختام « رحلات ولهلم ميستر » فى الكلام عن الحكومات والاوطان وحقوق الانسان فى بلده وغير بلده ، فنصح بالرحلة والتنقل الى حيث يفيد الانسان....فقد يكون فى بلده عاطلا متبطلا ولا يظهر عليه ذلك لساعته . أما فى الغربة فالرجل الذى لا نفع فيه لا يلبث أن ينكشف » . وقال : « ولقد طالما قيل انه حيثما رضيت فهناك وطنى . وأولى أن يقال بل حيثما أفدت فهناك الوطن » . ثم قال : « على هذه الصفة نستطيع أن نحسب أنفسنا أعضاء فى جامعة واحدة هى العالم بأسره . وهى فكرة بسيطة جليلة سهلٌ على الانسان تحقيقها بالفهم والاقتدار ، فالاتحاد قوة كبرى: فلا انقسام إذن ولا خصومة بيننا . وليتعود كل منا أن يرى نفسه بغير صلة دائمة تقيده بمكانه ، ولينشد الدوام

فى نفسه لافيما حوله . فهنالك هو واجدٌ واجبه وهنالك فلينعم به وليزده ، وكل من وقف نفسه لألزم الحاجات وأقربها فهو متقدم فى طريقه على ثقة فى جميع الاحوال ، أما الذين ينشدون الارفع والاكمل فيفتقرون الى حكمة أعظم وأقدر حتى فى اختيار الطريق . وأياً كان المرء عاملا أو محاولا فليعلم أنه لايكفى نفسه ولا يستغنى عن الجماعة » . ثم قال : « علينا واجبان أخذنا أنفسنا بالتزامهما أشد الالتزام ، فأولهما أن نوقر كل عبادة دينية فان جميع العبادات تلتقى على اختلافها فى العقيدة . وثانيهما أن نوقر كذلك الحكومات على جميع أشكالها ، ومتى كانت كل حكومة تهدى إلى العمل المدبر وتقوم على تشجيعه فعلينا أن نعمل وفاق ما تفرضه السلطة المقرره وترومه ، أينما قسم لنا أن نكون »

وليس فى هذه النصائح جميعها نصيحة واحدة لاتوافق طبيعة جيتى فى صميمها . فهو عالمى لانه فردى ، وليس كل عالمى فرديا على هذا المثال

* * *

لقد عرفت البارونة « فون شتين » صاحبها حقاً حين سمته

باسم « اللاما » كاهن التبت الأكبر العاكف على رأس جبله فى نجوة عن العالمين ، فقد عاش جيتى فى صومعة من نفسه وعاش كاللاما فى سكينته وبعده ، غير أننا حريون أن ننبه فى ختام هذه الكلمة الى خطأ قد يقع فيه المتعجل فيضل فى فهم هذه العبقرية أشد ضلال . فلنقل مانقول فى « راحة » جيتى ولا ننس أبدا أنها هى راحة الذهن الكبير وليست براحة الذهن الصغير ، وأن الزرافة لتقف فى مكانها لاتبرحه ثم ترفع رأسها فتنال ذؤابة الشجر التى لاتنالها النملة إلا بعد ساعات تستهدف فيها للاخطار والمشقات ، فاذا بدا للنملة أن تتهم الزرافة بالبطء وقلة الحركة فلتفعل . ولكنها لاتصفها حينئذ أصدق الصفات

تقدير جيتى

قُدر جيتى فى حياته وبعد مماته ، واتفق له التقدير فى منزلته الحكومية وفى مؤلفاته وفى منزلته الأدبية ؛ فارتقى إلى أرفع المناصب فى إمارة « فيمار » وأنعم عليه الامبراطور بلقب النبالة وهو تنويه غير قليل فى بلاد الألمان فى ذلك الزمان ، وبيعت مؤلفاته للناشرين بأثمان لم يعهد لها نظير فى غير كتب فولتير ، وسعت اليه وفود الأدباء من الأقطار الاوربية تكبره وتحييه ، وتسنم ذروة الشهرة العالمية فى عصر ندر فيه الأدباء العالميون

ولما مات دفن الى جانب صديقه شيلر فى مقبرة الأمراء وأقيمت له التماثيل وحفظت آثاره فى داره ، وتنافس جرمان النمسا وجرمان ألمانيا فى تخليد ذكره وشرح مؤلفاته وتدوين الكبير والصغير من اخباره

واليوم يحتفل الجرمان بذكرى وفاته فتشترك الحكومة والشعب فى تقديس هذه الذكرى وتتحد الأحزاب فى هذا الغرض على اختلاف أغراضها ؛ وتشتغل الصحف بحديثه حتى التى لاعلاقة لها بالشعر والادب ، فصحف الاسنان تكتب

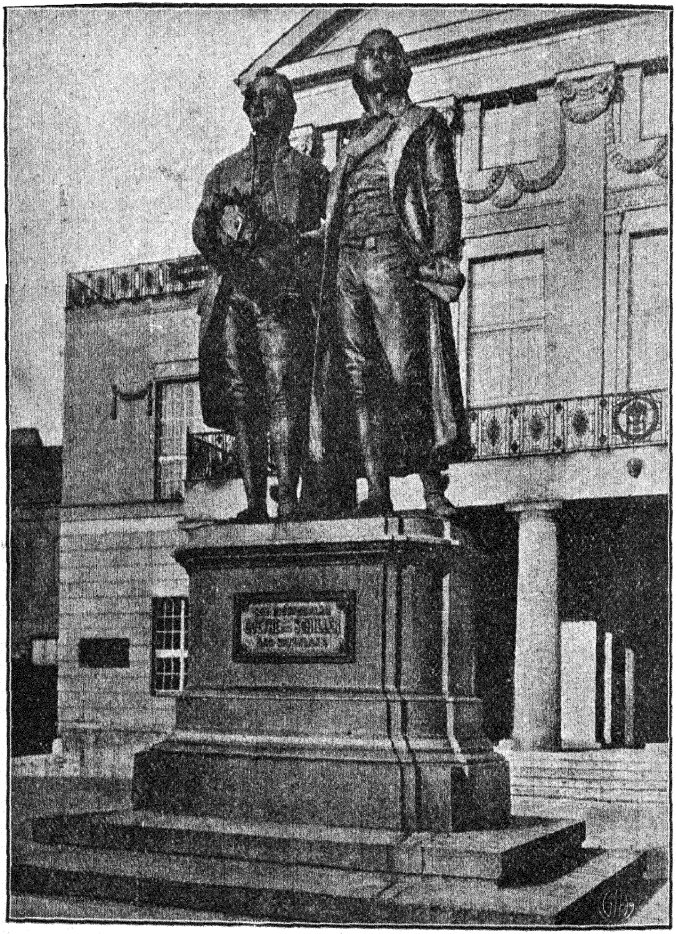

تمثال جيتى وشيلر فى ڤيمار

عن أسنان جيتى ! وصحف السباق تكتب عن جيتى وركوب الخيل ! وصحف الأزياء تكتب عن ملابس جيتى وأزياء عصره

وقبل ثلاث سنوات احتفل الألمان كذلك بذكرى مرور قرن كامل على تمثيل رواية فوست للمرة الاولى ، وقبل ثلاث عشرة سنة احتفلوا الى جانب رفاته بانشاء دستورهم الجديد ، وفى سنة ١٨٤٩ احتفلوا بمرور قرن كامل على ميلاده ، وهذا غير الاحتفالات المتفرقة التى يحييها أنصار أدبه ودارسوه ، وغير الكتب والتراجم والشروح والتعليقات التى تعد بالمئات

وقد اشتركت أمم أوربا فى الاحتفال بالذكرى الأخيرة فتوافد مندوبو الدول الى فيمار وخطب الخطباء فى الجامعات وصدرت مجلات كثيرة فى فرنسا وإيطاليا وممالك الشمال ليس فيها من الغلاف الى الغلاف الا الكلام عنه وعن تراجمه وآرائه وآثاره ، ولاتزال الصحف الأوربية تكتب وتستكتب عنه مايكفى لتأليف مكتبة كبيرة ، بل لقد شوهد بين الأكاليل التى وضعت عند قبره اكليل من الرأس طفرى مكتوب عليه « الى الشاعر العظيم » ويلى ذلك هذا التوقيع البسيط : « الحبشة » ذلك تقدير لم يظفر به من الأدباء الا أفراد معدودون ،

ومع هذا لانريد أن نعلق قيمة جيتى ولا غيره على أمثال هذه الاحتفالات ، فكثيراً مايظفر الادباء الصغار بأمثالها فى الحياة وبعد الممات ، وكثيراماتراد بها نوافل الأديب وحواشيه دون جواهره وحقائقه . واحتفالات جيتى فى الواقع من هذا القبيل لا فرق بين ما جرى منها فى ألمانيا وماجرى فى البلاد الأجنبية ، فكلها قد تعزى إلى أسباب غير أسباب الأدب المحض والثقافة الخالصة ، والالمام بهذه الأسباب مفيد للتمييز بين تقدير الحقيقة وتقدير الظواهر والمناسبات

فاحسب قبل كل شيء حساب المنصب الكبير والعمر الطويل ، فان المنصب الكبير قد سوغ للناس منه مالا يسيغونه من سواه ، والعمر الطويل قد ثبت قدميه فى الميدان وأتاح له الوقت لاستدراك نقصه وتكثير مؤلفاته وابراز مناقبه ، ولو مات فى سن الشباب لذهبت آفة التفكك والاقتضاب بقليل ما كتب ، لأنه اشتات لم يعرف الناس قيمتها الا بالاضافة الى ما بعدها

واحسب حساب المصادفة والاتفاق بين الزمن الذى علا فيه نجمه والزمن الذى علا فيه نجم الأمم الجرمانية وتهيأت

فيه بواعث الوحدة السياسية والاعتزاز بالقومية ، فنظر الألمان فى ذلك الزمن الى علم أدبى يأوون اليه فلم يجدوا أمامهم غير شاعرهم الكبير لرسوخ قدمه واشتهاره فى غير وطنه ، فأصبح التشيع له عصبية وطنية على قلة اعتداد جيتى فى حياته بتلك العصبية

واحسب حساب المآرب السياسية فى «دستور فيمار» وذكرى فوست وهذه الذكرى الأخيرة التى يحتفلون بها اليوم . فكأنما أراد الألمان أن يذكروا العالم بديونهم الأدبية عليه فى الوقت الذى ارهقتهم فيه ديون الحرب وحاولت السياسة أن تقطع ما بينهم وبين الشعوب ، ومتى ذكرت شعوب العالم أن الألمان هم أمة جيتى وشيلر وهينى ولسنغ وبيتهوفن وأقطاب الأدب والفن والثقافة ففى ذلك انصاف لهم يتعذر معه الارهاق والاعنات

أما الامم الاجنبية فما ظنك بها لو كان جيتى قد ناضلها فى سبيل العصبية الالمانية كما ناضلها بعض الالمان الغيورين ؟ . لقد كان تقديرها اياه يختلف لامحالة بعض الاختلاف

فضمور العصبية الالمانية فى كتب جيتى كان احد الاسباب التى قربت بينه وبين الفرنسيين والطليان والانجليز ، كما قربت بينه وبين الاشتراكيين فى الامم الجرمانية والاجنبية على السواء ، ويضاف

الى ذلك اعجابه بثقافة الفرنسيين واعترافه بفضلهم وكثرة مؤلفاتهم في مكتبته المحفوظة الى يومنا هذا وتورعه عن خصومتهم حتى في ابان الحرب بين بلاده وبلادهم ، ثم يضاف اليه التغنى بايطاليا وفتنة آثارها وجمال مناظرها والحنين الى ادب الجنوب وايثاره في بعض نواحيه على ادب الشمال ، ثم يضاف اليه تعظيم جيتى لشكسبير وثنائه على بيرون وستيرن وجولد سمث وجمهرة الادباء الانجليز

ولقد كان رائد جيتى في انجلترا توماس كارليل وهو كاتب مر النفس كان يكره الدعوى الفرنسية ويأبى عليها قيادة الفكر في القارة الأوربية ، فكان ينحى على فلاسفة فرنسا وادبائها وزعمائها ويضرب الأمثال بالألمان ويطنب في المقابلة بين هؤلاء وهؤلاء ليضع فردريك بازاء نابليون ويضع جيتى بازاء فولتير ويضع عبقرية الألمان بازاء عبقرية الفرنسيين

وكانت رائدة جيتى في فرنسا مدام «دى ستايل» وهي كاتبة نفيت من بلدها ونقمت على الأدباء خصومها ، فكانت تضربهم بتفخيم مناقب الأدباء الألمان والاشادة بالأمة الألمانية على الاجمال

فهذه النوافل جميعها قد أحاطت بشهرة جيتى فزادتها ولم تزد فى قيمة عمله ، ولو أنها ذهبت عنه لنقصت شهرته ولم ينقص قدره فى ميزان الأدب الصحيح

* * *

كذلك لا نحب ان نعلق قيمة جيتى على كلمة قالها نابليون وتهافت عليها المعجبون بالشاعر كأنها شهادة الشهادات . ونعنى بها قول نابليون لمن حوله بعد أن رأى الشاعر « هاكم رجلا » فان هذه الكلمة التى القى بها نابليون بعد جلسة واحدة لا تزيد على وسام يمنحه من يرضى عنه ، وكلنا يعلم شأن هذا الوسام فى النقد والتمييز على ان حاضرى الحديث وناقليه قد اختلفوا فى مناسبة هذه الكلمة فجاءت فى مذكراتهم على روايات . ورواية جيتى نفسه لا تدل على شىء كبير . فهو يقول ان نابليون نظر اليه مليا ثم قال : « مسيو جيتى . انك رجل ! » ثم سأله : كم عمرك ؟ فلما علم انه فى الستين قال : « انك مدخر العافية » . فكأن نابليون كان ينظر فى كلمته الى بنية الرجل لا الى عبقريته

وقد كان نابليون مضحكا فى نقده لقصة فرتر التى زعم انه

قرأها سبع مرات . فانه انتقد بعض العبارات التى يظهر منها أن الطبع كان ممزوجا بالحب فى حمل فرتر على الانتحار . وقال « ان هذا لا يوافق الطبيعة البشرية ، وانه يُضعف فى ذهن القارىء عقيدته فى سلطان الحب على نفس فرتر » . ثم سأل جيتى : لماذا كتبتها هكذا؟

وقد قبل جيتى هذا الانتقاد ، ولكن القارىء يرى بغير جهد ان الصواب كان فى جانب الشاعر لا فى جانب نابليون ، فان المرء لا ينتحر لسبب واحد ، وانما تتضافر الأسباب وتتعاقب حتى تتجمع كلها فى السبب الاخير

وما نظن أن نابليون عنى بجيتى كما عنى بنفسه ، فانه كان يحثه على تأليف رواية عن يوليوس قيصر يكون ظاهرها لقيصر وباطنها لنابليون ، وقد علم أن أدباء فرنسا بين صغير لا يرضيه وكبير لا يرضى عنه ، فالتفت الى أديب الألمان المشهور

انما يدل على جيتى فهم أثره لا ترديد ذكره ، ويدل عليه أكثر من ذلك أن الذين يفهمونه يكبرونه ولو خالفوه فى الرأى وباينوه فى المزاج ، ففى طليعة خصومه وناقديه هنريك هينى الشاعر المبدع الذى يضارعه فى البلاغة وعذوبة الأناشيد ويفضله

عليه الكثيرون فى الظرف وطرافة الموضوعات ، فانه بعد أن نقده وألم بمحاسنه ومآخذ الناقدين عليه عاد يقول : « وبعد فان جيتى لهو عاهل آدابنا . فاذا صوبنا مبضع النقد الى انسان كهذا فيحسن بنا أن نتقدم اليه بما ينبغى من التوقير . كذلك فعل الجلاد الذى عهدوا اليه أن يقطع رأس شارل الأول ، فانه قبل أداء عمله ركع أمامه والتمس منه غفرانه »

وان كلمة من هينى فى هذا الصدد لترجح بكل مايقوله نابليون وكل ما تقوله الاحتفالات

بل يدل على جيتى أن تنبث افكاره فى ذهن كل مفكر حتى يكاد لا يكتب الكاتب فى زماننا هذا الا وجيتى ماثل فى خلده ، وقد عمد بول هازار الاستاذ فى كلية فرنسا الى احصاء حسن الدلالة فى هذا الباب ، فانتقى بعض كتب المعاصرين التى لا علاقة لها بجيتى وتواليفه وراجعها فظهر له أن ثمانية — من عشرة كتب — تستحضر أفكار جيتى وتشير اليها . وتلك دولة شاسعة فى عالم الثقافة لا تفتح الا لافذاذ الفاتحين

وانك لتعدبين المعجبين بجيتى عقولا وقرائح يفرق بينهما مايفرق

بين القطبين النقيضين فى التفكير ، فهناك كارليل و بيرون وامرسون وماتيو ارنولد و تنيسون ومرديث ، وهناك سان بيف ورومان رولان واندريه جيد وموروا ، وهناك ماتسينى وجيوفانى جنتيل وبراندومازريك ومرجكفسكى و تاغور ، وهناك ماركس وانجيل ونتشه وهاوبتمان ولدفج و توماس مان ، وبين هؤلاء الانجليزى والامريكى والفرنسى والروسى والهندى وأهل الشمال وأهل الجنوب . وبينهم المتصوف والمتطرف وعاشق المثل الاعلى وطالب الواقع القريب ، وبينهم الشاب والشيخ والقديم والحديث والشاعر والفيلسوف ،وكلهم يجد فى جيتى بغية ويلمس فيه عظمة ويستريح منه الى جانب ويأخذ منه بنصيب . وتلك ايضا دولة فى عالم الثقافة لا تفتح الا لافذاذ الفاتحين

هذا هو التقدير ، وهذه هى العظمة ، وهذا هو الخلود ؟

مختارات متفرقة (١)

﴿ الحكماء والشعب ﴾

في هذه القطعة تمثيل صحيح لطريقة جيتي فى التسليم وتبسيط الحقائق الكبرى بردها الي المحسوسات القريبةواجتناب المعضلات من أهون سبيل مع شيء من السخر والسكينة ، وفى القطعة صدق حكايه لاساليب الحكماء الاقدمين فى ردودهم المبهمة على المسائل العويصة ، ولهذا اخترناهامن بين «لواذعه »

ابيمنيدس

هلم ياإخوان ، نجتمع فى الغاب . فهذا الشعب مقبل ، يتوافد من الشمال والجنوب ومن الشرق والغرب ، يبغى العلم فى غير كلفة فأعدوا له القوارع الشداد !

الشعب

إى هؤلاء الحالمون الذاهبون في الخيال ! حدثونا اليوم حديثا مبينا من غير لبس ولا محال ، قولوا ، أهذا الوجود قديم ؟

اناكساجورس

ذاك أكبر ظني . فانها لتكونن خسارة على الزمان الذى غبر قبل وجوده

---

(١) هذه المختارات من ترجمة صديقنا الاديب الالمعى والمترجم الناقد عبدالرحمن صدقى

الشعب

وهل هو مستهدف للبوار ؟

انا كسيمينس

ربما . ولكن ليس فى ذلك كبير بأس فيما أرى ، فما دام الله فلا بد من عالم

الشعب

وماهو الأبد ؟

بارمينيدس

نيم تكدون القريحة ؟ ثوبوا الى أنفسكم ، فان لم تأنسوا الأبد في ضمائركم وفى جوارحكم ، فما يجدى عليكم قول قائل

الشعب

أين نفكر ، وكيف نفكر ؟

ديوجينيس الكلبي

ياسوء هذا العواء ! ان المفكر ليفكر من فرعه إلى قدمه ، وكما يومض البرق كذلك ينكشف للمفكر كنه الأشياء ماذا هى ، وكيف هى ، وكل مافيها

الشعب

أصحيح أن روحا يسكن فينا ؟

ممنرمس

سل عن ذلك أضيافك . فخليق أن ترى أن هذا الجوهر اللطيف

الصافى الذى يسعد ذاته و يسعد الآخرين ، لهو الذى أدعوه بالروح

الشعب

وفى الليل هل يهبط عليه الكرى ؟

بر ياندرس

هو لا ينفصل عنك ، فكن عند شأنك أيها الجسد ، فاذا عنيت بذاتك استفاد الروح راحة تنعشه وتجدى عليه

الشعب

وما هذا الذى يقال عنه الوجدان ؟

كليو بيليس

الذى يقال عنه الوجدان يجيب ولا يسأل !

الشعب

فسروا لنا سر السعادة ؟

كراتيس

انظر الى الطفل العارى ، انه لا يرتاب فى شيء ! انه ينطلق وفى يده درهم واحد و يعرف أين يقع على مستودع القرص : على حانوت الخباز

الشعب

قولوا ، ما الدليل على خلود النفس ؟

ار يستيبس

نسج الحياة الصحيح . فانه لينسجه الحى المحي ، فاذا اختلف خيطه أو التوى فالله بتخليصه أحرى

الشعب

أيهما خير للمرء العقل أو الجنون ؟

ديموكرتس

حسبما تفهم من العقل والجنون . أما إذا ادعي المجنون العقل فليس مايمنع الحـكيم أن يرده عن ضلاله !

الشعب

هل السلطان للمصادفة والوهم دون سواهما ؟

ابيقور

انا عن فديم شيمتى لاأريم . فاغتصب المصادفة وقر عيناً بالوهم ، فانك واجد فائدة ولذة فى كلا الاثنين

الشعب

أغرور وباطل أن نزعم أننا مخيرون ؟

زينون

دونك التجربة فليس مثلها شيء ، اجمع عزمك فاذا أنت غلبت على أمرك فليس فى ذلك كبير دلالة ! !

الشعب

وهل أنا نزوع الى الشر بالفطرة ؟

بيلاجس

قد نسامحك ونغضى عنك ، بيد أنك قد خرجت من بطن أمك بنصيب مرهق . ألا وهو العى والبلاهة في السؤال !

الشعب

أترونني مطبوعاً على طلب الكمال ؟

أفلاطون

لو لم يكن طلب الكمال أمنية العالم وهجيراه لما بحثت وسألت . فلتعمل قبل كل شيء على أن تحيا مع نفسك ، فانك ان لم تظفر بفهمها فأولي بك الا تعنت الآخرين

الشعب

مهما يكن فالسائد هو الانانية والمال

ابيكتيتس

خل لهما الغنيمة . ولا تنفس على الكون الاعيبه التي يحركها فى دست لعبه !

الشعب

و بعد ، فخبرونا قبل أن نفترق فراق الابد عما ينبغى أن نرضاه

الحكماء

أول نواميس الكون اجتناب ذوى اللجاجة الملحفين

فى حديقة مارتا

الله

مارغريت — : فأنت أذن غير مؤمن بالله

فوست — : لا تخطئى فهم ماأقول أيتها الحبيبة . فمن ذا يجرؤ على تعريفه وحصره ، ثم يزعم أنه به مؤمن ! ؟ ومن ذا يجرؤ على الشعور به ، ثم ينكر الايمان به ؟ . ذلك المحيط بكل شىء ، الحافظ لكل شىء ، أليس هو المستوعب الحافظ لك ، ولى ، ولذاته العلية ؟ أولا ترين الى السماء كيف رفعت ؟ والى الارض كيف بسطت ؟ اليست هذي النيرات الخوالد السوابح فى الفضاء يرمقننا بلحاظ وامقة ؟ أما يرنو طرفى الى طرفك ؟ ألا يهفو كل شيء اليك بهجتي وفكرى ؟ وهذا الجاذب أليس هو لغز الابد ، باديا كان أو خفياً ؟ بهذا على فرط غموضه إملئي فؤادك . فاذا ذقت السعادة فى هذا الشعور ، فادعيه بما شئت من الاسماء ، ادعيه : السعادة ! أو القلب ! أو الحب ! أو الله ! — أما أنا فليس عندي له اسم . فالشعور هو كل شىء ،

وليس الاسم الا لغطا ودخانا يحجب عنا لألاء السموات

(فوست)

مناجاة فوست

أيتها الفلسفة والشريعة والطب جميعا ! وأنت أيها الفقه الاسيف ! . . . واحسرتاه ، لقد تعمقت فى درسك أيتها العلوم دائبا صبورا ، ثم ها أناذا الآن — أنا المفتون المسكين — مابرحت من المعرفة حيث كنت فى البداية

صحيح انى ألقب بالاستاذ والعالم الجهبذ ، وإنني قضيت عشرة أعوام كاملة أدور بتلاميذى أسحبهم من أنوفهم يمنة ويسرة ذاهبا بهم كل مذهب — ولكننا هاهنا بعد كل هذا نرى أننا عاجزون عن إدراك أمر من الامور ! . . انهذا ليلهب دمى ! وان كنت فى الحقيقة أوسع علما من سائر الحمقى والجهابذة والاساتذة والفقهاء والرهبان

لقد أصبحت لاتنازعني وساوس ولاشكوك . ولايروعني ذكر الشيطان ولا الجحيم . ولكننى كذلك حرمت بهجة السرور . ولا أحسبنى تعلمت فى الواقع شيئا نافعا أوأستطيع تعليم الانام شيئا فيه صلاح لهم وهداية

لقد خلا وفاضى ، فلامال عندى ولا نشب ولا جاه ولا سلطان فى العالمين : ان الكلب ليعاف عيشا بهذه التكاليف

ليس لى بعد اليوم ملتجأ الى غير السحر . فآه لوأن لى قوة «الروح» وسر «الكلمة» يكشفان لى ماأجهل من الاسرار ، وآه لوأنى اغدو غير مكره على أن أهرف بمالا أعرف ، ولوأننى أدرك كل مايشتمل عليه الكون ، وأرى — من وراء الالفاظ الجوفاء — مايكمنه من القوة الخفية والبذور الازلية !

أيها البدر المنير الساجي . ألاكانت هذه آخر نظرة ترسلها على لوعتى وبرحائي ! . . . لكم سهدت الليالى على مكتبي هذا وكنت دائما — أيها الصديق الساهم — نطلع على بين ركام الاسفار والطروس

آه من لى فى سناك الحلو — بأن انتسم الى درى الاطواد واجوس الكهوف والغيران مع الارواح ، وأرفص فوق المروج الشاحبة ، واتطهر بفيض ضيائك الرطيب

أواه ! لازلت رهن الضنى فى غيابة هذا المحبس ! وتعسا له من جحر مظلم لايتطرق اليه من نور السماء المحبوب الا لمحة من خلال هذ الزجاج ذي الالوان ، يكتنفه حتى عنان السقف ركام من الاسفار المغبرة المأروضه وأكداس من الاوراق . وتملأ ارجاءه الانابيب

والقنانى والصناديق وشتي الادوات ، وناهيـك بسقط المتاع مما أورثنيـه الاجـداد ! ! . . وهاك دنياك ! ! وعن هذه يقال انها دنيا ! !

و بعد هذا كله تتساءل فيم ينقبض فؤادك بين جنبيك جزعا ، وما بال شواعرك وخوالج حياتك يرين عليها غم دفين ؟ تتساءل عن ذلك ! . . . وتستعيض من الطبيعة الحية التى خلقك الخالق فى احضانها أن تبيت وسط الدخان والوخم وتجاليد الحيوان وعظام الموتى

النجاء النجاء ! وانطلق فى وسيع الفضاء ! وحسبك هاديا كتاب العلامة « بوستراداموس » الحافل بالاسرار ، فانك لتطلع به على دورة الافلاك . فاذا توات الطبيعة حينذاك تلقينك فانها تعاطيك قوة نفسية معاطاة الروح للروح ، وهيهات أن تدرك بالحس الغليظ العقيم هذه الطلاسم القدسية . . .

أيتها الارواح السابحة حولى ، اجيبي ان كنت لى سامعة !

(فوست)

القطعة الاولى

أيتها الحجارة ، حـدثيني ! أيتها الصروح الباذخة أجيبى ، أيتها الطرق ، إنطقى بكلمة واحدة ! ألا تستيقظين أيتها العبقرية ؟ بلى ، كل شيء حى فى أسوارك القدسـية يا روما الخالدة . الا فى

ناظرى وعند خاطرى ، فما برح الصمت على كل شيء مخيما

الامن يوسوس لى فى أية نافذة أناناظر فى يوم من الأيام الى الطلعة الحلوة التى ستحيي لي كل شيء وهى تفنيني ؟ أليس لى أن أهتدي إلى السبيل الذى يدرج فيه وقتي النفيس ذهابا اليها وايابا من عندها ؟

لم أر حتي اليوم الا بيعا وصروحا ، وأطلالا وعمداً ، كالسائح الحازم الحريص على الفائدة من رحلته . ولكن سرعان ما أودع كل هذا ! فلا يبقي غير هيكل واحد ، هيكل الحب ، يقبل عليه العارف بأسراره

أنت يا روما عالم ! ولكن العالم بغير الحب لا يكون عالما ، وروما لاتكون روما . (أشجار رومانية)

المقطوعة الخامسة

(بعد أن استحدث الشاعر علاقة غرامية)

على أرض الآثار تستخفنى حماسة قدسية ، وتحدثنى العصور الخوالى والعصور الحواضر باللحن الجهير فتؤنسنى . هنا أطالع فكر الاقدمين ، وأقلب بيد الخشوع صفحات أعمالهم فتستجد لى متعة فى كل نهار ، أما الليل فيشغلنى فيه الحب بشواغل أخرى . فاذا بات حظى من العلم نصفه فلقد أصبت من السعادة ضعفيها .

و بعد أفليس من التعلم والدرس أن يتأمل البصر تكوير نهد كاعب ، وأن تجرى الكف على استدارة خصر مبتّل (١) ؟ إنى لأفهم حينذاك ولا أفهم قبل ذاك ما الرخام ، وما التماثيل ، وانى لافكر وأقارن ، وأرى بعين تحس . وأحس بكف ترى

ولئن سلبتني الغانية سويعات من النهار فانها تعوضنى عنها ساعات فى الليل . ولمس الليل كله بعناق ! فاننا لنتحدث فيه الحديث الرصين . وتأخذها سنة من النوم فتنازعني ألف فكرة . وأنظم بين ذراعيها . وأقسم بأصبعى الماجنة على ظهرها — تفاعيل بحر من القريض . وهى فى منامها تتنفس فتضرمني أنفاسها حتي سويداء قلبى ، والحب يتعهد أبدا مصباحه الوقاد ، ويحلم بالعهد الذى أدى فيه هذه الالطاف للأسبقين من الولاة الرومانيين (أسحار رومانية)

الهجرة

الشمال والغرب والجنوب أقطارها تتصدع ، وعروشها تنثل ، وممالكها تنهار . فاهجرها ! وامض الى الشرق الطهور تستروح الطيب من الآباء الطيبين ، ويرد عليك صباك بالحب والنشوة والغناء حكيم المشرق القائم على عين الحياة .

(١) المبتل بتشديد التاء الحسن التركيب والتقسيم

هنالك بالطهر والانصاف أنشد الرجعى الى أصول بني آدم ، الى الازمان التى كان فيها الملأ يتلقون من الله كلمة الحق السماوية منزلة فى اللغات الارضية ، لا يقدحون فكرا ، ولا يكدون ذهنا . الى تلك الأزمان التى كان فيها الملأ يبجلون السلف و ينهون عن كل دين غريب

أريد التملى بهذه الطبائع الفطرية فى عصور الفطرة : إيمان واسع وفكر ضيق لهما من الشأن ما للكلمة ، فانها كلمة منزلة

أريد معاشرة الرعاة ، والترويح عن النفس فى ظلال الواحة ، ارتحل مع القوافل واتجر فى « الشمل » والبن والمسك والطيب

أريد أن أطرق كل سبيل من البادية الى الحضر

وسيان أصعدت فى الوعوث أم هبطت فى الوهود ، فان أغانيك يا « حافظ » تؤنسني : أغانيك التى يترنم بها المرشد على ظهر برذونه مأخوذا طربا ، وكأنما يوقظ بها النجوم الوسني ، ويرهب قطاع الطريق

في حمامات الشرق و بين جدران الخان أريد أن أذكرك يا « حافظ » الملهم ، وقد أماطت حبيبتى لثامها وتضوع من غدائر شعرها عبير الند والعنبر . أجل ، وما أحري بث الشاعر أن يبعث العشق حتى فى قلب حورية من حور الجنان

وإذا كنتم تنقمون عليه ذلك أدني نقمة ، فاعلموا أن كلمات الشاعر لانفتأ تحوم حول جنة الخلد طارقة أبوابها تطلب الخلود

« الديوان الشرقى »

الحرية

دعونى أنطلق على صهوة جوادى السابح ، وابقوا أنتم فى عقر مدركم وتحت خيامكم . انى لأركض جذلان فى الفضاء الشاسع ، ليس فوق عمامتي غير الكواكب

وما جعلت الكواكب هدى لكم فى البر والبحر الا لتكون السماء أبد الدهر قبلة أنظاركم أجمعين « الديوان الشرقى » .

عيون الصحراء

لاتبح بقولي الا لعاقل حكيم ، فان سواد الناس على الهزء مطبوعون : أقول نعم الحى من يشتهى المنية في اللهب

فى ليالى الحب الندية التى أنت فيها تتلقى الحياة وتبذل الحياة ، تستحوذ عليك عاطفة غريبة إذا ماأنارالقبس فى سكون ، يستدرجك شوق جديد الى قران أسنى وأعلى . فلا يقعدك بعد المدي ، وتخف مبادراً مفتونا . فاذا أنت ، ياصنو الفراشة من ولعك بالنور ذائب

محترق !

مت والبس لبوسا جديداً ! فانك ـ ماجهلت هذا ـ لعلي ظهر الارض المظلمة ضيف حزين . « الديوان الشرقي »

اللقاء

أصحيح هذا ! أأضمك ياعروس الكواكب ثانية الي صدري ؟ أواه من ليل البعاد ، ياله من درك سحيق ، و ياله من عذاب وجيع ! بلى ! انك لأنت هنا يامبعث أفراحي ومعدنها و ياأحلى تتمة لوجودي وأغلاها . انى لذكرى آلام الماضى أرتجف بين يدى الحاضر

فديما كان الكون جنينا فى الهاوية السحيقة فأوحي الله بارادة الخلق الاولى ، ونادى « ليكن العالم ! » ، فماهو إلا أن دوت آهة أليمة و إذا العالم ينتثر فى تعدد الكائنات بجهد مفتدر شديد

افتر النور ، وانشقت عنه الظلمات فرقا . و إذا بالعناصر تتشعب أشتاتا وتتدابر . و ينطلق كل عنصر على عجل ـ كما تنطلق الاحلام الشعواء ، فينتحي بعيداً جاسيا فى أرجاء الفضاء السحيق ، لا بغية له ولا انسجام فيه

وكان كل شيء أخرس جديبا ، وكان الله في خليقته فريداً وحيداً ! فخلق الفجر ، فاذا هو يرق من الوحشة ، و يبعث فى هذه الغواشي

أفانين الالوان المترقرقة ، فتسنّى إذ ذاك للحب أن يؤلف ماتفرق شمله فاذا الذين خلقوا بعضهم لبعض يتقاربون متلهفين . وأقبل على الحياة الخالدة النظر والشعور . وسيان الغصب والاختيار إذا صح التماسك والالتئام !

كذلك على أجنحة الفجر الارجوانية درجتُ الى شفتيك ، وكذلك أرى الليل يطبع ألفتنا بآلاف الاختام الذهبية من منتثر نجومه . فكلانا على وجه البسيطة مثال الفرح والألم . ولو تكررت كلمة الآمر : « ليكن العالم ! » لما فرقت بيننا بعد اليوم .

« الديوان الشرقي »

نشيد محمد أو فيض الاسلام (١)

انظر إلى ينبوع الجبل جائشاً صافياً ، كأنما هو فوق السحب شعاع دري ، وقد أرضعت ملائكة الخير طفولته في مهده بين أفلاق الصخور المعشوشبة

انه ينحدر من السحابة فتياً نميراً على صلد الجلاميد ، و يتنزى منها جذلان فرحاً الي العلا .

---

(١) هذا النشيد طبع لاول مرة على صورة مقطعات يساوب انشادها على وروحه فاطمة بنت الرسول . ثم عاد الشاعر فنشره في ديوانه غير مقطع الى حوار. وجعل عنوانه نشيد محمد وهو وصف لسرعة ذيوع دينه في العالمين

انه يسيل فى وعر الأخاديد ، يجرف أمامه مجزعة الحصباء التى لاتحصى و يسحب فى إثر اقدامه العجلى أخوة من العيون الثرارة ، كأنه المرشد الأمين

وثمة فى الوادي تنجم الرياحين عند قدميه ، وتحيا المروج من أنفاسه . فلا يثنيه الوادى الظليل ولا الرياحين التى تطوق ساقيه وتحاول أن تسبيه بلحاظها الفواتن . بل هو يصمد فى تدفعه متسلسلا متعرجا الى فضاء السهوب

وتبادر اليه الجداول ترفده ، فيدخل السهل لا معا كاللجين ، فيتلألأ السهل بلألائه ، وتطهر طرباً أنهار الوهاد وجداول النجاد ، وتهيب به « ياأخى ، خذ معك اخوتك ، وامض بها الي أبيك الشيخ ، إلى البحر المحيط الأزلى ، الذى يترقبنا باسطاً ذراعيه . وأسفا ! لطالما بسط ذراعيه بلا جدوى ليضم اليه بنيه الانضاء . ونحن فى البيداء الجدباء تبتلعنا الرمال المحرقة ، والشمس فى كبد السماء تشفى الغليل من دمائنا . ولا يستوقفنا غير كثيب نستحيل عنده إلى غدير ! يا أخي ، خذ معك أخوتك بالوهاد وأخوتك بالنجاد ، وامض بهم الى أبيك ! — تعالوا جميعاً ! »

وها هو العباب طاماً زاخراً ترفده الروافد ويخلع في مجراه على الامصار أسماءها ، وتنشأ عند أقدامه المدائن . بيد أنه لايني

هادراً يتدفع ، لا يثنيه أبدا ثان ، مخلفا وراءه المنائر والصروح : بدائع خصبه وإنتاجه

وانه ليقل فوق منا كبه الجبارة منشئات السفن ، تخفق الالوف من قلوعها فوق رأسه وتهفو مشرعةً نحو السماء ، شاهدة على قدرته وجلاله

وهكذا يمضى بأخوته وكنوزه و بنيه نحو أبيه الذي ينتظره و يتلقاهم إلى صدره وهو يعج من الفرح « مقطوعة »

الجزء الأول

رسالة فى ١٠ مايو

نفسى يغمرها صفاء بديع يوائم ما لاسحار الربيع الحلوة من صفاء تلتذه كل جوارحى . وأنا هنا وحيد ، مستسلم لبهجة الحياة فى هذا البلد الذي يوافق هوي كل نفس كنفسى . وانى — ياصاح! هانىء جد الهناءة ، مستغرق فى دعة الاحساس بوجودى ، حتى جار ذلك على فنى . فهيهات لي الآن أن أرسم خطا واحداً وان كنت لاأحسبني فى يوم من الايام كنت رساماً أعظم منى اليوم . فكلما تصاعدت حولى هبوات البخار من ذلك الوادي الحبيب ، وكلما طرحت شمس الضحى على حلك غابتى الطخياء أشعتها فلم يسنح لغير النزر القليل منها التسرب الى قرار هذا المحراب ، وكلما افترشت العشب النامى عند منحدر امواه الجدول فانكشف لى لصق أديم التربة العدد العديد

من شتى ضروب النبات الصغيرة ، وكلما احسست بجوار قلبي ذلك العالم الصغير يتحرك و يموج فى حشده و ينطوي تحت وريقة من اوراق الكلأ على تلك الحشرات والهوام الجمة الاشكال التي تحير الناظر بتنوع أفانينها ، أحسست شهود « العزيز المقتدر » الذى برأنا على صورته ، وشعرت بذلك الذى وسعت محبته كل شيء يمدنا بروحه و يسبح بنا فى نعيم مقيم . . . اذ ذاك — ياصاح — يغشى ناظرى و يستقر العالم المحيط بى والسماء جميعاً في قرارة نفسى كما تنطبع فى النفس صورة المحبوبة ، و رب شوق لاعج ينازعنى فأقول فى سريرتى: « آه ، ليتك تستطيع الترجمة عن كل ذلك ! ليتك تستطيع ان تنفث فى الطرس وتثبت عليه ما هو حى ماثل فى وجدانك بهذه الحرارة كلها وهذا الامتلاء كله ، اذاً لاصبحت تلك الصورة مرآة نفسك كما أن نفسك مرآة الله ! » . ولكن هذا الهيام — ياصاح — يضعضع حواسى ، فأنوء به طليحا عاجزاً من سطوة هذه المشاهد الرائعة (فرتر)

رسالة فى ١٣ يولية

كلا ، لست واهما ! انى أطالع فى عينيها الدعجاوين حسن التفات نحوى واهتماما حفياً بي و بمصيرى . أجل ، بل أحس ، ويحق لى أن أصدق مايهجس به قلبى ، أنها . . وهل أجرؤ ، هل أستطيع أن أفوه بهذه الكلمة التى تحمل فى ثناياها جنة الخلد ؟.. أحس أنها تحبني ! أنها تحبني ! ولكم أصبحت من ذلك الحين عند نفسي حبيباً

أثيرا ، أوتدري مقدار ذلك ؟ . . . يجدر بى أن أخبرك أنت فانك خليق بفهمى ... شد ماأنا كلف بنفسى منذ أن أحببتني !

أترى هذا وهما يخيل الى ؟ أم هو الاحساس بحقيقة حالى ؟... أنى لاأعرف رجلا أخشى منه على المنزلة التى لى فى قلب شرلوت . ومع هذا فحينما تتكلم عن خطيبها وتتكلم عنه بكل تلك الحرارة والعاطفة ... يقوم في نفسى أنى امرؤ خلعوه عن رفيع مقامه وسلبوه كل رتبة سنية ، وجردوه من حسامه !

(ورتر)

ملك الغفاريت

من الراكب المدلج فى غبش المساء تحت وابل المطر وعصف الريح؟ ذاك والد ووليده، وهو يضمه ويدفئه ويحتضنه بين ذراعيه

— بنى ، مابالك تحجب وجهك ؟

— أبتاه ألا ترى ملك الغفاريت ، ملك الغفاريت بأكليله وطيلسانه ؟

— بنى ! تلك سدفة من غسق المساء

« أيها الطفل العزيز ، هلم الى ، سنلهو معاً بأجمل الألاعيب ! هنالك حيث تزدان ضفاف بالرياحين ، وحيث أمى عندها كثير من الحلل

الذهبية والشفوف ! »

— أبتاه ! أبتاه ! عجباً ! ألا تسمع مايوسوس به ملك العفاريت ؟

— هدىء روعك ! هدىء روعك يابني . انها الريح تهمس فى ذابل الاوراق

« ألا تريد أيها الطفل اللطيف ، ألا تريد الذهاب معى ؟ بناتى سوف يدللنك وأى تدليل . بناتى يرقصن في جنح الظلام ، بناتى سوف يغنين لك ويجلبن الى جفنيك طيب النعاس »

— أبتاه ، ابتاه ! عجبا ! ألا ترى هنا لك بنات ملك العفاريت ؟

— بني ، بني ، أري جيداً، أرى أنها أشجار الصفصاف العتيقة تتخايل من بعيد

« أنا أحبك، وطلعتك الحلوة تروقنى، فاذا أبيت أخذتك غصبا »

— أبتاه ، أبتاه! هاهو ذا يمسكنى ، لشدما آذانى ملك العفاريت ! ارتعد الوالد ، ودفع جواده ، وضم في ذراعيه ولده المختنق بالنشيج و بلغ داره بعد جهد جهيد ، واذا الطفل فى ذراعيه ميت « أساطير »

يغلب ألا نتعلم فن التعبئه فى الحياة الا بعد انتهاء المعركة « من كتاب الشعر والحقيقة »

* غاية الحياة هى الحياة نفسها « من حديث مع ماير »

اتريد تعرف كلمة الحياة الأخيرة ؟ كن فرحا ، فان لم تستطع فكن

قانعا « اكزينى »

لاتبلغ القمة الا بدوران « ولهلم ميستر »

نحن نحسب الناس اخطر مما هم في الحقيقة . ان الابله والكيس كلاهما لاخطر منه ، وانما اشد الناس خطرا نصف العاقل ونصف المجنون « كلمات »

يقال ان الرجل لا يكون بطلا فى عين خادمه . وانما سبب ذلك أن البطل لا يعرفه الا بطل : أما الخادم فلا يعرف الا من هم على مثاله « كلمات »

كان كل شى قبل الثورة « الفرنسية » جهدا فاصبح بعدها مأربا « كلمات »

من اصدق الاشياء وأعجبها أن ينجم الخطأ والصواب — من ينبوع واحد . ولهذا كان من سوء الرأى فى بعض الاحيان ان يقسى على الخطأ ، لان القسوة عليه تصيب الصواب « حكم وأمثال »

يندران نرضى انفسنا ، فليكن أكبر عزائنا أن نرضى الآخرين « كلمات »

المدرسة الفكرية أشبه شيء برجل يكلم نفسه مائة سنة ويفرط فى الفرح بنفسه كائنا ما كان حظها من السخف والحماقة « كلمات »

لا أضر على الحقيقة الجديدة من الخطأ القديم « كلمات »

اذا جاز أن يزدرى الفن لانه محاكاة للطبيعة ففى الوسع أن يقال كذلك ان الطبيعة لا تخلو من المحاكاة ، وان الفن لا يحكي مايري بالعين

تمام الحكاية وانما يرجع الي عنصر البصيرة الذي يقوم به تركيب الطبيعة وتعمل هى على أساسه « كلمات »

أظهر مايبدو جلال الفن فى الموسيقى . إذ ليس فى الموسيقي مادة تصاغ وليس فيها الا شكل ومعنى . وهى تعلو بكل ماتعبر عنه « كلمات »

ميول الحس الخاطئة هى ضرب من النزعة « الواقعية » وهى أبداً خير من تلك الميول الخاطئة التى تسمى نفسها بالاشواق « المثالية » ـ « كلمات »

الجمال مظهر لقوانين خفية فى الطبيعة لولاه لماظهرت ـ « كلمات »

لو ضاع كل شيء من قبيل رواية هنرى الرابع التي كتبها شكسبير لامكن ان تستعاد فنون الشعر والبيان جميعا من هذه الرواية الفريدة ـ « كلمات »

لفكتور هيجو ملكات فائقة بغير جدال ، وهو يجدد الشعر الفرنسي وينضره ، ولكننا نخشى أن يحيد أشياعه ومريدوه ـ إن لم يحد هو ـ عن الجادة التى أقدم عليها . إذ الامة الفرنسية أمة النقائض فهي لا تقف عند حد أو قياس ، وهى بما منحت من قوى فى النفوس ونشاط فى الاجسام خليقة أن تزحزح الارض لو وجدت مكان الارتكاز ، ولكنها على مايظهر لا تبالي أن تعلم أن المرء اذا تصدى للاحمال الثقيلة فعليه أن يلتمس البيئة والوسيلة . ان هذا

الشعب لهو الوحيد بين شعوب العالم الذى يجمع فى تاريخه نقائض كمذبحة سان برتلمى ومذهب الحرية الفكرية ، أو كاستبداد لويس الرابع عشر وعربدة جماعة « العراة » Sans Culottes ، أو كفتح موسكو وتسليم باريس في نحو سنة واحدة ، ومن ثم يحق لنا أن نخشى فى عالم الادب أيضا أن يتلو استبداد « بوالو » خروج على جميع الاصول وفوضى بغير عنان ـ « حديث مع كزميان »

الفرح والحب جناحان يرتفعان بنا إلي جلائل الاعمال » اميجبى

فى صفحة ١٥٤ السطر ١٤ اسم اكرمان وصوابه سوسيه

فهرست

صفحة

٤ بداءة

٧ النفس الألمانية

١٥ نبذة عن الحرية الفنية فى الامة الألمانية

٢٧ حياة جيتى

٤٦ المرأة فى حياة جيتى

٧٥ مؤلفات جيتى :

٨٦ . . . آلام فرتر

٩٣ . . . فوست

١٠٧ . . . ولهلم ميستر

١١٥ . . . الديوان الشرقى

١٢١ . . . مؤلفات أخرى

١٢٦ عبقرية جيتي

١٥٠ شخصية جيتي

١٦٧ عقيدة جيتى وآراؤه

١٨٦ تقدير جيتى

١٩٦ مختارات متفرقة

ثناء واجب

تم طبع هـذا الكتاب فى ايام قليلة ، وقد بُذلت هـذه العناية التى يراها القارىء فى صـفه وطبع صوره على الرغم من السرعة الزائدة والحرص على اظهار الكتاب فى أوان مناسب، فمن واجبنا أن نشير الى ذلك وان نثنى على همة صاحب المطبعة المجتهد النشيط محمد أفنـــدى عبـد اللطيف حجازى ، وعلى مهارة مساعـده المدرب محمـد أفندى حسنين رئيس الصفافين ، وهذا فضلا عما لقيناه فى هذه المطبعة من حسن المعاملة ووداعة الخلق وانتظام المواعيد ؟

كتب المؤلف

الثمن	اسم الكتاب
مـ	
٢٠	ابن الرومى حياته من شعره
١٥	ديوان العقاد ٤ أجزاء فى مجلد واحد
١٢	ساعات بين الكتب
٤	الحكم المطلق فى القرن العشرين
٢	رواية قميز فى الميزان
١٢	مراجعات فى الأداب والفنون
٣	مجمع الاحياء
١٥	مطالعات فى الكتب والحياة
..	الفصول (نفد)
..	خلاصة اليومية (نفد)
..	الديوان فى النقد (نفد)

وتباع هذه الكتب جميعها فى المكتبة التجارية الكبرى والكتب الخمسة الأولى تطلب من المؤلف (مصر الجديدة) القاهرة

رواية قنبيز

في الميزان

بقلم

عباس محمود العقاد

ثمن النسخة قرشان

طبعت بمطبعة المجلة الجديدة
شارع الملكة نازلى ١٤٩

رواية قنبيز

في الميزان

بقلم

عباس محمود العقاد

ثمن النسخة قرشان

طبعت بمطبعة المجلة الجديدة
شارع الملكة نازلى ١٤٩

تمهيد

فى سنة ٥٦٩ قبل الميلاد ثار « أحمس » القائد المصرى على « وهاب ر ع » فرعون مصر فى ذلك الحين . فاستعان الأول بالجند الوطنيين واستعان الثانى بمرتزقة الاغريق ، فانهزم فرعون وشاركه أحمس فى الملك ثلاث سنوات ، ثم خرج فرعون لقتال شريكه فانهزم ثانية وثالثة . ومات قتيلا بأيدى جنوده الاغريق فى أحدوثة أناس ، وبأيدى الجند الوطنيين فى أحدوثة أناس آخرين

ورواية « قمبيز » التى نظمها الشاعر أحمد شوقى تدور على قصة قديمة خلاصتها أن « قمبيز » خطب ابنة أحمس فدس هذا اليه ابنة « وهاب ر ع » القتيل . فغضب « قمبيز » حين علم بالسر ووثب لغزو مصر واستطلع أسرارها من ضابط يونانى يدعى « فانيس » خان مصر وهرب الى بلاط فارس ، وخيانة فانيس قصة متواترة ، أما سبب الغزو الصحيح فحب

الفتح والغيظ من أحمس لأنه مالأ أعداء الفرس قبل ذلك بسنوات

هذا محور الرواية بالاجمال

ونحن نكتب هذه العجالة لغرضين :

أحدهما تصحيح الشبهات التاريخية التى تمس سمعة مصر القديمة ، وقد تمس كرامة المصريين فى العصر الحديث

وثانيهما إقامة معيار « للشاعرية المبتكرة » يثوب اليه بعض القراء الذين يستخفون بالشعر ويجعلونه من الخسة والهوان بحيث تغنى فيه صناعة اللفظ والطلاء

ولهذا قصرنا الكلام على قيمة الرواية الأدبية والتاريخية ولم نتعرض لقيمتها التمثيلية ، فحسبنا أن نوفق الى اداء ذينك الغرضين

النظم

قمبيز أو « كمبوجة » كما يدعوه الفرس هو فاتح مصر فى القرن السادس قبل الميلاد ، ونظن ان كارثة الفرس هى آخر مايحق للشاعر المصرى أن يبدأ باختياره اذا أراد الكتابة فى تاريخ وطنه ، فاذا كتب فيها بعد ان يكون قد استنفد صفحات المجد فى ذلك التاريخ فانما عذره الذى يسوغ له طرق هذا الباب أنه استخرج منه عبرة وفخراً وأحال مافيه من هزيمة الى معنى أشبه بالنصر وأستر للعار ، وذاك مالم يصنعه شوقى مؤلف رواية « قمبيز » التمثيلية كما سيرى القراء

فضل الشاعر الذى ينظم الروايات التمثيلية يبدو فى ثلاثة أشياء : هى (١) حسن النظم والصياغة و (٢) تمحيص حوادث التاريخ و (٣) ابتكار الخيال فيما قصر فيه المؤرخون

وسنبدأ بالكلام عن النظم فى رواية قمبيز لأنه أحرى الاشياء ان يجيده شوقى وأولاه ان يكون معجزته فى الصناعة

الشعرية بعد مراسها نيفاً وأربعين سنة ، فلو بلغ شوقى فى صوغ روايته مبلغ الانقان المعجز لما كان ذلك كثيراً منه بعد طول المراس ودثرة المنظوم ، ولما جاز له ان يُزهى بهذا لأنه قسط ضئيل من النبوغ أو لأنه نبوغ ميسر لكل من يعالجه فى سعة وقت ورفه عيش وفروغ له من كل شاغل سواه ، فهو كمال أدنى الى النقص واحسان أقرب الى الاساءة

هذا اذا بلغ شوقى فى النظم غاية الانقان ، فكيف ترى يكون لومه وخذلانه اذا هبط عن غاية الانقان ؟ ثم هبط عن الانقان المقبول ؟ ثم هبط الى السخف والغثاثة ... فاذا هو يقنع من الاعجاز بالعجز ويرضى من السبق بالتخلف ؟

ان لومه على هذا لعظيم ، وانه لأشد من لوم الفتاة الدميمة تهمل ثيابها طوعا ، ولا زينة لها غير جمال الثياب

ولسنا نحب هنا ان نقيس الشاعر بالمقاييس التى يطول فيها اللجاج ويكثر الخلاف ، كلا ! بل نحن نقيسه بما يتفق عليه النظر ولا يسعه هو أو يسع أحداً من بطانته أن يمارى فيه فأُولى هذه الملاحظات قصر النفس واضطراب القوافى

والاوزان . فان جمال النظم فى الرواية التمثيلية التى تتلى على الاسماع أن تنسجم القافية وألا تفاجىء الآذان بالنقلة البعيدة فى الموقف الواحد دع عنك كلام الممثل الواحد ، ولهذا فضل النظم على النثر ووجب التلحين والغناء فى هذه المنظومات

وأيا كان اعتذار الشاعر فى تغيير الاوزان موقفا بعد موقف فما نخال أحداً يعذره حين يغير الوزن فى البيتين الاثنين يلقى بهما الممثل والممثلان فى الحوار الواحد أو فى النفس الواحد ... فاذا أحد البيتين من بحر وقافيه واذا البيت الثانى من بحر آخر وقافيه أخرى

نعم الى هذا الدرك من الخلل والاسفاف هبط شوقى فى نظم الرواية

هبط اليه لغير ضرورة ولغير حكمة ، اذ ان جميع مواقف الرواية التى على هذا النمط مما يسهل نظمه فى بحر وقافية ، ولاسيما تلك البحور السهلة الذلول التى اختارها شوقى وخفيت فيها نغمة الوزن حتى لاتحس الابتلمس وطول اصغاء

ولانقول ذلك دون ان نشفعه بدليل محسوس لامراء فيه ،

فهذه أبيات شوقى كما نظمها فى الرواية وهذه هى الابيات بعينها منظومة على نسق واحد ، فأن لم يكن هذا النسق أجمل واسلس وأوفى بالمعنى من شعر شوقى فما هو بدونه فى احدى هذه الصفات

بدأت الرواية بالموقف الآتى بين تاسو ونفريت

تاسو — أحوم حوم صنمى
وحول هـــذى القـــدم

نفريت — حول رجلى أنا

تاسو — اجل حول هذا الـ

شهد والزبد والنمير الصافى
مابك يانفريت ماهذا الاسى

مابال عينيك تريدان البكا

فها هنا بيتان اثنان يقولهما تاسو وحده كل منهما على بحر وقافية غير بحر الثانى وقافيته . ! وهاهما البيتان كما كان ينبغى أن ينظما بغير اخلال أو اختلاف فى اللفظ والمعنى

نفريت . أحول رجلىّ أنا ؟

تاسو . أجل ! أعز من مشى
حول النمير العذب والشـ ـــاد والسنـــا

مابك يانفريت ماهذا الاسى مابال عينيك تريدان البكا ؟

وهكذا يستوى النسق بغير قصور فى اللفظ ولا فى المعنى ومثل آخر حين يتحادث تاسو ونتيتاس فيقول تاسو :

وما ذنبى ؟

فتجيبه نتيتاس .

لقـــد أحســـنتَ لكن لى أنا الذنب
أنا أحببت عابثـــاً سادر القلب جافيـــاً
يعشق الجـــاه والغنى لايحب الغوانيـــا

فقد أجابت نتيتاس فى نفس واحد وجواب واحـــد بوزنين وقافيتين ، وكان فى وسعها أن تجيب بما يأتى فلا تعدو ماأراده شوقى :

. . . لقد أحسنتَ لى وحدى أنا الذنب
وفيت لعابث يلهو ولنت ، وقلبه صلب
وما يصبو لغانية ولـــكن بالغنى صب

ومثل ثالث حين تدعو القهرمانة الجوارى الى الرقص والتغنى بنشيد فرعون :

قمن الى اللهو ياعذارى وخذن صنجا وخذن دفا
واهتفن بالشعر والأغانى واقطعن ليل الشباب قصفا
وأنشدن مع القوم نشيد الملك العالى

بحران وقافيتان فى كلام ممثلة . . . وكان من أيسر الأمور أن تلقيه كله من بحر وقافية فتقول :

قمن الى اللهو ياعذارى وخذن صنجا وخذن دفا
واهتفن بالشعر والاغانى واقطعن ليل الشباب قصفا
وطفن فى الجمع منشدات نشيد فرعون . عاش ألفا

فان لم يكن فى هذا زيادة سائغة بل واجبة فما فيه اخلال

ومثل آخر حين يخاطب قمبيز فرعون فيقول له .

رويدك أنت يافرعون انى اذا حطمت مصر فمن يقيها ؟
أليست فارس والارض تحتى وأمرى فى الجنوب وفى الشمال
وقد غطت فضاء الارض خيلى وهبت فى السهول وفى الجبال

فلو قال قمبيز فى البيت الاول .

رويدك أنت يافرعون انى اذا حطمت مصر ، فمن أبالى ؟

لانتظمت القافية ولم يتغير المعنى

ومثل آخر حين يأتمر قمبيز ورجاله بقتل العجل فيقول أحدهم « احرقه » . . . . فيغضب قمبيز لان العجل يدنس النار وهى معبودة عند الفرس ، ويكون حوار على هذا المنوال :

قمبيز: ماذا يقول الناس عنا غداً القوا الى النيران بالفار

قد دنسوها وهى معبودهم من جثة العجل باقذار

قائد : مولاى ماذاك فأر بل ألف فار وفار

آخر : ياسيد الارض أبشر رأى الوزير أصابا

غداً يقولون بمنفيس تغدت النار بآبيس

وندع هنا الخطأ التاريخى فى هذا الحوار الى مكانه ونكتفى بأن نجعل المتكلم الاخير يقول كلامه من بحر واحد وقافية واحدة ، فانه كان يستطيع أن يقول ،

ياسيد الارض أبشر رأى الوزير مصيب

غداً يقال تغدى بعجل مصر اللهيب

تطهر العجل فيه والنار طهر عجيب

فيزيد المعنى ويكمل . . .

فأما إن كان شوقى حريصاً على سجعة منفيس وآبيس فدونه اربع سجعات بدلا من سجعتين :

مولاى أبشر ! ، لك تقديسى عبدك لم ينطق بتدليس
غداً يقولون بمنفيس تغدت النـــار بآبيس

ومثل آخر حين يحن قمبيز ويتخيل الاشباح والرؤى فيقول

ماذا بيـــا ماذا بيا هـــذا شقبق برديا
هـــذا شقيق برديا وخنجرى فى صدره
جئت أخى تجز ى أخاك عن قبيح غدره

فماذا يجرى لو قال قمبيز بدلا من هذا

ماذا بيـــا ماذا بيا هذا شبـــقبق برديا
وما أرى فى صدره أخنجرى ؟ ياويحيا ؟
جئت اخى تجز ى على الغدر أخاك الجانيا

ألا يكون كلامه خيراً وأوفق لتردد المخبولين ، وأسلس من ذلك التخليط ؟

* * *

وحسبنا هذا فانما نريد التمثيل ولا نريد الاستقصاء ولا

أن ننوب عن شوقى فى ترقيع نظمه الذى لاينفعه الترقيع !

* * *

تلك ملاحظة أولى

والملاحظة الثانية على اضطراب النظم حيرته فى تقليب الاسماء كلما أعياه الوزن واستعصى عليه سبك الاسم الاصيل فيه ، ففانيس تارة فانيس وتارة أخرى فنيس ومرة ثالثة فانس وهكذا كيفما اجتمعت الفاء والنون والسين ، وبسامتيك تارة « ابسما » وتارة أخرى بساما ومرة ثالثة ابساماتيك . . الى أشباه ذلك من التلفيقات والتوفيقات ، وقل مثل هذا فى آبيس وأبيس وأمازس وآمزس و أمازيس ، وقل مثله فى صاوسايس وسايبس ، وتتاوتى ، ونفرت ونفريت ، ونيتتاس ونتيت ونتاتس . . . وقل مثله فى سائر مافى الرواية من أسماء

وعلى ذكر الاسماء نلاحظ هنا — وان كان هذا أدخل فى باب التاريخ — ان الناظم اختار الاسماء اليونانية وترك المصرية مع أنه قد زعم أو زعم له انصاره انه ما ألف الرواية الا لانصاف الوطنية المصرية من الجالية اليونانية التى

تغلغلت يومئذ فى كل شىء وجارت على مناصب الدولة ومرافق الأمة ، فشوقى يترك اسم هابى المصرى ويسميه «ابيس» كما سماه اليونان ، ويترك اسم حفرع التوراتى واسم « وهاب رع » المصرى ليسمى ذلك الفرعون باسم « ابرياس » اليونانى ! ثم هو يترك اسم احمس المصرى الذى يعنى الهلال فى لغتهم ليأخذ باسم أمازيس وتشكيلاته الاخرى . . ! ويسمى قمبيز كما سماه الاغريق وكان فى وسعه أن يسميه كما سماه الفرس « كمبوجة » أو المصريون « كمباثت » ... وليس فعله هذا من انصاف الوطنية المصرية فى شىء ! بل هو تغليب حديث لليونانية فوق ذلك التغليب القديم

* * *

أما الملاحظة الثالثة على النظم فهى كثرة التجوز القبيح فى الفصل والوصل والهمز والتخفيف والمقصور والممدود ، فيجرو ويهزا ويقرا ويطا وشىء وتلجئى ويختبا — تجىء عنده فى مواضع يجرؤ ويهزأ ويطأ وشىء وتلجئى ويختبأ ، والسما والفضا والبها والما فى مواضع السماء والفضاء والبهاء والماء ، وافاعى

والشق فى موضع افاعىّ والشقىّ ، وأمثال ذلك كثير جداً على لسان جميع أبطال الرواية

* * *

والملاحظة الرابعة أن الرواية لم تخل من مخالفة للنحو والصرف فى القواعد المنصوص عليها ، ففيها يقول الناظم :

ويرجع الناس لها إلا امرؤ لا يشعر

والصواب « الا امرأ » لأن المستثنى منه مذكور والفعل غير منفى

ويقول فى الحوار بين فرعون ونتيتاس :

فرعون : بخ بخ بنت أخى

نتيتاس : انت يا قاتلَ ـ عمى .

توهم صاحبنا أن كل منادى ينصب ، فنصب « قاتل » ولا وجه لنصبه . انما يبنى على ما يرفع به لأنه نكرة مقصودة

ويقول « قزح » ولا تذكر قزح الا مع قوس

ويقول :

وترى النيل دما والا رض جرداء محولة

والموصوف هنا معروف فلا وجه لدخول التاء ، وفى

الاساس « أصابهم محل ومحول بضم الميم . وقد امحلت الارض وأمحل أهلها ، وبلد وزمان ماحل وممحل ، وعن أبى دريد : أمحل الله الارض ، وأرض محل وأرضون محل ومحول بضم الميم « للجمع » وأمحال » . . . وفى المحيط : « مكان محل وأرض محل ومحلة ومحول وممحلة وممحل وممحال » وليس بين هـذه الصيغ كلها صيغة فعولة

وقال بلسان نتيتاس وهى تخاطب فمبيز ليمنع فانيس الكلام علمت حقده على قومى فلا تدعه ينفث فىّ سم حقده

وجزم « ينفث » خطأ متفق عليه ، لأننا لانستطيع ان نقول « ان لاتدعه ينفثْ » اذ المعنى نقيض ذلك وهو « إن تدعه ينفث » وانما يستقيم المعنى اذ نقول « لاتدعه فهو ينفث سم حقده » أو « لاتدعه والا فهو ينفث سم حقده » فيتعين رفع ينفث على هذا التقدير الذى لاتقدير سواه

ولم تخل الرواية كذلك من السرقة الظاهرة فى النظم كقول المؤلف

كذبت على يابنة ابرياس حذار حذار من بطشى وفتكى

وهو مأخوذ بحرفه من قول الشاعر يعنى الدنيا

تقول لكل مستمع اليها حذار حذار من بطشى وفتكى

أو كقوله . « تعيش مصر وتبقى » وهى كلمات البهاء زهير مأخوذة من بيته :

تعيش أنت وتبقى أنا الذى مت عشقاً

* * *

أضف الى هذا تبذل اللفظ فى قوله بلسان قمبز

لست بالعجل أبالى وعلى النار أبول

وقوله بلسان أحد المصريين :

ليته بال على نيرانكم بولة تطفى لظاها واللهب

فهذا تبذل مرذول كان لشوقى الف مندوحة عنه ، ولم يكن له موجب من حكاية التاريخ ولا من الذوق ولا من وقع التمثيل !!

وتلك ملاحظات سريعة على النظم ، وأما الملاحظات على التاريخ والخيال فهى أكثر وأعجب

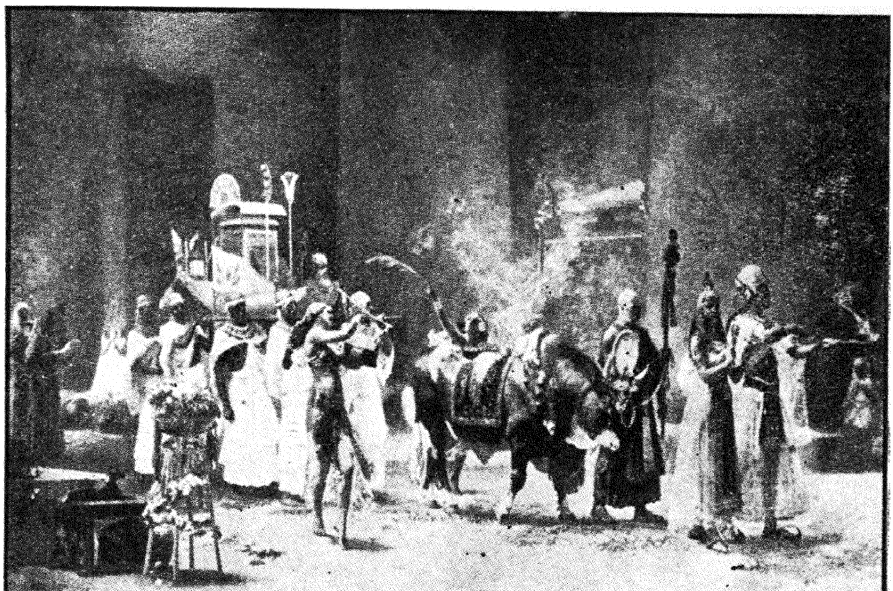

موكب العجل المقدس

تصوير بردجمان

التاريخ

للشاعر ان يسد نقص التاريخ فى حيث سكت ، وله ان يفتنّ فى تصوير حقائق التاريخ ليبعثها جديدة ويلبسها ثوب الحياة المشهودة ، ولهذا تسمى الرواية تاريخية ويراد النظم فى الموضوعات المهجورة ، أما أن يتناول الشاعر الحقائق ليمسخها ويناقضها فذلك مالايجوز له بحال ولا يغنى فيه عذر ، ألا أن تكون رواية التاريخ معناها أن نشوهه ونكذب عليه ، وذلك معنى من الرواية التاريخية لايخطر لاحد على بال

نعم لايخطر لاحد على بال الا شوقى وأمثاله ، فان قارىء رواية قمبيز ليرى كانما هذا الشاعر لم ينظمها إلا ليمسخ تلك الفترة من تاريخ مصر ، فيمحو منها كل ماهو حقيق بالذكر ويذكر فيها كل خطأ ولغو وفضول ، وهذا بيان وجيز لبعض تلك الاخطاء

شخصية قمبيز

فاسم الرواية « قمبيز » كما علم القراء ، ومن حق هذه التسمية على المؤلف الصحةُ والابداع فى وصف ذلك الرجل الذى سميت باسمه الرواية . فان لم تكن صحةٌ وابداعٌ فلا أقل من اجتناب الكذب الصراح فى حيث نطقت الاخبار بغير تلبيس ولا ابهام .

ولقد نطقت الاخبار بأن ملوك الفرس كانوا يشربون الخمر ويتشاورون على أمور الدولة فى مجالس الشراب ، ووصفت الأخبار قمبيز خاصة بانه كان سكيراً مدمنا مايكاد يفيق ، حتى شاع عنه ذلك وتقوّل الفرس أن رعشة الادمان أصابته فى يديه فما يقوى على تسديد سهم الى غرض ، ومن أجل هذا تناول قوسه وسدد سهمه الى قلب ابن « بركساسب » ساقيه الفتى الجميل فارداه كما روى هيرودوت ، ليرىَ الناس أن الخمر لم ترعش يديه ولم تزغ عينيه . . . وهذا هو قمبيز فى التاريخ فانظر كيف وصفه شوقى على لسان أحد الفارسيين

لكن له شغل عن الخمر بطول غزوته ! !

* * *

ومعروف متواتر أن قمبيز قد مثل بجثة الملك احمس وأمر باحراقها فى النار ، ولاحظ هيرودوت مافى ذلك من مخالفة الشعائر الفارسية عندهم لاعتقادهم نجاسة الجثة وقداسة النار ، فعجيب من قمبيز هذا أن يغضب — كما جعله شوقى يغضب — حين اقترح عليه أحد رجاله أن يحرق الثور هابى أو آبيس !! مع أن الثور من المخلوقات المباركة فى شريعة الفرس : خلقه أو رمزد اله النور فى غفلة اهرمان اله الظلام

ولقد عرف عن الفرس انهم كانوا يحرقون الاحياء من الاسرى والمجرمين وانهم هموا باحراق قارون حين اسره كورش ابو قمبيز ، فلا الشعائر اذن تخالف باحراق هابى ولا الغضب من ذاك معقول

وقال شوقى على لسان قمبيز وهو يخاطب العجل

وهـــذا خنجرى الماضى نخـــذه بين قرنيكا

بين قرنيكا ؟ ما كان ينقص صاحبنا الا أن يجعل قمبيز ينطح العجل برأسه ويفعل مايفعله كل ذى قرنين

قتل هابى

ماجنى على شوقى هذه الجناية التاريخية إلا القافية لعنها الله!!

والا فماذا كان يجرى لو أنه قال « خذ خنجرى ولم يذكر الموضع الذى طعن فيه العجل ؟؟ ان ذكر القرنين هنا هو الذى شط بشوقى عن الحقيقة التاريخيه ! ! فان المؤرخين ذكروا ان الطعنة كانت فى الفخذ وزعم الكهان ان قمبيز مات بطعنة فى فخذه على سبيل القصاص الالهى منه لجرحه العجل « هابى » ، واختلفوا فى الطعنة هل جاءت عن عمد أو على غير عمد ولكنهم لم يذكروا قط أنه طعن بين قرنيه

ولو كان لشوقى بصيرة مؤرخ وخيال شاعر لعرف ان حكاية قتل العجل بتلك الطعنة خرافة لا تثبت على التمحيص وان وردت بها بعض الروايات ، لان طعنة فى الفخذ لا تقتل عجلا قوياً ولا غير قوى ، ولم يكن قمبيز جزاراً حتى يجهد لقتل فريسته فلا يدعها الا وهو قاتلها أو مصميها ، فنحن نعلم ما يحتاج اليه الجزارون من الجهد لقتل الثيران ، وليس بالمعقول أن قمبيز قد رضى لنفسه هذه الجزارة واستعد للذبح هذا الاستعداد ، فانما كان يعنيه ان يرى الكهان جهلهم وضلالتهم اذ يعبدون مخلوقا من لحم ودم يصيبه عبده اذا شاء

وينفذ فيه السلاح ، وقد ضحك من الكهان حين أسال دم العجل وخاطبهم فى هذا المعنى كما جاء فى رواية هيرودوت ، فهو قد عنى ذلك ولم يعن أن يحترف الجزارة اكراما لهابى ! ! على اننا لو فرضنا ان قمبيز طعن العجل بين قرنيه فليس الا خيال كخيال شوقى العقيم يتصور أن الطعنة فى ذلك الموضع الصلب تميت الثيران وهى تضرب مرات بالفؤس الضخام فلا تموت ولا يستغنى الجزار بعد ذلك عن الاجهاز عليها بالسكين . ولسنا نكتفى بالفرض هنا بل نذكر الفرض المعقول ثم نؤيده بالاسانيد

فى المتحف المصرى باللوفر الواح تسجل موت العجول المقدسة عثر بها ماريت باشا حين كشف مدافنها فى البدرشين ، ومنها لوحان أحدهما عن العجل الذى مات فى أيام قمبيز وولد على ما يظهر فى السنة الخامسة والعشرين من حكم أحمس ، والآخر عن العجل الذى مات فى السنة الرابعة لحكم دارا ... ويرى مسيودى روجيه صاحب كتاب المأثورات المصرية « ان هذا هو العجل الذى طعنه

قمبيز فى ثورة غضبه ... وانه على هـذا الاعتبار يكون قد عاش بعد طعنته تلك خمس سنوات على التقريب »

وهذا ترجيح يزكيه العقل وتمحيص الاخبار وسجلات الآثار ، ولـكننا لانحب أن نأخذ الشاعر بالترجيحات ولا نزيد على ان نسأله : من أين جاء بالطعنة بين القرنين ؟ أتراه جاء بها ليبر بعهد قطعه على نفسه لينقض التاريخ حيث استطاع نقضه بغير سبب ولاجدوى ؟ أما كان فى وسع الشاعر أن يرجح حياة هابى وموت قمبيز بعد العدوان عليه فيكون هذا أمضى مع سياقه وأدل على العبرة التى أطال فى بيانها وأبلغ فى اظهار النقمة الالهية التى تحدث بها كهان المصريين ؟ !

بردية

وزعم شوقى ان قمبيز قتل أخاه « بردية » فى ساحة القصر على مشهد من حراسه وحرمه ، أما الثابت الذى لااختلاف فيه فهو انه قتله خفية ولم يعلم بموته أحد من القصر ولا من الشعب ، حتى ان « جوماتا » الثائر الذى كان يشبه بردية كل الشبه استطاع ان يقنع الشعب ويقنع نساء القصر بانه هو بردية ابن

كورش وشقيق قمبيز ، فصدقه الجميع ودانت له البلاد وطارت الرسل الى قمبيز تنبئه بأن أخاه قد تمرد عليه وجمع اقطار الدولة حوله ، فشك هذا بادىء الأمر فى اخلاص « بركساسب » الذى عهد اليه فى قتل أخيه ، ثم تبين له خطؤه فاذاع الحقيقة بين رجاله وحامت الريب حول الدعى الثائر ، وتلك رواية لم يشذ عنها أحد من المؤرخين

وكذلك لم يشذ أحد من المؤرخين عن الجزم بموت قمبيز فى غير مصر وانه قضى عليه بعد ما تجاوز أرضها الى البلاد السورية فى طريقه الى فارس ، وانما شذ شوقى وحده لأنه أمين على يمينه ليفسدن التاريخ وليطعننه بين قرنيه !

أخت قمبيز

ولقد غلط شوقى فى أخت قمبيز كما غلط فى أخيه . فسمى الأخت التى قتلها « أتوسة » وأتوسة لم تمت فى حياة قمبيز بل عاشت حتى تزوجت « دارا » وولدت منه « خشايارش » الأول وزينت له أن يوليه العهد بدل ابنه الاكبر لأنه من سلالة كورش العظيم . أما التى قتلها قمبيز فهى أخت أخرى لامته على فتكه باقربائه فرفسها برجله فماتت فى أثر هذه

الرفسة لأنها كانت حاملا فيما زعم رواة الخبر ، ولكن صاحبنا شوقيا زنقته شهوة الخطأ فسمى الاخت باسمها وأملى على ضمير قمبيز الثائر ان يقول :

أتوسة أختى ألا تصفحين ؟ أتوسة زوجى ألا تغفرين ؟

فشفى نفسه بذلك الغلط المستفيض فى أمر قمبيز وأخى قمبيز وأخت قمبيز ! !

وقد فاته فى هذا الحادث أن ينبه الى بناء قمبيز باخواته وما فى ذلك من الغرابة والاجتراء على حرمات دينه وعادات بلاده ، ثم مافيه من دلائل الشذوذ الذى يتمم العلم باخلاق بطله ، ولو أنه نبه اليه لعلم نظارته ان ذلك المخبول لم يكن ليحفل النار وما أحرقت من « هابى » أو غير « هابى » . . ولكن شوقيا ملهم فى الغلط فلا يحذف اللغو ولا يثبت مايفيد

* * *

ذلك بحمل عن قمبيز بطل الرواية الاكبر ، أما أبطالها الآخرون فلكل منهم نصيب على قدره من الاخطاء والاكاذيب فهذا بساماتيك يقتله شوقى بعد غزوة قمبيز للنوبة

وهو قد قتل قبل تلك الغزوة ، وذلك أحمس ينقل خبر موته الى قمبيز وهو فى فارس يتأهب لغزو الديار المصرية . . اما الرواية التى ذكرها هيرودوت وجاراه عليها المؤرخون فهى أن قمبيز لم يعلم بموته الا بعد اشرافه على الفرمة ! !

فانيس اليونانى

وذلك فانيس اليونانى يجعله شوقى

امير الجيش فى منف واسوان وسايس

وما كان للجيش المصرى أمير واحد فى جميع هذه البلاد ، وما كان فانيس الا ضابطا من الضباط لم يبلغ مرتبة الامارة والمؤلف يميته وهو يقول

قد خنت مصر وخنت ساداتى بها لـكننى ماخنت قط بلادى

وهذا كذب ، لان فانيس خان جند اليونان حين خان مصر ولهذا أبغضوه ووغرت صدورهم عليه

ثم هو يميته جاهلا بمصير أولاده فيلقى على لسانه وهو يلفظ الروح هذا البيت .

يونان تغفرلى وآلهتى بها سهرت عيونهم على اولادى

ثم يجعـــل مصريا يقول

فانيس لاعـــلم له بما جرى
قـــد قتلوا أولاده وما درى

كـذلك يزعم شوقى عدو التاريخ . أما الذى رواه هيرودوت — وهو وفانيس من بلدة واحدة فى آسيا الصغرى — فيناقض ذلك كل المناقضة ، لأنه روى أن الجنود قتلت اولاد فانيس أمام عينيه ومزجت دماءهم بالخمر وشربتها فى وسط الميدان ، ولو كان الجنود الوطنيون هم أصحاب هذه الفعلة لجاز أن يقول قائل ان شوقيا تعمد الاغضاء عن الحقيقة ليرحض اللوثة عن سمعة بلده وتاريخه ، ولـكن هيرودوت نسب الفعلة الى الجنود الاجنبية المرتزقة ولم ينسبها الى المصريين

الضحايا البشرية

والتاريخ يروى عن اليونان نظائر لهذه الفعلة فى حروبهم مع الاجانب ، فقد ذبحوا ثلاثة من أسرى الفرس قبل وقعة سلاميس وصنعوا بهم مثل ماصنع جنودهم المرتزقة بأبناء فانيس ، فـكان أولى بشوقى أن يذكر الحقيقة ولا يناقضها لأنه ينصف بذلك الوطنية المصرية من طغيان الدخيل . بل كان أولى به

أن ينزه سمعة المصريين عن عار الضحايا البشرية التى نزهتهم عنها الحقيقة

فليس فى الآثار المصرية أشارة واحدة الى التضحية البشرية فى شعائر مصر القديمة ، وكل ماقيل عن التضحية بالبنات فى موسم الفيضان أساطير لاسند لها من الآثار ولا من أقوال المؤرخين الاقدمين . فان أول من أشار الى هذه الاسطورة هو « المقريزى » الذى تلقفها من الافواه فى مصر ولم يرجع بها الى سند صحيح ، وأين عهد المقريزى من عهد قدماء المصريين؟ لابل قد نفى « هيرودوت » عن المصريين وصمة التضحية البشرية نفيا جازما خلال سرده لحكاية هرقل وما تقوّله عنها الاغريق الاولون

ويرحض هذه الوصمة عنهم انهم كانوا يدفنون مع كبار الموتى تماثيل يرمزون بها الى الخدم والاتباع تحرجا من قتل الخدم والاتباع على أجداث الملوك والامراء كما كان يفعل غيرهم من أمم العصور الغابرة ، فأجدر بالمصرى ان يفخر بهذه الحضارة العالية والايتطوع — على الاقل — لتلويث تاريخه بتهمة لم يقم عليها دليل ولا شبه دليل ! لكن شوقيا موكل بقلب الحقائق وتشويه

المفاخر من حيث بزعم أنه يشيد بالمفاخر ويدحض الاباطيل ، ولهذا أجرى على لسان نتيتاس ذكر الخرافة المكذوبة عن عروس النيل وجعلها تقول .

كل عام صبية من بنات الشـ ـعب تختار للفداء فتفدى
تنزل النيل غير عائفة ما فيه للموت من حياض وورد
سمحت بالحياة فى غير سأم وسخت بالشباب فى غير زهد

وما كان المصريون يلقون فى نهرهم الا عروسا من الطين ولا كانوا يسمونها عروس النيل الا لأنهم كانوا يحسبون النيل زوجا لارض مصر يزورها العام بعد العام ، فهم يرمزون للارض كلها بدمية من طينها يحتفلون بزفافها اليه ، وهذه هى القصة لاقسوة فيها ولا وحشية ولا شناعة ، فانظر الى الصديق الجاهل كيف يصنع بمن يواليه . . ان صح انه يواليه

شجاعة المصريين

وانساق شوقى مغمض العينين مع مؤرخى الاغريق فافترى على شجاعة المصريين فى ذلك العصر افتراء تنفيه جميع

الوقائع التى سجلها أولئك المؤرخون . وفات خياله المظلم الكليل أن يدرك موضع الهوى والغرض من نفوس اليونان الأقدمين اذ يتكلمون عن الجنود الوطنيين ، فقد كان ضلعهم ظاهراً مع «الملوك الفراعنة» المكروهين الذين كانوا يحذرون التعويل على الجنود الوطنية فيكثرون من استخدام الجنود اليونانية ، وكان أولئك الفراعنة يحابون اليونان ويتبرعون بالمال الكثير لتعمير هيا كلهم فى بلادهم وإقامة الهيا كل لهم فى جوار المعابد المصرية . وكان أبناء البلاد يمقتون فراعنتهم من جراء هذا ويتربصون بهم وبالجنود الدخيلة الدوائر وينعتون هؤلاء باقبح النعوت ويحرمون الأكل من أيديهم والتنزل الى معاشرتهم ، ويقدحون فى شجاعتهم وأمانتهم بكل لسان

فماذا كان ينتظر شوقى من اليونان أن يقولوا عن أنفسهم وعن أبناء البلاد الناقمين عليهم ؟ أكان ينتظر منهم أن يتهموا أبناء وطنهم بالفضول والتطفل ويعترفوا للمصريين بشجاعة تغنيهم عن الجندى الدخيل ؟ أكان ينتظر منهم أن يكرهوا « وهابرع » وأحمس ومن سبقهما كما كان المصريون

يكرهونهم ويتبرمون بحكمهم ؟ وإذا لم يفعل اليونان ذلك فماذا نراهم يقولون الا أن المصريين ضعاف وانهم هم حماة الديار ؟ وان الفراعنة على صواب حين يميزون بين هؤلاء وهؤلاء ؟

على أن استخدام المرتزقة خطة لم تنفرد بها مصر أيام الغزوة الفارسية ، لانهم كانوا يُستخدمون فى جيش فارس وساموس فى هذه الفترة بعينها ، فليس من الانصاف أن يُتخذ وجودهم فى الجيش المصرى برهانا على نقص فى كفاة المصريين للجندية والقتال

فكل ما افتراه مؤرخو اليونان على شجاعة المصريين فى ذلك العهد إنما كان حديث موتورودفاع دخيل ممقوت ، وما كان هذا ليخفى على أحد له بصيرة وفطنة وله المام بمواقع الاغراض والدعايات . فما كان يجمل بمؤرخ باحث - ولا بمصرى على الخصوص - أن يتخذ شهادة الكتاب اليونان دليلا على جبن آبائه الغابرين ، ولو صفر التاريخ من الأدلة النافية لهذه الفرية لكان المصري شبه عذر فى الاصغاء اليها والاهتمام بشأنها

أما والتاريخ حافل بالدلائل النافية لها فلن ينساق مع أكاذيب اليونان الأقدمين الا رجل تعوزه الغيرة أو يحنح به الغرض إلى تصديق تلك الأكاذيب ، وقد يكون شوقى صاحب غرض فى هذا ، لأن فيه عرقا يمت به إلى اليونان كما يقول

وإلى القراء بعض الدلائل التى حفل بها التاريخ حتى فى رواية أولئك المؤرخين المغرضين

فمنها أن الفرقة المصرية هزمت الفرق المرتزقة فى كل مرة اجتمعت فيها تلك الفرقة إلى فرد راية ، فلما خطر لـ « وهاب رع » أن يشد أزر « ذكران » الزعيم اللوبى فى حربه للمستعمرة الاغريقية ببرقة رأى من الحكمة ألا يرسل فى هذه الغزوة جنوده المرتزقة مخافة أن يتمردوا فلا تطيب نفوسهم لحرب أبناء وطنهم ، وعلم أن الفرقة المصرية تبغض الاغريق وتصدق فى قتالهم فأرسلها إلى الحدود ، ولكن حسابه ما لبث أن التوى عليه فكرّت الفرقة المصرية راجعة الى حربه حين أحست اجتماع الكلمة ووحدة القيادة ، فجزع وهاب رع واستعان بجميع جنوده الاغريق

وهاب رع

وخرج بهم لقتال الثائرين فهزمه هؤلاء شر هزيمة ورفعوا قائدهم أحمس الى العرش شريكا لذلك الفرعون ، ولولا أن علو أحمس على زملائه قد أثار فى نفوسهم حسد الند للند لخاف اجتماع كلمتهم عليه لما عدل بعد ذلك عن تأييد الجنود الوطنية الى مشايعة الأجانب والمرتزقين

هذا ماحدث فى الوقعة الأولى بين المصريين والاغريق . فلما التقى الفريقان بعد ذلك مرتين كان الغلب الحاسم فى المرتين للمصريين

إلا أن التعصب الأعمى يسول للمؤرخين المغرضين أن يحاولوا اقناعنا بالنقيضين للاشادة ببسالة اليونان والتشهير بضعف مراس المصريين . فلما أرسل « وهاب رع » معظم جيشه الوطنى الى قتال الاغريق ببرقة قال أولئك المؤرخون أن الاغريق أبادوه إلا قليلا لا يحسب لها حساب ، ومن ثم نعلم أن الجيش الوطنى قد مُنى بخسارة لا تعوض وآب أضعف وأخوف مما ذهب ، لكنهم يذكرون الحرب بين المرتزقة والجند الوطني بعد وقعة برقة فيدعون أن الوطنيين انما تغلبوا

على خصومهم بكثرة العدد لا بالبأس والشجاعة . . . فهنا هم كثيرون وهناك هم فلول !! وليس هذا الادعاء المتناقض الا من تعصب اليونان لليونان ، وكراهة المنافس للمنافس ، وليس ترديده فى العصور المتأخرة الا تعصبا جديدا من الاوروبيين المحدثين لأولئك الاوربيين الغابرين

وأدل مما تقدم على منعة مصر وهيبة جيشها أن كورش مؤسس دولة الفرس وفاتح الامصار شرقا وغربا قد تهيب أن يقدم على غزوها فتركها وشأنها كما قال مسيو « جستاف جكفيه فى كتابه « تاريخ الحضارة المصرية » ... مع أن كورش كان يعلم اشتراكها فى الحلف الذى تألب عليه من البابليين والليديين والسبرطيين والمصريين ، فحارب بابل وليدية وسوّف فى محاربة مصر الى أن مات

ومن الدلائل على كذب الاقاويل عن هذه الفترة أن قمبيز — مع تهجمه وفتوته — لم يجسر على غزو مصر إلا بعد أن استوثق من خيانة فانيس اليونانى واطلع منه على اسرار الهجوم وفوض اليه رشوة البدو الضاربين

صورة لجندي مصري

فى صحراء سيناء ، ثم لم يكفه هذا حتى ألب الاسيويين على المصريين وأعدّلهم ستة أضاف قوتهم من الفرسان وجيش مشاة يفوق جيشهم بعدد غير قليل . واسلحة لاعهد لهم بها فى ذلك الزمان . واسطولا لبولكرات الطاغية الساموسى مال الى فارس بعد أن كان فى حلف المصريين

ومن الحيل التى لجأ اليها قمبيز للغلبة على المصريين بارشاد فانيس اليونانى انه رفع الحيوانات الصغيرة التى يقدسونها ويحرمون ايذاءها على دروع جنوده فتورع المصريون ان يقذفوها بسهامهم وآثروا الهزيمة على الجحود وعصيان الدين ، ولا ندرى لماذا أغفل شوقى هذه القصة ولم يشر اليها بحرف وهى كما يرى القارىء مرتع للشعر ومسرح للخيال ، وفيها ما يخفف عار الهزيمة فيجعلها ضربا من التقوى الدينية ويمحو عنها الجبن وفتور الوطنية . ثم هى ليست حقيرة السند مخترعة من الأساطير . لأن بوليمينس أثبتها فى كتاب التعبئة والحيل الحربية الذى ألفه للعاهل الفيلسوف « ماركس أورليوس » فان صح ان شوقيا تحرى فترة الفتح الفارسى ليمحو عاره

صورة أخرى لجندى مصرى

فهذه القصة ترضى خيال الشاعر وبحث المؤرخ وعبرة الحكيم ، وهى وما سبقها من الدلائل كفيلة بجلاء الوصمة والباس الخذلان لباس الشرف والعزة ، وهى كذلك أجدى وأبلغ فى الاقناع من تلك الجعجعة الخاوية التى ملأ بها أفواه المصريين ولم تكن لتدل إلا على السخف والغباء

ولقد غلبت مصر وملكها الفرس وما انكسرت قلوب أهلها ولا خنعت رقابهم لنير الفاتح القوى المعتز ببأسه وسلطانه ، فما برحوا يتحينون الفرص ويثبون على غالبيهم مرة بعد مرة حتى قلق دارا الأول وحضر الى مصر وقتل « اريانده » والى الفرس الذى كان يتغطرس على المصريين ويستفزهم الى الغضب والثورة ، وبالغ فى تمليق الشعب والكهان حتى بنى معبداً لأمون واشترك فى موكب الحزن على « هابى » واكتتب بما يعدل اثنين أو ثلاثة وعشرين الف جنيه من نقود هـــذه الايام ، مكافأة لمن يعثر بعجل جديد تجتمع فيه الشروط المفروضة فى أسفار الكهان

وظهر شمم الكهان المصريين على أتمه يوم اقترح « دارا »

عليهم أن يقيموا تمثاله الى جانب تمثال « رعمسو الثانى » فى معبد فتاح ، فلم يبال أحدهم أن يجبهه بتفضيل رعمسو عليه وأن يقول له فى غير مواربة ولا دهان : انك لم تفتح فتوح ذلك الفرعون العظيم ولم تبل مثل بلائه ، فتلقى الجواب كاظماً وقال فى حلم وأناة : « سأفعل كما فعل اذا عشت كما عاش » وعدل عن إقامة التمثال اذعانا لكبرياء رعاياه المغلوبين

ثم استرجعت مصر استقلالها وكافحت حوله كفاح المستميت ، ولا محل هنا لتفصيل الوقائع التالية لأنها خارجة عما نحن فيه

فالحوادث التى انتقلت الينا من مؤرخى اليونان أنفسهم تنفى ما تخلل رواياتهم من سوء الشهادة للشجاعة المصرية وسائر الخلائق الكريمة ، ويجب على المؤرخ المصرى أن يفطن الى هذا ولا يجارى الأحاديث المشاعة التى لن تخلو من الهوى ولن ترتكز الى سند صحيح

على ان اليونان لم يكونوا بالمغرضين وحدهم فى تقرير تاريخ تلك الأيام لما هو معلوم من المنافسة بينهم وبين الوطنيين ، فان هنالك شعبا آخر كان يخامره الغرض فى تقرير ذلك

رعمسو الثانى يقاتل ومعه أسده الاليف تصوير افلن بول

التاريخ لأسباب تشبه تلك الاسباب ، ذلك هو شعب اسرائيل

لقد كان الاسرائيليون ساخطين على مصر لأنها قهرتهم قديماً وسخرتهم فى بلادها تسخير العبيد . فما زالوا ينطوون لها على ضغن ويتمنون لها الهزيمة والسقوط ، ثم نشبت الحرب بين البابليين وبنى اسرائيل ففزع هؤلاء الى فرعون وأبطأ فرعون فى اسعافهم فهزمهم البابليون وحملوهم مأسورين الى أرض بابل . فصب كهان اسرائيل غضبهم على مصر وأنذروها بمثل هذا المصير ، وجاء كورش مؤسس الدولة الفارسية فقهر البابليين وسمح لبعض أسباط بنى اسرائيل بالقفول الى أرضهم فحفظوا له هذا الجميل وكان سبباً جديداً لميلهم مع الفرس وتمنيهم الهزيمة لعدوتهم مصر ، فالاحاديث التى تحدرت الينا من ناحية بنى اسرائيل عن فترة الغزوة الفارسية كانت من ثم عرضة للمبالغة والتشويه وسوء الشهادة للمصريين . إذ كان فى ذلك إرضاء للثأر القديم وتصديق للنبوءات المأثورة ، وهذه حقيقة لايصح نسيانها فى تمحيص أخبار تلك الفترة المثقلة بذكريات العصبية والدين

ثم جاءوا لأربيون المتأخرون فوافقهم أن يسجلوا الضعف

والجبن على الشرق ويؤثروا اسلافهم فى اوربا بمناقب الشجاعة والاقدام والتغلب والسيادة ، ووجدوا فى ذلك ذريعة الى تسويغ الاستعمار وتوهين عزائم الأمم المغلوبة واقناعها بما قسم لها من مصير الذلة والخضوع ، فقرروه وابدأوا وأعادوا فيه وحاولوا أن يبثوه فى قلوب الناشئة الشرقية لتنمو وتكبر وهى على هذه العقيدة المميتة ، ثم زادوا فقرروا ان مصر لم تستقل قط بعد الغزوة الفارسية ولم يحكمها احد من ابنائها فهى بعد اليوم لن تستقل ولن يحكمها احد من أولئك الابناء ! ! ولو قالوا مثل ذلك عن انجلترا أو فرنسا أو المانيا أو اية دولة اخرى لأصابوا من حيث لم يصيبوا فى كلامهم عن هذه البلاد ، فكل هذه الدول لم تعرف لها اسرة مالكة من صميم اهلها منذ زمن طويل ، ومزية مصر انها كانت تحكم لحساب اهلها وتصبغ حكامها بصبغتها فى الدين والشعائر والالقاب . حتى « قمبيز » انتحل فيها اسما من اسماء الفراعنة واتخذ له اسرة معدودة من اسراتهم المتعاقبة ، وحتى الرومان الطغاة سادة الارض قد دانوا بالمسيحية يوم نشب النزاع بين مصر وبينهم فكانوا

هم فى جانب الديانة القديمة وكانت مصر فى جانب الدين الجديد

فمصر والدول الاوربية سواء فى قيام حكام فيهن جميعاً من غير ابناء البلاد ، وقد تكون مصر خيرا منهن جميعاً لانها لم تُحسب قط سلعة « خاصة » كما حسبت أمم اوروبية كثيرة فى صفقات الزواج والميراث

ولو غير شوقى تعرض لفترة الغزوة الفارسية لكان له فى هذه الحقائق مجال أىّ مجال لانصاف الوطنية المصرية واستخراج الجوهرة الصافية من خلل ذلك الركام المهيل ، ولكنها فترة منكودة الحظ فمن تنكد حظها انها وقعت فى يد هذا المؤلف الذى لاخطر عنده للوطنية ولا للتاريخ ولا للخيال !

* * *

على ان الذى يضحكك ملء شدقيك من شوقى أن تراه يتعالم بالروايات التاريخية ويخوض بينها بالترجيح والتعليل كأنه يميزها عن دراسة ومعرفة وعناية نزيهة ، وهو علم الله ما ألم منها بكثير ولا قليل إلا خطف المتعجل الجاهل الذى لا يصبر على دراسة

فلما سأله مندوب « الصباح » الاسبوعية أصحيح ان نتيتاس كانت زوج كورش أبى قمبيز ولم تكن زوجة قمبيز ؟ لم يتحرج شوقى أن يخبطها خبط عشواء ويلقى هذا الجواب الذى ننقله بنصه لانه أضحوكة الاضاحيك

قال وقاه الله شر التاريخ ووقى التاريخ شره :

« الذى قال ذلك هو الدكتور ايبر . . . وقد كتبها متأثراً بالحضارة اليونانية شأنه فى ذلك شأن كل المؤرخين الافرنج الذين يتكأون فيما يؤرخون على الحضارة اليونانية غير عابئين مطلقا بالحضارة المصرية فى ذلك العهد ، وأنا المصرى ما كان لى أن اسلك الطريق الذى سلكوه فى الكتابة عن هذه الحقبة من الزمن ، وانما كان على ان اعتمد على الحضارة المصرية وأن أسمو بالناحية الوطنية بما يجعلها فى مستوى أرفع من النواحى الاخرى ،ولقد فعلت !! »

والله صحيح ! .. لقد فعلتها جزاك الله بمافعلت ياشيخ ! ومن غيرك يستطيع أن يخبطها هذه الخبطة التى تربى أكاذيبها على الكلمات فيها والحروف ؟ من غيرك يستطيع أن يزعم

فى عبثه وتخليطه أن ايبر هو صاحب تلك الاحدوثه وانها اغريقية تجحف بالمصريين ؟ تقولها أنت لانك آليت لتمثلنّ بالتاريخ شر تمثيل . . أما التاريخ فله كلام غير هذا الكلام بل نقيض هذا الكلام

فلا أيبر هو صاحب تلك الاحدوثة التى رجحت ان « نتيتا » خطبت لكورش ولم تخطب لقمبيز ، ولا هذه الاحدوثة أغريقية تجحف بسمعه المصريين

أما ايبر ياهذا فتلك قصته « الاميرة المصرية » مترجمة الى العربية والانجليزية والفرنسية وكلها دائرة على الاحدوثة الاخرى التى تقول أن « نتيتا » خطبت لقمبيز لا لكورش أبيه

وأما الاحدوثة التى زعمتها اغريقية فما هى الا دعاية مصرية صميمة روجها المصريون لارضاء كبريائهم وتعزيز ثقتهم بأنفسهم ونفض ذلة الاسر عن كواهلهم ، فقالوا أن قمبيز لم يكن فارسياً ملك مصر ولـــكنه كان مصريا ملك فارس !! وانه لم يطالب بعرش مصر الا لأنه كان ابن الاميرة المصرية نتيتا التى خطبها أبوه كورش ، فهو أحق بالعرش

من أحمس غاصب الملك ومنافس الفرعون « وهاب رع » ! !
وعلى هذا تكون يا صاح قد عكست الامر فرفضت الدعاية الوطنية وتشبثت بالاحدوثة الأجنبية ! !

ثم أنت تؤاخذ « ايبر » ولا مؤاخذة على الرجل فى شىء من هذا ، وإنما أشار الى الأحدوثة - من المتأخرين المعروفين عندنا - ثلاثة هم ماسبرو مؤرخ « الأمم الشرقية » وجستاف جكفيه صاحب كتاب الحضارة المصرية : وبترى الأثرى الكبير ، والأول والثالث قد ذكرا سبب دعاية المصريين بهذه الأحدوثة والثانى ذكرها وحدها ولم يذكر الأحدوثة الأخرى ولا أشار اليها ، وامثال هذه الاحاديث على كل حال من الاساطير وليست من التاريخ ، ولكنها قد تستحب فى حكاهات القصص والتمثيل

ويطول بنا المقال — يطول بنا جداً لو أحصينا الغلط المبثوث هنا وهناك أثناء الرواية فى الأسماء وترتيب الحوادث ووصف العادات ، ولكن من يلوم المؤلف على مثل هذا الغلط لكمن يلوم الكافر على ترك الحج والصيام ، فبعد الكبائر لاملام على الصغائر ! ! وحسبنا ما تقدم دليلا سيئاً على مافى هذه القمبيزية من خلط ذريع ! !

الخيال

لخيال الشاعر عمل جليل فى الروايات التاريخية ، لان حوادث هذه الروايات أشبه شيء بالهيكل العظمى الذى يحتاج الى الخيال الخالق المبتكر ليكسوه لحما و يجرى فيه دماويبعث فى أوصاله روح حياة ، فاذا بحثت فى رواية قميز عن أثر لمثل هذا الخيال فما أنت بواجده ولا مستطيع أن تفترض وجوده ، ولن ترى هنالك الا جسما حيا جرده شوقى من لحمه ودمه فأض فى يديه هيكلا عظميا لاحراك به الا كحراك الآلات الصماء

ذلك ان فترة الغزو الفارسى كانت من أعمر الفترات فى تاريخ مصر بالحوادث الشائقة والمواقف الروائية والعبر الناطقة ، فهى تملأ وطاب الشـــاعر لو كان على حظ من بديهة الخيال وقدرة التصوير والابتكار ، وتتزاحم فيها الشخصيات المسرحية فينعم فيها الشاعر بزاد طيب يمتع به النظارة والقراء

فما الذى صنعه شوقى بتلك الفترة ؟ لقد كان مطلوبا منه أن يكسوها لحما إن وجدها عارية ، فعراها هو من اللحم وألقاها عظمة بالية . ! . وكان هو بمثابة «قمبيز» آخر أغار عليها بخياله المنكوس فأعمل فيها معول التخريب والتجريد ونشر ريح الموت فى كل مالمسه ورآه

فمن شخصيات تلك الفترة الواضحة فى تاريخ العالم كله شخصية صولون الحكيم المشهور والمشترع الكبير : زار مصر على عهد أحمس ودرس حكمتها واقتبس من شريعتها ولا سيما قانون «التشرد» والصناعات ، فما كان أحوج المسرح الى ظهور هذه الشخصية!! وما أقدر المؤلف ـ لو كان شاعرا حقاً ـ أن يجمع فى دور صولون كلمات العظة والحكمة ويجرى على لسانه خلاصة التشريع فى العصر القديم ويبث فى منطقه اعترافه بما استفاده اليونان من مصر فى الدين والنسك والعلم والاخلاق!! أوما كان أجدر هذه الحقيقة أن تذكر فى رواية يقال انها وضعت لاعلاء قدر الوطنية المصرية واظهار فضلها على اليونان وعلى العالمين !

* * *

ومن شخصيات تلك الفترة قارون ملك الليديين صديق الفلاسفة ، مضرب الامثال بالغنى ولا سيما فى الآداب العربية . خلعه الفرس وأسروه واوشكوا ان يحرقوه ثم اطلقوه فاخلد الى الزهد وقنع بحظه ووجد السعادة فى القناعة بعد أن عز عليه طلابها بالمال والسلطان . ثم زار مصر مع الفرس وتابع مصارع الامم وشهد الدول كيف تدول وعرف السطوة فى نفسه وفى غيره كيف تحول وتزول ، أفتوجد هذه الشخصية بين يدى شاعر يؤلف الروايات التمثيلية عن عصره فيرمى بها وراء الستار ولا يبرزها مرة لتسمع الدنيا من فمها عبرة صاحب الكنوز ومضرب الامثال فى جميع العصور ؟ ألم تكن لقارون كلمة منتظرة فى زمن ران فيه حب المال على كثير من النفوس وقال شوقى عن نعيمه انه « قتل حمية الفتيان » ؟

بلى ؟ قد كانت له كلمة بل كلمات ، ولكن أين شوقى وعبر التاريخ وأين شوقى وإلهام الخيال ؟ !

* * *

ومن حوادث ذلك العصر الرائعة غزوة الفرس للصحراء اللوبية التى تبدد فيها خمسون الف انسان ، ثم غزوتهم للنوبة التى هلك فيها الجيش الفارسى جوعا وعطشا واتفقوا آخر الامر ان يقترعوا على واحد من كل عشرة يأكلونه بعد أن أكلوا العشب ثم فقدوا العشب فى سهوب الصحراء . . . أى تمهيد لجنون قمبيز أفجع من هذا التمهيد وأحرى أن يقنع الناس باحتمال هذا الجنون ؟ ثم كيف يستغنى الشاعر عن شرح هذه الضربة من ضربات القضاء وهو فى رواية فاجعة لاغنى فيها عن شرح غضب القضاء وغلبة الارباب ؟ لقد كان فى التاريخ تمهيدان واجبان لجنون قمبيز أحدهما هذه الكارثة والآخر ادمانه السكر وتماديه فى الشهوات ، فاما ادمانه السكر فقد خبط فيه شوقى احدى خبطاته العشواء فعصم قمبيز من الخمر لاشتغاله بالغزو عنها كما قال ! ! واما كارثه النوبة فقد رمى بها شوقى الى ماوراء الستار ورمى معها بكارثة الصحراء اللوبية على طول الذراع . . . ، وقد يقال انه خشى الاطالة

فنقول ان الرواية لم تزد على فصول ثلاثة فما ضره لو صارت أربعة أو خمسة ؟ وإن كان لابد من ثلاثة فصول لا أكثر فهل كانت تضيق هذه الفصول الثلاثة باثنين من الفرس أو المصريين يتحاوران ويحكيان ما انتاب قمبيز بعد غزوة النوبة وغزوة الصحراء ؟ أليس هذا خليقا أن يفسر لنا هجومه على «هابى» ثم جنونه ثم مطاردة الآلهة المصرية أياه من البدء الى الختام ؟

وعلى ذكر النوبة نعجب كيف تخطى المؤلف ذلك الحوار الشائق الذى داربين بعثة فارس وملك النوبة ؟ وكيف اكتفى من هذه الغزوة كلها بعرض الاسرى النوبيين على المسرح والعفو عنهم على أثر ذلك ! ! فان حديث ملك النوبة مع بعثة فارس لحديث مسرحى لا يذهل عنه كاتب رواية تمثيلية ولا يعذر فى تركه الا أن يكون جاهلا به أو ساهياً عنه ، وهو جهل فاضح وسهو معيب لا يليقان بمن يتصدى للكتابة فى تاريخ عصر الرواية وأهل زمانها

وخلاصة الخبر أن البعثة الفارسية حملت إلى ملك النوبة فيما حملت اليه من الهدايا ثيابا مصبغة ، فقال لهم قبل أن ينظر فى

هداياهم : ما جئتم أصدقاء لنا وانما جئتم عيونا علينا . . ! ثم سألهم عن الثياب كيف يصنعونها فوصفوا له نسجها وصبغها فابتسم وقال : ثياب غشاشة من أمة غشاشين!! ثم تناول قوساً كبيرة وأغرق فى نزعها وناولهم اياها وهو يقول : اذا استطعتم ان تنزعوا فى أقواس كهذه فأقدموا على قتالنا

وعادت البعثة فقيل أن قمبيز عجز عن علاج تلك القوس وأن بردية أخاه رمى منها السهم إلى أبعد مرماه فكان ذلك سبب حنقه عليه وقتله اياه ، فالمنظر كله من أمتع المناظر على المسرح وعرضه على النظارة لم يكن من الصعوبة فى شىء . فاعجب كيف أغفله شوقى ثم اعجب له كيف أنطق قمبيز بالعفو عن أسرى الغزوة النوبية وهى علة خيبته وجنونه ، وقل معنا بعد ذلك ياله من توفيق عجيب فى الغفلة والتشويه ! !

ومما يحفظ من سيرة قمبيز انه سلخ جلد أحد القضاة الفرس وهو فى قيد الحياة لخيانته امانة القضاء ، وهذا قبل ان يطبق عليه الجنون وتشتد عليه وطأة المرض ... فكان قصاصه هذا عدلا أقبح من الظلم وبادرة من الهوس الجامح تدل على مابعدها

ويحفظ له ايضا انه استوزر مصريا من اقرباء احمس و بسامتيك الثالث كان اميرا للاسطول فى عهدهما وكان اسمه « ازاهور رسنيت » وهذا الامير هو صاحب التمثال الذى عرف الأثريون منه بعض سيرة قمبيز فى مصر و بعض عنايته بهيا كل الارباب المقدسة بارشاد من « ازاهور رسنيت » صاحب التمثال ، وقد استمال قمبيز فاتخذ اسم « مسوت رع » ليتقرب الى المصريين و ينتظم عندهم فى عداد الفراعنة ، والتمثال المذكور هو الوثيقة الوحدة التى بقيت من عصر الغزوة الفارسية وتضمنت عن سيرة قمبيز شيئا من التفصيل ، فى الرواية موضع لكل عمل من هذه الاعمال يدل على شخصية « البطل » وتاريخ الفترة لو تنبه اليه المؤلف وكلف نفسه قليلا من البحث والمراجعة ، ولم يلق كل باله الى اساليب الدعاية الخفية التى شب عليها وشاب

أما أحمس فهو أظرف شخصية فى عصر الرواية وجناية شوقى عليه أكبر الجنايات ، فالتاريخ يحفظ له أساطير لطيفة وملحا جميلة هى من أخص صفات المصرى فى جميع الازمان ، فقد كان أحمس فى معظم صفاته مثل المصرى الشجاع العصامى

أحمس

الا ريب المفراح ، وكان مذهبه « ان النكتة لا تعذر » كمذهب جميع المصريين فى القديم والحديث . فكان لا يعفى نفسه ولا وزراءه ولا أهل بيته من النكتة اذا بدرت الى لسانه ، وقد لامه بعض صحبه على طربه ومزاحه وأوصاه أن يأخذ بالتزمت والوقار فى سمته فقال له مامعناه : « ويحك ! هبنى وتراً مشدودا أترى الوتر يشد فى كل حين» ؟ واجترأ عليه بعض زملائه لما عرفوه من ماضيه وما أنسوه من حاضره فدعاهم يوما الى مأدبة وجعلهم يغسلون أرجلهم فى طست من الذهب ، ثم دعاهم بعدها الى مجلس أقام فى صدره تمثال اله ، فركعوا له حين وقعت أعينهم عليه ، فلما نهضوا قال لهم : أرأيتم هذا التمثال ؟ انه الطست الذى غسلتم فيه أرجلكم بالامس : صيغ اليوم الها فوجب له الخشوع والركوع ! !

وكان حليفه « بوليكرات » ملك ساموس سعيدا فى مساعيه ظافرا بمآربه لا يهم بشىء الا تم على ما يروم ، فرووا أن أحمس كتب اليه يحذره مغبة هذه السعادة ويشفق عليه من حسد الارباب ويوصيه أن يحرم نفسه بيديه من أعز شىء لديه قبل

أن تجرعه الارباب بيديها مرارة الحرمان ، ورووا أن بوليكرات استمع لنصحه فقذف الى اليم بخاتم نفيس فى أصبعه كان يغالى بقدره ويضن به على الضياع ، فما هى الا أيام حتى عاد اليه الخاتم فى جوف حوت ! ! فنما الخبر الى أحمس فتشاءم من صداقة بوليكرات وعلم أنه لامحالة منكوب وأن الدنيا لاتؤاتيه بهذه السعادة الا وهى تضمر له الجمع العواقب ، وقيل انه اشفق أن يلحق به طائف من عقابيل هذه السعادة فجر أشفاقه هذا الى انفصام العلاقة بين الملكين وتحوّل بوليكرات الى جانب قمبيز

هذا طرف من اقاصيص أحمس وهذه مسحة من شخصيته الظريفة ، فانظر ماذا صنع به شوقى جزاه الله؟ صنع بذكراه مثل ماصنع قمبيز بجثته .... فراح مظلوما بين خيال قمبيز القديم وخيال قمبيز الجديد ! ! وجزم صاحبنا بقتله «لوهاب رع» ثم قال شارح الرواية فى ختامها « انه نادى بنفسه ملكا على مصر فى أثناء ثورة عسكرية فى ليبيا وعاد بعد ذلك الى مقر الملك فانزل ابرياس (اى وهاب رع) عن عرشه وقتله ثم استوى على عرش مصر ! ! »

أرأيت ؟ هكذا قال تاريخ شوقى وتاريخ شارحه اللبيب

أما تاريخ الناس فيقول ان أحمس اشرك وهاب رع فى الملك بعد أن هزمه فى وقعة مومفيس « لعلها منوف » . ثم بقيا معا يسوسان مصر ثلاث سنوات ، واقترن اسماهما معاً فى بعض الآثار ومنها هيكل « تاحوتمى الثالث » فى العرابة المدفونة ومقبرة فى « صا » ومعبد فى منف وختم نُقش اسماهما عليه مقترنين

ونص اللوح الذى فيه نعى وهاب رع على أنه خرج من القصر « بصا » فى شهر بؤنة من العام الثالث لحكمه مع احمس ، ثم ذهب الى حيث جمع الاغريق وتصدى بهم لحرب صاحبه فهزمه هذا ، ثم كانت الوقعه الفاصلة فى الثامن من هاتور ، فلما أحس الاغريق بالهزيمة وتغرير فرعون « وهاب رع » بهم قتلوه وأخذه أحمس فدفنه فى مقبرة آبائه .

أما « هيرودوت » فقد روى ان المصريين هم الذين طلبوه من أحمس حين عفا هذا عنه وأبقاه ، — وذكر أنهم تذمروا لمسامحته إياه بعد ماخانهم مراراً وجشمهم كل ذلك العناء فأخذوه وشنقوه وعاد أحمس فدفن جثته فى مقبرة آبائه برعاية واكرام

فعلى الروايتين لم يكن أحمس قاتل « وهاب رع » بعد الوقعة الأولى ولا بعد الوقعة الأخيرة ، فمن أين جاء شوقى وشارحه بذلك التخليط ؟ ألم يكن تصحيح الوقائع أنقى لتاريخ مصر وأدنى الى تصور الموقف الذى صمدت له « نتيتا » فاقدمت فيه على التضحية وأبت أن تكاشف قميز بحقيقة نسبها؟

لقد كان ذلك أنقى وأدنى الى المعقول ، ولهذا على مانظن تجاوزه شوقى الى ما هو أزرى وأبعد من المعقول !! وهكذا انتظر الناس من الرجل ان يكسو عصر روايته وابطالها خيالا فجاء هو ستره الله فجردهم جميعاً من الخيال !!

هكذا كان خيال شوقى فيما يسعده فيه المؤرخون ، فللقارىء أن يتصور كيف تكون المواقف والشخوص التى يعول فى وصفها على خياله وحسبُ أو على ابتكاره الذى لا معول فيه على مصادر التاريخ

ونظن أن القارىء نفسه ليحتاج إلى خيال واسع لكى يتصور هذه المناقضة النادرة المثال : مناقضة شاعر يسمى أمير الشعراء ولا يكون عنده قسط من الخيال ولا نصيب من القدرة المبتكرة يعينه على وصف موقف

واحد أو شخص واحد وصفاً يخلو من الاحالة والشطط والصبيانية والتهافت . . ! فمن معجزات الخيال أن يتصور الانسان وجود شاعر كهذا فوق الارض وتحت السماء ، وما كان من سبيل الى هذا التصور لولا أن شوقيا موجود يرى بالعين ولا يطول فيه جهد الخيال

والى القارىء بعض تلك الاوصاف الخيالية التى أحال فيها شوقى جهد الاحالة ولم يقف فيها عند حد العجز عن تصوير الحقيقة بل تعدى ذلك الى مسخها والاتيان بضدها موفقا فى سخفه أى توفيق مطردا فى عوجه أغرب اطراد ، فلو أنه ألهم الصواب كما ألهم الخطأ لكان شاعر الارض غير مدافع ونبىّ الوصف الصادق بلا نكران

جاء وفد قمبيز الى مصر يخطب ابنة فرعون فقال أحدهم بعد ان جاس خلال البلد :

خطبنا اليهم أمس بنت مليكهم فما كان الا الاحتقار جواب
وأشفق أهلوها وقالوا حمامة دعاها الى الوكر السحيق عقاب

فلم يعترض عليه أحد من صحبه وسلموا جميعا ان احتقار

خطبة قميز أمر لايستغرب ولا يكبر على المصريين ، واشاعة ذائعة يعرفها من راح أوغدا فى الطريق

وبينماهم فى الحديث إذ يقول أحدهم

اعلمتم ماذا يردد فى القصر وماذا يقال همسا ووحيا ؟

فاذا سألوه واحاطوا به ليسمعوه تبين ان هذا السر لايخرج عن الكلام الذى افضى اليهم به زميلهم الاول قبل لحظة فما راجعوه ولا استغربوه ، ولكنهم هنا يثورون بالقائل ويسخرون منه ويصخبون فى الامر صخب الذين فوجئوا بكبيرة الكبائر بل « باكذوبة الاجيال » ... وهذا بعض مادار بينهم من صخب على أثر سماعه

الثانى — هازل انت ؟

الاول — بل سمعت حديثا ان يكن مفترى فماذا عليا

آخر — انه يهذى دعوه كاذب لاتسمعوه

ما الذى زخرف ؟

الثالث — القى كذبة الاجيال فوه

يزعم الملكة نفر يت ابنة الملك أمازس

ترفض السير مع الو فد الى اقطار فارس

آخر : ما خطبه مايدعى امض بنا لا نسمع
آخر : يقول فرعون مصر لم يرض قمبيز صهرا
الثانى : من امازيس ، ما الامير
ة مامصر أفى الأرض من بقمبيز يهزا
اهذا خبر يروى غبى أنت والله
أتحت القبة الزر قاء من يسخر بالشاه؟

فهذان موقفان متناقضان جد التناقض فى خبر واحد لا يستغرق إلقاؤه على المسرح من بدايته إلى نهايته أكثر من خمس دقائق ،وليس بعد هذا عجز فى استقامة التصور وصدق التصوير

ثم الوفد ما صفته وما حاله ؟ أضعف الناس ادراكا يستطيع أن يدرك أن وفد الخطبة لا يكون إلا من نخبة الحاشية وآل بيت الملك ومن ضارعهم بين أقطاب الدولة ، فهم أرفع من أن يذهلهم الطعام عن عقولهم وتستخف الموائد أحلامهم وتطير بوقارهم . وهم أشجع من أن تفزعهم رؤى الأطفال وتطغى على منامهم وساوس الصغار . فأما فى الشجاعة فقد جعلهم شوقى جميعاً يرقدون فما يقدرون على

النوم من الفزع لرؤية التماسيح والثيران ، وأما فى خسة النفس على الطعام فهذا منظر يطلع فيه هؤلاء الوجوه الذين يقول فرعون لأحدهم :

أنت لاتجهل من أنظمة الد يوان شيا

فاذا هم يفتنون بألوان الطعام المألوفة فتنة السوقة الجياع قد أنساهم الجوع التجمل وأذهلهم عن التصون ، فيصيح بعضهم :

فيروز انظر ترى الخرافا حمرا لطافا على الخوان
ذا سمك النيل فى الأوانى كأنه معصم الغوانى
وأعين تلك فى جفون أم ذلك البط فى الجفان

ويتصايحون واحداً أثر الآخر بمثل هذا الفضول الذى لا يصدر من ذى مروءة فى داره وبين عشيرته فضلا عن دار الغربة وموقف الخطبة . وان اضطراب الخيال والعجز فى التصور ليبدو على أتمه حين تقرأ فى الفصل الثالث وصف مايقدم على مائدة قمبيز وما يراه الحاشية هنالك من ألوان الطعام فاذا هو أفخر من الخراف وسمك النيل والبط : واليكه كما جاء فى الرواية :

الوصيفة : كان العشاء ملكتى مائدة محملة

أكلت يا سيدتى من أرنب متبلة
ثم أكلت من حمل وحمل الفرس جمل

الملكة : ثم ؟

الوصيفة : جاءوا بالطير فى الاطباق

الملكة : طير من ؟

الوصيفة : طير فارس والعراق

الملكة : ثم ماذا

الوصيفة : ثم جاءوا بالسمك
فرأيت الملك فى الأكل انهمك

الملكة : ثم ماذا ؟

الوصيفة : لا أعد ما حضر من لحوم وبقول وخضر
ثم بالحلوى أتوا والفاكهة

الملكة : كيف كانت ؟

الوصيفة : تشتهيها الآلهة

فهذه أصناف الطعام فى قصر فارس لا تقل عن مثيلاتها فى قصر فرعون بل تفوقها . وهى من المطاعم التى تغرى

الاميرة المصرية بالأكل كما قالت :

وقد يغريك بالأكل طهاة الفرس والشام

فما الذى أذهل الحاشية الفارسية اذن كل ذلك الذهول لولا انها فهاهة وسخف وتهافت فى التصور والخيال ؟

ويلحق بهذا التهافت أن ترجع الى الحوار بين الملكة والوصيفة فترى أن الملكة هى السائلة عن أصناف الطعام والوصيفة هى المجيبة . . . . مع أن الملكة هى التى أكلت ولم تحضر معها الوصيفة ، بل كانت فى جانب الحجرة مختبئة . فما معنى هذا السؤال المعكوس لولا انها أيضاً فهاهة وسخف وتهافت فى التصور والخيال ؟

وأعجب من جميع هذا أن تسمع الوصيفة اسم بردية اخى الملك فتسأل : من بردية ؟ ؟ وقد كان ظننا أن شوقيا أقدر على تصور البلاط من هذا لأنه بيئة عاش فيها ورآها ولا حاجة به الى اجهاد الخيال فى تصورها . فان الحاشية مطبوعة على استطلاع الاسرار والنساء خاصة اشد استطلاعا لها وتنقيبا عنها فى جحورها ، فلا نعرف إحالة فى التخيل أغرب

من وصيفة فى القصر لم تسمع باسم أخى الملك الذى كان زينة شباب عصره جمالا وفروسية وبأسا وكان شقيق قمبيز واقرب الاقربين اليه . . . . انها أحالة شوقية ولا زيادة ..!!

وقد شاء شوقى أن يجعل سفر « نتيتا » ضرورة ألجأ اليها اتقاء الغارة الفارسية . ولكنه مع هذا شاء الا يجعلها ضرورة على الاطلاق ! ! فقرر أن غارة فارس كانت أمرا مقدورا لامفر منه سواء أقبل أحمس تزويج بنته من قمبيز أم لم يقبل ، عرف ذلك الوفد الفارسى فقال أحد رجاله قبل ان تبرح الاميرة المخطوبة أرض مصر

يهب عليها غداً عاصف من الفرس انى تمشى حصد

وقال آخر : غداً يصب عليهم قمبيز سوط عـــذابه

وقال آخر

صدقت أخا الفرس قلت الصوا ب غداً يعصف الفرس أو بعد غد

وقالت « نتيتاس » نفسها قبل ان تبرح قصرها

غداً تذرو رياح الفر س من موتاك ماتذرو

غداً يصبغ من شـــط لشط بالدم النهـــر

غـــدا يهتك عن أربا بك المحراب والستر

و « نتيتاس » هذه هى التى أيقنت قبل ذاك انها حسمت الشر ودفعت الخطر فقالت ترد على نفريت :

نفريت ـــ أتيتنى شامتة

نتيتاس ـــ لابل أتيت مسعدة

آمون قدمد اليـ ـك والى الوادى يده

وقدكفى مصر البلا ء والخطوب المرعدة

وكف عن ربوعنا نار المجوس الموقدة

فهل الفدية ضرورة لازبة أو غير ضرورة لازبة ؟ لا بد من احدى الاثنتين : أما الاثنتان معاً فلا . . !

* * *

ولما جاءت نتيتاس تلقى أحمس لتبلغه عزمها على السفر الى بلاد الفرس مكان ابنته الآبية شاء شوقى ان يجعل الحديث بينهما سراً تخرج نفريت ـــ ابنة أحمس ـــ من الحجرة لكى لاتسمعه . . . . على ان هذا السر قد عرفته نفريت قبيل ذلك من نتيتاس نفسها حين قالت لها

أتيت لمصلحة الآخـــر ين وجئت لشأن جليل العظم
أتيت لأفدى بنفسى البلا د وأدفع عن مصر شر العجم
فانك ان ترفضى يزحفوا كزحف الذئاب ، ونحن الغنم

وشبيه بهذا أن يطلع قمبيز على سر هذا التبديل فيغضب ويجعله سببا لغزوه مصر وانذار زوجه المصرية بتخريب وطنها...! وانه لفى الحجرة لم يفارقها اذجاءه نبأ الرسل والجواسيس الذين بعثهم الى مصر يستطلعون الطريق ويحكمون تدبير الغارة قبل ان يسمع بخبر التبديل بين العروسين وقبل ان يغضب تلك الغضبة « البريئة » ! ! فهلا كان هنا بعض التصرف للتوفيق بين الامرين ؟ !

وان قمبيز مرة لوحش يصف نفسه فيقول « أنا وحش أنا غول » وتصفه امرأته فتقول انه « نمر الفرس الخشن » وانه لمرة أخرى وفى سياق الحديث نفسه

لاهو بالمـــلك البربر ى ولا الوحش ذى الناب والمخلب

ثم تكون زوجه هى التى تقول للوصيفة التى نفت عنه الوحشة :

صـدقت « تتا » هو زين الشباب
أله القنا قمـــر الغيهب

فهلا اتقى شوقى هذا التناقض أو تنبه اليه ؟

* * *

ونحسن الظن بشوقى قليلا فنحاسبه على الاحالات التى لا يحاسب عليها مثله ولا يسأل عنها إلا من هم أدق منه بديهة وأكيس منه خيالا . وإن لم يكن التنبه اليها بالشىء الكثير

فقد قال بلسان فانيس يخاطب الأميرة نتيتاس ليقنعها بقبول غزوة قمبيز لبلادها مصر :

دعيه يعاقب سارق التاج مثلما يعاقب فى منفيس لص لآل

واللآلىء لم تكن مما يسرق فى منفيس ! ! لأنها لم تعرف فى مصر قبل عهد البطالسة (راجع كتاب المواد المصرية القديمة للأستاذ لوكاس) ولو أنها كانت معهودة شائعة فى منفيس على أيام أحمس لما جاز أن تخص بالذكر فى هذا المقام ، وإلا فهل لص الذهب أو الملابس أو الآنية مثلا لا يعاقب فى منفيس ؟ وهل لابد أن يسرق اللآلىء حتى يعاقب ويرذل

ويزدرى ؟ فالقافية هى التى جنت على شـــوقى فأوقعته فى الاحالة التاريخية والغثاثة المعنوية . ولو أنه قال :

دعيه يعاقب سارق التاج مثلما يعاقب فى منفيس سارق مال

لأصاب ولم يسف فى لفظه ، لأن كلمة المال تشمل كل ما يملك ويسرق ، ولأن مقابلة السارق فى الشـــطر الأول بالسارق فى الشطر الثانى أجمل من ذلك التعسف الذميم الذى يلام عليه حتى المبتدىء من النظامين

وقال بلسان فرعون الأسير :

ان الجواهر فى التراب جواهر والأسد فى قفص الحديد أسود

ظن شوقى ان أقفاص حديقة الحيوان فى الجيزة كانت مالوفة على هذا النمط منذ القدم ! فضرب ذلك المثل العقيم ولم يخطر له أنها فى مصر شىء حديث متأخر ، ولا استطاع أن يتخيل لحبس الاسود حالا غير هذه الحال التى يراها بعينيه . وانما كانت الاسود تحبس فى جب أو غار ، وكانت مع هذا تعبد حين تحبس فلا هوان اذن فى الحبس ولا نقصان ، ومتى انتفى الهوان فالمثل الذى ضربه شوقى لغو عقيم

* * *

وكلم فرعون رئيس وفد فارس فقال له

سيـــدى لو تقول لى كيف قمبيز والقدح

ومن هو المتكلم ؟ هو فرعون الذى تأفف قبيل ذلك من افراط نقيتاس فى مجاملة الفرس ، ومازادت على الترحيب والاعتذار فمتى كان فرعون هذا يخاطب خادم ملك آخر بقوله « ياسيدى » فى عهد التأليه والتقديس ؟ ذلك خطاب يجوز سماعه الان ولا يقاس عليه ، اما فى ابان الالهية الفرعونية فما كان ليسمع وماهو بالخطاب الذى يخطر على بال مستقيم

* * *

على ان اضحوكة الاضاحيك حقا حديث حاشية قمبيز فى الموقف الذى مات فيه قمبيز ، ففى ذلك الموقف بخع الملك نفسه بعد أن جن وثار جنونه وقتل صحبه وبطانته وترك من حوله يتساءلون متى يحين اجلهم ياترى فى هذه المقتلة الجزاف ؟ فانظر كيف كان رجال الحاشية يتكلمون فى ذلك الموقف المرهوب قبيل انتحار مليكهم وهو بينهم هائج الضمير يذكر

اثامه ويتخبط من الصرع والندامة

رستم لحيدر : وأين منزل الضمير ؟

حيدر : موضع من الجسد

أنظر هنا يارستم الـ قلب وهاهنا الكبد

وهاهنا الضمير بين الـ قلب والكبد قعد

رستم : هنا الدجاج والحمـــا م هاهنا بلا عدد

حيدر : والبط أيضا والاو ز والحمار والوتد

وكل ماتسرق أو تخط ف من هذا البلد

فهو بيمارستان ولا شك ! ! على رأسه ملك مجنون يهذى ومن حوله رهط مجانين يهذون ! ! والبركة فى خيال شوقى السقيم الذى يجن كل من مسه من العقلاء

وقد يحسن ان نختم النقد بهذا الموقف الذى ختمت به الرواية . فلعل الذين يترنمون بشعر شوقى من غوغاء الادب يعلمون الآن ماذا ينقصه من أداة الشاعر المتخيل المبتكر فيعلمون منزلة الشعر الرفيع ويفقهون انه مركب ليس بالسهل وصناعة لاتغنى فيها الطلاوة والنعومه فى الصياغة ، فهذه قدرة تكسب

بالمرانة الطويلة ولا تعدو طبقة الملكات الآلية والصناعات اللفظية ، أما الشعر الرفيع فهو الخلق والابتكار والقدرة على تصور الحياة فى صورتها السليمة الكاملة بلا علاج ولا تشويه ، فالخيال الذى لا يرى أو لا يرى الامور الا على عكس ما ينبغى أن تكون عليه آفة وعيب وليس بقدرة ورجحان

وقد ابى شوقى الا ان يفرغ جميع نقائصه فى رواية قمبيز التى لم نشهد له رواية قبلها على مسرح التمثيل ، ففيها كل عيوب ذهنه وكل عيوب خلقه

ودعنا من عيوبه التى تعنيه فلا شأن لنا بها فى هذا المقام ، وانما نعتبر بما نراه فى الرواية من تقلب هذا الانسان بين الناس وتمليقه للنقيض والنقيض ، فاما الشعب فهو يتملقه بما لا يضير ذوى النفوذ من دعاء وصخب ، واما ذوو النفوذ فهو يتملقهم بما يسرهم ويريحهم حين يسمعون مثل قوله : « مولاى ان الوفد فى ارتياع .... » ، أو مثل قوله وهو يتكلم عن وفد فارس . . :

فمن من الوفد برأ سه الىّ يدفع

ثم يقول : حوتيب ما من احد هان عليه رأسه

انظر اليهم كلهم عزت عليه نفسه

الى غير ذلك من التعريضات التى يقابل بها صاحبنا كل وجه ويدور بها فى كل مدار وينوح بها فى كل مأتم ويرقص بها فى كل عرس .. وهكذا تحار الدنيا كيف ترفع شوقيا بما يرتفع به الرجال فيأبى هو الا ان يكون حيث كان ويقر حيث طاب له القرار

بسامتيك الثالث

شوقي بين يدي قمبيز

رواية شعرية « غير تمثيلية »

قمبيز لكاهنه سابور :

سابور ! من ذاك القزم في جانب من الهرم
يظهر حينا ويروغ روغان المتهم

سابور الكاهن :

مولاي هذا شاعر في مصر يغتاب الأمم
يرجمها ويحتمي خلف الدهور في أجم (١)
أضعف من صاغ مديح ـا في القصيد أو شتم
يرعى ذوي البأس ولا يرعى العهود والذمم
ما قال لا قطُّ ولا يصدق إن قال نعم
وناطقٌ اذا جرى حديثه على القلم

---

(١) ـ مأوى الاسد

لـــكنه فى صمته أبلهُ أو فيه بـــكم
وربما شـــاهدته فى حيث جال أو جثم
خالس حينا نظرة عجلى ، وحينا اقتحم
تطير عيناه ولو لبّى هواه لهجم
قد عاند الاقدار لا يكون يوما ذا شمم
لو ارتقى العرش ارتقا ه وهو فى زى الخـــدم

قمبيز :

ياعجبـــاً لأمـــره ألا نراه من أمم (١)

الـكاهن :

مولاى دعـــه ، انه يثلبنـا فيما نظـم

قمبيز : وما يقول ويحه ؟

الـكاهن : يقول . . . بئس مارعم

يقـــول مولاى طغى يقول مولاى ظـلم
لا بل يقول كـذبا ينقضه فيما رجم
كأنمـــا ينعت مســـخا شائها ذاك القـــزم

(١) من قرب

قمبيز.

ياويـــله جئنى به أشفيه من داء البكم
جئنى به إن جسدا حيا يُرى ، وان عدم
ألا تطيقهـــا ؟

الكاهن : بـــلى ! أطيقها ولا جـــرم

الكاهن مستمرا مزمزما :

ياأهرمان (١) هاته أخرجه من بين الظلم
يا أهرمان جـره من رأسه أو القـدم
ياأهرمان الوَحى (٢) لن تخلف الوعد ولم
ماأنت عنه عاجـز كلا ! وان طال القدم

* * *

شوقى بين يدى قمبيز

قمبيز متهكما :

---

(١) اهرمان هو اله الشر والظلام فى ديانة زردشت بى الفرس القديم (٠) الوحى بفتح الحاء أى السرعة وهى كلمة يطق بها السحرة لاستعجال الشياطين

ها . . أنت جئت عندنا ؟! يامرحباً . . أهل الكرم !

شوقى :

لبيك مولاى . .

قمبيز : . . . . أجـــل لبيك أنت يا قزم

يامسخ ما غرك بى ؟ حسبتنى من الرمم ؟!

مسخٌ أنا تزعمنى ؟ انطق . تكلم ياصنم ! !

شوقى : أنا ؟ !

قمبيز : نعم ! ومن اذن ؟

شوقى : بل ذاك خصم قد نقم

أنا مدحت ســـيدى وقلت خير من حكم

وقلت خير من رمى وقلت خير من صدم

كم فى مدينـــة حمى وفى ميادين هزم

لا جور فيه ان أصـا ب أو أثاب أو حرم

دعنىَ اذهبْ وأجىءْ بما رقمت

قمبيز لاترم (١)

(١) رام المكان يريمه أى برحه

لتقضين ماهنا

الكاهن : على اللظى! أو الوضم (١)

ألم تلفق قصة سميتها باسم « العلم »
فيها تقول ما تقو ل من هراء وتهم ؟

شوقى :

حاشاى ! لم انظم ولا كان لسانى ان نظم
كلا ! وحق النار والنو ر ، وحق ذا الحرم
لكنه « العقاد » سواه ا . . ومثله اجترم
ألف « قمبيز » والقـ اها علىّ ، واعتصم
أحلف كل حلفة ! أقسم أحرج القسم !

قمبيز :

كيف ترى سابور فى هذا المحال والوهم (٢)
أهازل صاحبنا ؟ أم مسه بعض اللمم (٣)

الكاهن : مهلاى تلك شيمة فيه

قمبيز : وبئست الشيم

(١) الوضم خشبة يكسر عليها العظم و يقطع اللحم
(٢) الوهم بفتح الهاء الغلط فى التقدير والحساب (٣) الجنون الخفيف

لنهلكنه اذن !

الكاهن أمرك فيه . لاسلم !

شوقى :

يارجل الدين أغثـ ني . لاطغت بك القسم
كن شافعاً ، كن حكما أنت الشفيع والحكم
ولا تزده غضبا حسبى من الخطب الندم
انا مدحت سيدى وما جحدته العظم
انا هدمت بيدى من مصر فوق ماهدم
انا سلبت أهلها خيم(١) الرجال والهمم
رميتهم بالجبن والو هن وبالجهل العمم
وبالفجور تارة وبالغرور والوخم
وقلت كلُ مارق يخون مصر لم يُلم
وقلت انتم الذئا ب وبنو مصر الغنم
فكيف لاترحمنى وأنت اولى من رحم
هذى ضلوعى كاللظى هذى دموعى كالديم(٢)

(١) الخيم بكسر الخاء الطبيعه اوالسجية (٢) جمع ديمة وهى المطر الدائم

الرأفة الرأفة بى من يربح الحمد اغتنم

الكاهن

حمدك انت مغنم ؟! طوبى اذن لمن يُذم

كفى

شوقى : . . . . اجرنى

الكاهن لامجير اليوم من موت حتم

قمبيز : لا بل تشفع للخبيـ ـث واتسم بماوسم

أضحكنا وقـد بكى وسرنا وما ابتسم

فاختر له منـية يحمدها اذا انصرم

شوقى :

منـية ؟ ! ياويلتـا ـه . . ماعفا ، ولاعزم

خلتك تعفو سيدى والعفو أحلى وأتم

وما انتفاعى بالشفا عات اذا الموت دهم

قمبيز :

كيف ؟ اهكذا نرى جهل الحكيم بالحكم ؟

كم صور للموت أشـ ـهى من شهيات النعم

بين حمامين كما بين شفاء وسقم
فاختر

شوقى : . . . . أنا اختار ؟

الكاهن : هل
تاذن لى ؟

قمبيز . نعم نعم
شأن الخبيث هينٌ كله الى بعض الحشم
هم بمنايا مثله أولى ، وأدرى بالقيم
نلهو بما اختاروا ولا يمسنا منه وصم (١)

قمبيز :

هذا مليح ، فادع يا حاجبُ ، منهم من رسم
الحشم يدخلون

قمبيز مستمرا :

ياحشم القصر انظروا اليه من حيث نجم
هذا سليطٌ ينتحى بالشعر شاهات العجم

(١) الوصم بفتح الصاد المرض (٢) رسم اليه حضر اليه مسرعا

فاقترحوا فيه المنا ياواسألوا فيه النقم
صفّوا له مائدة لا يتخطاها الوحم
يُحرق ؟ ام يُغرق ؟ ام يُرمى به ؟ ام يُصطلم(١)

شوقى : ياحربا !
احد الحشم ياعجبا
ثان : ماذا جنى ؟
ثالث : كيف غشم (٢)
أحدهم :

نسلّ منه مقولا فاه به ، وما احترم
يخرس عن أمثالها

الكاهن : لا خرسٌ ولا صمم
لسانه أشقى به وهو به أشقى النسم(٣)

ثان : النار !
شوقى : النار تغذ وهابجسم من هنات وهرم ؟

---

(١) اصطلمه قطعه من أصله (٢) غشم اى خبط فى الطريق بغير معرفة
(٣) جمع نسمة وهى النفس

ياسوء ماامترت لها من الطعـــوم والطعم

الـكاهن :

لاتحسلن همها يكفيك همك الأهم ! !

الثالث

نلقى به حيـــا لعقبان الهواء والرخم

رابع

نسلخ جلد وجهـــه نفرى (١) عن الجسم الأدم

الـكاهن

ماللأديب يلـــتوى ما للأريب قـد لطم

خامس

هـبه لوحش لقمةً سائغة من اللقم

شوقى

بل ترحم الوحش فما فىّ شفاء من قرم (٢)

سادس

(١) فرى قطع والادم الجلد

(٢) القرم شهوة اللحـــم

ان شاء مولاى ففى الخـ ـازوق تكفير الأثم

شوقى

وكيف بالخازوق فى غير عنـــاء وألم؟

* * *

الكاهن

أما كفاه سيدى ! مات ولما يخترم (١)
ماواقع النار وقد حال الى لون الحمم (٢)
وما علته ضربة وفيه قد دب الورم!

قمبيز

لا بل كفانا ضحكا منه ، وترفيه سأم
فانفض رقاك (٣) واعدُه وعدبنا الى الرجم (٤)

* * *

شوقى متنبها

ماهذه الأشباح ؟ ما هذى الرؤى ؟ ماذا ألم؟

(١) اخترمه الموت قضى عليه (٢) جمع حمة وهى كل ما احترق بالنار
(٣) الرقى جمع رقية وهى قوة السحر ووسيلته
(٤) الرجم القبر

عينيَ طال نومها ؟ أم هى يقظى لم تنم
التوبة التوبـــة ! لا عرضتُ حتى للرمم
الرهبة الرهـــبة انْ باح لســـانى أو كتم
حـــذار سحر فارس وسحر سائر الامم
أن السعيد حازم أبـدأ حزماً وختم

كتب المؤلف

الثمن	اسم الكتاب
ـ ص ـ	
٢٠	ابن الرومى
١٥	ديوان العقاد
١٢	ساعات بين الكتب
٤	الحكم المطلق
١٢	مراجعات فى الادب والفنون
٣	بجمع الاحياء
١٢	مطالعات فى الكتب والحياة
..	الفصول (نفد)
..	خلاصة اليومية (نفد)

وتباع هذه الكتب جميعها فى المكاتب المشهورة ، والكتب الاربعة الاولى تطلب من المؤلف (بعنوان مصر الجديدة) القاهرة